ابريل (نيسان) ١٩٨٧، شعبان ١٤٠٧

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest April '87 N° 10



الرياضة تؤخر الشيخوخة

(ص ٣٤)

زوج بلا ذاكرة

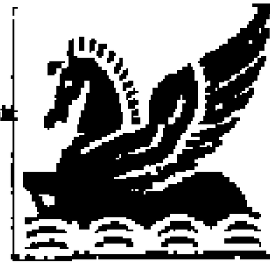
(ص ٥٤)

زرافة مصرية لملك فرنسا

(ص ٢٤)

اوسع المجلات انتشاراً في العالم

٣٩ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبرالك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاعلانات: الشركة اللبنانية لادارة حصر الاعلانات انترناسيونال (راجع الصفحة ١٤٤)

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest.



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O. Box 55228, El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

April 87 N° 101 (New Series) Vol. 9

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

بنان ٣٠ل - سورية ١٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
سعودية ١٠ر - مصر ١ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب -
ونس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

ثوابت عالم متغيّر

في زحمة العمل، تنشغل وسائط الاعلام بالآخرين الى احد نسيانها نفسها. وهذا الامر وان بدا وجهاً من وجوه الشغف الذي يبديه رجال الاعلام بمهنتهم، فانه لا يعذرهم عن الالتفات احياناً الى مطبوعاتهم سائلين: الى اي حد يعرف قراؤنا من نحن؟

ونكتشف تقصيرنا خصوصاً عندما نصادف قراء لم يعرفوا «المختار» قبلا فيقولون: «آه انتم الطبعة العربية لـ Selection الفرنسية او Reader's Digest الانكليزية.»

ولا نعجب من ذلك بسبب الغربة التي يعيشها عدد كبير من المجتمعات الثقافية العربية والتي تشبه عائلة تقيم في منزل له شباكان فقط، واحد يطل على ناس يتكلمون الفرنسية وواحد على ناس يتكلمون الانكليزية. ويبقى هذا المنزل منعزلا عن العالم الى ان يأتي من يفتح في جدرانه شبابيك اخرى.

و«المختار» تفخر بأنها تنتمي الى عائلة كبيرة تقيم في منزل مشرّع على العالم، وان طابعها الثقافي الشامل جعلها تتكلم ١٥ لغة تخاطب بها العرب والاجانب الذين يتجاوز عددهم الـ١٠٠ مليون.

وقبل اسابيع دعيت الى «الصالون الثقافي» في كلية الاعلام في الجامعة اللبنانية حيث قدمت الى طلاب السنة الرابعة وطالباتها، «المختار»، كنموذج للصحافة غير السياسية. وقد بسطت امامهم عشر حقائق هي الآتية:

الحقيقة الاولى: الاولوية للتحرير. ذلك بأن نجاح اي مجلة يبدأ مع المحرر. والمجلات تولد وتموت لكنها تولد مع المحررين وتموت معهم. والمجلة الناجحة تستمر وتنمو بالتعاون بين الناشر وبائع الاعلان والطابع والموزع. بكلمة: ان المحرر مهم في المجلة لانه هو الذي يخترعها.

الحقيقة الثانية: الشخصية المميزة. كل مجلة لها شخصيتها، اي انها تعرف بحجمها وغلافها واسمها، مثلها مثل اي انسان يعرف من شكله والزي الذي يرتديه ولون عينيه وطريقة مشيه.

و«المختار» هي مجلة جيب، حجمها صغير لكنها تحظى مع رفيقات لها بأوسع انتشار في العالم. وشكلها يسهّل التعرف اليها.



الحقيقة الثالثة: الصوت المعتدل. ان هذه المجلة تتكلم من خلال ما تنشره من مقالات مستقاة من مجلات اخرى وصحف وكتب ونشرات، ولها لهجة معتدلة ومحببة الى القلوب.

الحقيقة الرابعة: احترام القيم. انها مجلة متحضرة، في وسط موجة الخلاعة وانعدام الاحترام للقيم. وان القراء يشعرون بالامان في حضورها.

الحقيقة الخامسة: الايمان والصراحة. هي مجلة مؤمنة وصريحة، لها رأيها بوضوح في مختلف المسائل وايمانها بالله من غير وعظ، لذلك هي مقروءة لدى اتباع كل الديانات في العالم.

الحقيقة السادسة: الاهتمام الموسوعي. انها ذات اهتمام واسع وفضولها لا حدود له. بيد انها اذا كان لديها ما تقوله حول ما يحصل في العالم، وكم هو غزير، تصوغ كلامها باسلوب بسيط ومقتضب.

الحقيقة السابعة: التبسيط. وقت يوغل الباحثون والمحللون في مجاهل لا حدود لها، تسعى هي الى تبسيط اكثر الامور تعقيدا.

الحقيقة الثامنة: الطابع المحافظ. في عالم سريع التبدل تتنازعه التيارات المتطرفة المختلفة، نجدها متمسكة بقيم الحق والخير تمتدح الكد والاجتهاد والكفاح الشخصي والدفاع عن العدالة والحرية الفردية.

الحقيقة التاسعة: المرح. انها مرحة، تضم اوسع مجموعة من الطرائف والنكات الظريفة المختارة بعناية.

الحقيقة العاشرة: الصدق. هي تتكلم ١٥ لغة الا ان لها صوتا واحدا. واذا صح انها تصدر ٣٩ طبعة في بلدان مختلفة وان ليس بين طبعاتها هذه واحدة منسوخة عن الاخرى، فهي صادقة مع نفسها والآخرين، اي ان لها خطا واحدا واضحا.

هذا ليس، بالطبع، كل «المختار». وما سميناه «الحقائق العشر» ليس كل الحقائق، الا انه يمثل مجموعة من الافكار التي نستهديها كلما جلسنا وراء طاولة لاختيار مقال او قصة او نكتة او قول مأثور.

هذا نحن باختصار.



تأملات معاصرة

سيارة العمر

يبدو لي أننا بلغنا المرحلة التي علّمتنا أن نواجه الموت بروح النكتة. بالنسبة الي، هذا أمر لا بدّ منه. فحين تبلغ السن التي بلغتها (ولدت عام ١٩٠٩) تصبح شبيهاً بسيّارة. يثقب فيها دولاب فتصلحه. ثم ينطفئ مصباح أمامي فتصلحه كذلك. ثم يأتي يوم تذهب بالسيارة الى مرأب فيقول لك الميكانيكي: "آسف جدًا... هذا النوع من السيارات أصبح في خبر كان."

كاثرين هيبورن، ممثلة أمريكية نالت أربع جوائز اوسكار

أفكار كاريكاتورية

تأتيني أفضل الافكار في منتصف الليل. فاذا أفقتُ وفكّرت في شيء يمكن تحويله رسماً كاريكاتورياً، فانني أتناول قلماً وأكتب بضع كلمات من غير أن أوقظ زوجتي أو أشعل النور. وفي الصباح أنظر الى ما كتبته فاذا هو: "زوب فمف فومف فيلم." في بادىء الامر لا أفهم ما تعني الكلمات، ولكن ما ان أصل الى لوحة الرسم حتى تعاودني الفكرة.

بيل كين، رسام كاريكاتوري امريكي

تقبّل الانتقاد

ليكن مذهبك أن تعتبر كل انتقاد عملا ودياً. فاذا أصررتَ على الاعتقاد أن الشخص الآخر ذو نيّة طيبة، أمكنك الافادة من شرعية الانتقاد إن كانت هناك فائدة تُجنى. واذا سلّمت بحُسن نيّة المنتقد فانك تجرّد المهاجِم من سلاحه وتشجّع الحليف فيه.

كارول أوكونور

النجاح لا يفسد

من الافكار الشائعة ان النجاح يُفسد الناس اذ يدفعهم الى التكبّر والانانية والاكتفاء بالذات، لكني أرى العكس فهو في الغالب يُنمي فيهم التواضع والتساهل والعطف، في حين ان الاخفاق يثير فيهم المرارة والقسوة.

سومرست موم، روائي وكاتب مسرحي بريطاني

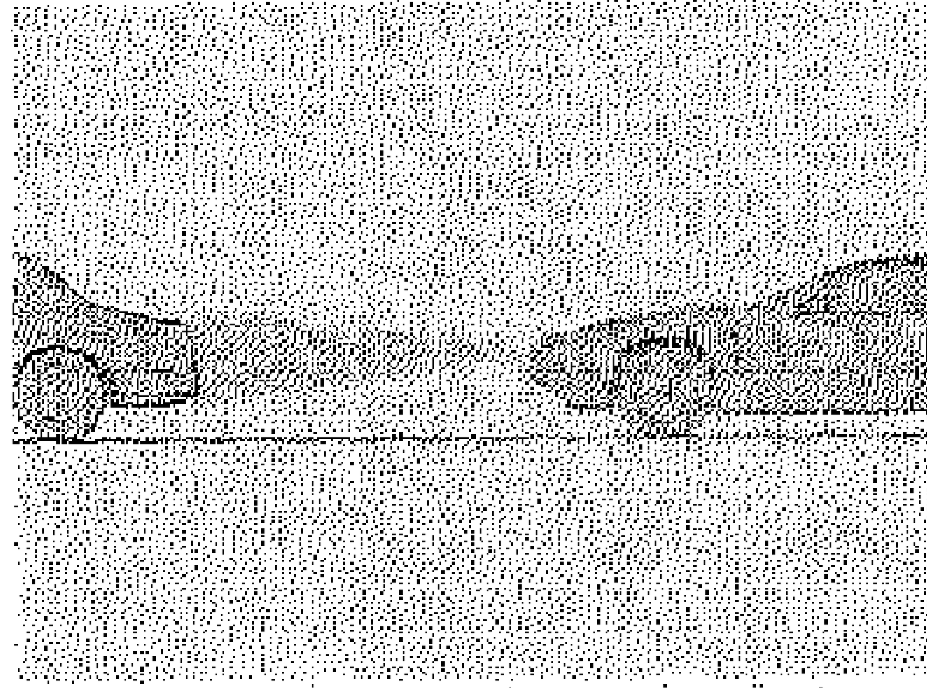
آفــــاق

المظهر

ان تصميم سيارة ما هو عمل ابداعي يستدعي خبرة تامة في الخصائص العملية للقيادة الى جانب القدرة على التخيل.

وبالتأكيد فان كان لشخص ما ان يصنع تحفة فنية فانه يجب ان يتمتع باحساس الفنان المقدر للجمال اضافة الى ذهنية المهندس الهادئة المبدعة.

أن نيسان CUE-X مثال بارز على الكيفية التي يمكن بها مزج هذه النقائض بلمسة فنية واحدة. وبتطبيقها النموذجي للتطور المدهش الذي ستقدمه لك نيسان في القريب العاجل فان هذا النموذج المبتكر سيقدم لك خصائص متقدمة مثل نظام الرادار العامل باشعة الليزر.



ان نظام الرادار العامل بالليزر يعزز من سلامة القيادة وراحتها موديلات CUE-X

وعند استخدامها مع نظام التحكم الاوتوماتيكي بالسرعة، فان نظام الرادار العامل بالليزر يقوم من خلال كمبيوتر دقيق بمواءمة الصمام الخانق والغيار والفرامل وذلك للتحكم بالسرعة والحفاظ على مسافة آمنة بين سيارتك والسيارة التي امامك. وهذه واحدة من عدة خصائص في سيارة CUE-X التي من شأنها اعادة تعريف مفهوم القيادة والراحة والمتعة والسلامة لكل ثانية تقضيها على الطريق.

ان موديلات CUE-X تعطي الدليل الواضح على الابداع الفريد الذي تتمتع به سيارات نيسان مما يحقق توافقا تاما بين الحكمة العملية والقيمة الجمالية الفريدة والعالمية في آن واحد. انها تنجح لانها تمتلك تلك المزايا الخفية ولكن الحقيقية التي تجعل من نيسان تلك السيارة الرائعة – انها آفاق نيسان.

الجودة في حركتها



سيارة العام ٨٦ – ٨٧ في اليابان



اجمعت لجنة من المختصين على اختيار نيسان بولسار باعتبارها السيارة الافضل لعام ٨٦ – ١٩٨٧ من بين ٤٥ سيارة يابانية مختلفه.

نیسان



اعتدلوا في مَدح أولادكم

الاسراف في الانتقاد يحطّم نفسية الطفل، والاطراء في غير محلّه يؤدي الى النتيجة ذاتها

حين أعلن حفيدي في يوم جمعة أن عليه أن يقدّم يوم الاثنين وظيفة مدرسية لم يباشر تحضيرها بعد، شعر أعضاء الاسرة بأنّ كارثة ما ستحدث. كيف يُنتظر من ولد في الثانية عشرة، همّه الاول الدرّاجات واللهو، أن ينجز تقريراً عن الهندسة القوطيّة خلال ثلاثة ايام؟ في ليلة الاحد كان بنجامين اعتصر من دماغه ثلاث صفحات لا غير. وإذ عاين والده أخطاء الترقيم والتهجئة وبساطة العرض قال بخشونة: "لعل إخفاقه في علم الاجتماع يعلّمه شيئاً عن التخطيط. واني ارى في ذلك درساً له."

نعم، ذلك علّمه درساً، لكنه غير الدرس الذي انتظره ابوه. عاد التقرير بعلامة "ممتاز" ومعها العبارة: "واظب على جودة العمل." وهذا ما أربك والدة بنجامين فقصدت المعلم لتسأله: "أصحيح أن التقرير يمثّل انجازا مقبولا وفي المستوى المطلوب؟"

فأجابها المعلم: "يمكنكِ تحطيم الولد بالانتقاد أمّا المدح فيأتي بالعجائب."

حسناً، ربما كان ذلك صحيحاً. لا ريب في أن الاولاد يحتاجون الى الشعور بتقدير البالغين لهم في أعمالهم الحياتية. وكما يقول الخبراء، فان حُسن تقدير الذات دليل شخصية معافاة. لكن هذا التقدير لا ينجم عن كلمات الاستحسان وكأنها ضربة ساحر. فلِكي يشعر الولد برضا عن نفسه يجب أن يدرك أولا انه ذو كفاية تتناسب مع عمره. يقول أحد الخبراء في التعليم: "أحاول تشجيع تلاميذي المتفوقين. لكن ما يبهجهم حقاً هو الشعور بأنهم قادرون على القراءة." الاطراء الذي لا مبرّر له يعطي نتائج معاكسة لما نرجو، فهو يضعف رغبة الولد في المحاولة أو يدفعه الى الاكتفاء بمقدار قليل من الجهد. (لنتذكر هنا أن بنجامين اكتفى بليلة واحدة في إعداد وظيفته التالية.)

الاطراء، وان يكن نصيبه من الصدق

ضئيلا، يمنح المرء إحساساً طيّباً. وبعض الوالدين يجهلون قدرة الاطراء على الالهام، لكني أشك في فائدة المدح الأهوج. لأنك اذا مدحتَ الولد على عمل يراه هو متوسط القيمة أو يشك في جودته، فقد تسوقه الى الاعتقاد أن الانجاز العادي أمر حسن ومقبول، وكأنه يقول لنفسه: "هل أُعجبوا بما صنعت؟ حسناً، لماذا أُجهد ذاتي إذاً؟" وأسوأ من هذا أن ينقاد الى الاعتقاد أنه شخص محدود القدرة وأن الآخرين لا ينتظرون منه شيئاً أفضل. كذلك حين تقول للاعب أخطأ تسديد ضربات حاسمة: "أحسنتَ اللعب!"، فأنت انما تعبّر عن حماسة كاذبة تأتي بنتيجة معاكسة، لأنها توحي أن المتحمس لا يعني ما يقول او أنه أخطأ في تقويم اللعب. وربما أثار ذلك في الولد شعوراً بأنه مخادع، فيخاف أن يكتشف خداعه.

الاسراف عائق — حين يمتدح الوالدان ولدهما لما قام به من محاولة، فانما يعلّمانه أن الجهد أهمّ من النتيجة. (يقول المثل: "إعمل أفضل ما يمكنك وأهمل الباقي.") أذكر اني كُلّفت مرة، في منتصف الفصل، تعليم صف معلّم معروف بسخائه في العلامات. وحين جاء موعد تسليم النتائج الاولى جاءني أحد التلاميذ محتجاً على علامته المنخفضة (علامة اجتياز لا غير) وقال انه كان ينال في كل امتحاناته علامات امتياز. وحين أعلمته أنه لم يقُم بالمطالعات المطلوبة وأن كتاباته مشوّشة الاسلوب سأل: "ما رأيك في المُلصَق الذي صنعتُه؟ والرسوم التي جئتُ بها؟ كان معلّمنا السابق يكافىء الجهد المبذول."

لنذكر، مع الأسف، أن الحياة الواقعية قلما تكافىء النيات الحسنة والجهود الطيبة. ومن النادر أن نجد رب عمل يتساهل مع موظّف ضعيف الانتاج لمجرّد تأكيده أنه بذل أقصى جهده.

إن الاطراء على غير استحقاق يلجم الولد عن اكتشاف طاقاته القصوى. كانت لي صديقة عزيزة ذات موهبة موسيقية، تعزف بحيوية فائقة ولا تسمع من أعضاء اسرتها الا كلمات الاطراء: رائعة، ملهمة، أبرع من هوروفيتش(*). لكن صديقتي كانت تكره التمرين وغالباً ما أساءت العزف في الحفلات. وذات مرة حين قدّمت برنامجاً خائباً قالت لها أمها: "كان عزفك ممتازاً، لكن البيانو كان يحتاج الى دَوزنة. وقد اشتد ضجيج الحضور، فلا عجب أنك نسيت الجزء الثاني من المعزوفة."

وأقول: لو أن هذه الفتاة حصلت على مقدار من النقد البنّاء، لحقّقت حلمها بأن تصبح عازفة مرموقة. لكن انقيادها للغرور حال بينها وبين التقدم فما لبثت حتى فقدت رغبتها الموسيقية تدريجاً.

الاسراف في المدح يحول دون المغامرة. في طفولتي درستُ فن الخطابة. وكانت الخطب التي ألقيها تثير إعجاباً كبيراً. وكنت أكتم نزوعاً شديداً الى الرقص، ولم أجسر على درس هذا الفن خوفاً من ألا ألاقي فيه النجاح الذي صادفته في الالقاء. وبعد دخولي الجامعة واظبتُ على اجتناب كل موضوع لا أراه يضمن لي علامات جيّدة.

(*) عازف بيانو شهير أمريكي من أصل روسي.

كذلك فان إدمان المدح أو استمراره على نحو شبه دائم يُفقده كل قيمة. اذا كان كل ما يعمله الولد رائعاً، مدهشا، فلا يبقى لديه مجال للعمل الممتاز. ولكن اذا طالب الاهل والمعلّمون الاولاد ببلوغ مستويات رفيعة، فان كلمة "أجَدْت!" المرتكزة على صحّة الحكم تمنح الذي تقال له شعوراً بصدق الانجاز وأصالته.

المدح الصحيح - في دراسة أجرتها احدى الجامعات تبيَّن أن الطلاب الذين تعودوا سماع الاطراء تخاذلوا أمام التحدّي وكانوا اقل ابتكاراً من غيرهم. هؤلاء هم الذين تحرّكهم الى العمل رغبة في المدح كفرض في ذاته. في حين ان أولئك الذين لم يصيبوا الا قليلا من المدح اكتسبوا عادة الاستقلال في التحصيل، فواجهوا تحدّي الاساتذة بالدفاع العنيد عن مواقفهم لأنهم تعوّدوا "السباحة ضد التيار."

الاطراء، خلافاً للنقد والاخفاق، لا يعلّم درساً. عرفت كاتباً ناشئاً طلب مني أن اقرأ روايته الاولى فوجدت انتاجه واعِداً وقدمت اليه نقداً جدّياً. لكنه قاطعني قائلا: "لا أريد ان أسمع الا الثناء!" بعد عشرين سنة من المزاولة ظل هذا الانسان كاتباً ناشئاً.

أيجب على الوالدين أن يتعمّدوا اجتناب المدح؟ كلّا. فالولد الذي يغامر للوصول الى الجانب الاعمق في بركة السباحة، والذي يجيد إعداد مائدة العشاء من غير تلقين أو يبتكر عملا فنياً رائعاً من المعجون، يستحق كلمة اعجاب ويكسب رضا والديه. في تعاملي مع أولادي وأحفادي وجدت أن أفضل أنواع التقريظ هو المعتدل الخالي من التعميم والكلام الجارف. مثلا: "أصبحت يدك رشيقة في صنع عجة البيض."

بعد نصف قرن ما زلت أذكر استجابة أمي لباقة الزهر التي قطفتها في عيد ميلادها. لم أجد يومذاك سوى بضع بنفسجات، معها بضع شقائق وأقحوانة مجعَّدة. لم تهتف أمي ابتهاجاً بجمال الباقة، بل جاءت بأفضل اناء بلّوري عندها ونسَّقت أزهاري تنسيقاً بديعاً كما لو كانت وروداً طويلة الأعناق، وقرّبت أنفها بالتذاذ من البنفسجات ثم ضمَّتني الى صدرها. كان هذا مدحاً بمعناه الصحيح.

فريديل ماينار ■



ترتيبات صغيرة

نجري أينما كنا بعض الترتيبات الصغيرة، فلا تقدر عوادي الزمن التي لا حكم لنا عليها أن تنال منا. وتأتي هذه الترتيبات من خلال صور وألوان أو من خلال حديقة أو تزيين غرفة أو من خلال أصوات أو كلام. بذلك نصنع كياناً صغيراً نرتاح اليه فنشعر بالطمأنينة والهدوء.

روبرت فروست، شاعر امريكي



أنت في الداخل



والأسد في الخارج ستبقى دائماً في الطليعة

بيجو ٥٠٥ جي تي آي : إجلس داخل هذه السيارة الفاخرة الوثيرة وأعلم انك داخل سيارة في طليعة المنافسين.. سيارة تميزك عن الجميع .

وعندما تبدأ بالقيادة تدرك أننا لم نبخل بأي تحسينات .. أنظر إلى لوحة أجهزة القياس، والمس أجهزة التحكم وأشعر بقوة المحرك البخاخ وهو يدفعك إلى الأمام .

وجرب الأداء الممتاز واستمتع بالقيادة، وتحسس الخطوط الأنيقة تشق الهواء.. عدل مكيف الهواء وأدر الموسيقى واطرب لهذه التجربة الفريدة الفائقة في قيادة السيارات .

سيارة بيجو ٥٠٥ جي تي آي .. سيارة تجلب قيادتها متعة عظيمة .. سيارة تفخر بإقتنائها .. انها ليست سوى سيارة بيجو.



PEUGEOT

بيجو

وثبة الجودة

يوم ينقضي وآخر يجيء
ولا سبيل سواها لمغالبة الكآبة

روزنامة الفرح

في ١٤ مارس (آذار) ١٩٨٦ أصبت بنكسة في عملي. لا تلق بالا إلى السبب، فأنا لا أرغب في الاسهاب. أمضيت ساعة أرثي لحالي ولكل الجهد الذي أفضى الى لا شيء. ثم أنزلت روزنامة خاصة عن جدار مكتبي وأنعشت نفسي بتعداد عطايا أنعم بها علي في حياتي.

أدعوها روزنامة الفرح. ابتكرتها عام ١٩٨٤ بعد نكسة سابقة، وسيلة لصرف ذهني عن المشاكل. ابتعت روزنامة ذات مربعات بيضاء كبيرة لكل يوم من أيام السنة، وبدأت أدوّن فيها متى شعرت بالسعادة وأين ومع من. هذه الروزنامة الكبرى استقيت موادها من مفكرات المواعيد اليومية التي احتفظت بها لأعوام، وفيها سأسجل أسعد ٣٦٥ يوماً في حياتي.

طريقتي منذ البدء كانت بسيطة: سطرت في رأس صفحة يناير (كانون الثاني) من روزنامة الفرح: "احص الايام المشمسة فقط،" مستذكراً نقشاً على مزولة شمسية رأيتها وأنا طفل. ثم ذهبت منقباً في كل المفكرات التي احتفظت بها مذ كنت في التاسعة حين اعطاني والدي، اثر التحاقه بالخدمة العسكرية، مفكرة مواعيده التي لن يستعملها عام ١٩٤٤. (يوم عاد والدي الى البيت احتل مكانه في روزنامتي الجديدة: "١٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٥: يوم العناق الاكبر.")

من بين هذه المواد الاولية جمعت لائحة بأسعد أيام حياتي منذ الطفولة حتى ذلك الاسبوع من العام ١٩٨٢. بعد ذلك رسمت خطة من ثلاث مراحل لتحديث الروزنامة. أولاً، أخذت آخر كل شهر أنتقي من مفكرة مواعيدي الحالية ثلاثة أيام أو أربعة من أسعد الأيام. فتصبح هذه عناوين في رأس صفحة ذلك الشهر. ها هي للمثال عناوين يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢: "مايكل وتوماس يعزفان في الحفلات،" و"أنا وهند نحتفل بعيد ميلاد فرجيل."

مايكل وتوماس هما ولدانا وقد عزفا على الفيتار في حفلتين غنائيتين في ١ و٢ يناير. وهند هي زوجتي، وقد احتفلنا بعيد ميلاد صديقنا فرجيل بورنيت في ١١ يناير.

المرحلة الثانية تنجز يوم رأس السنة التالية حين أفرز العناوين الشهرية مضيفاً تواريخها إلى روزنامة الفرح. (العناية بها أسهل من اتخاذ قرارات للسنة الجديدة.)

سُئلت: "لكن ماذا تفعل إن كنت دونت

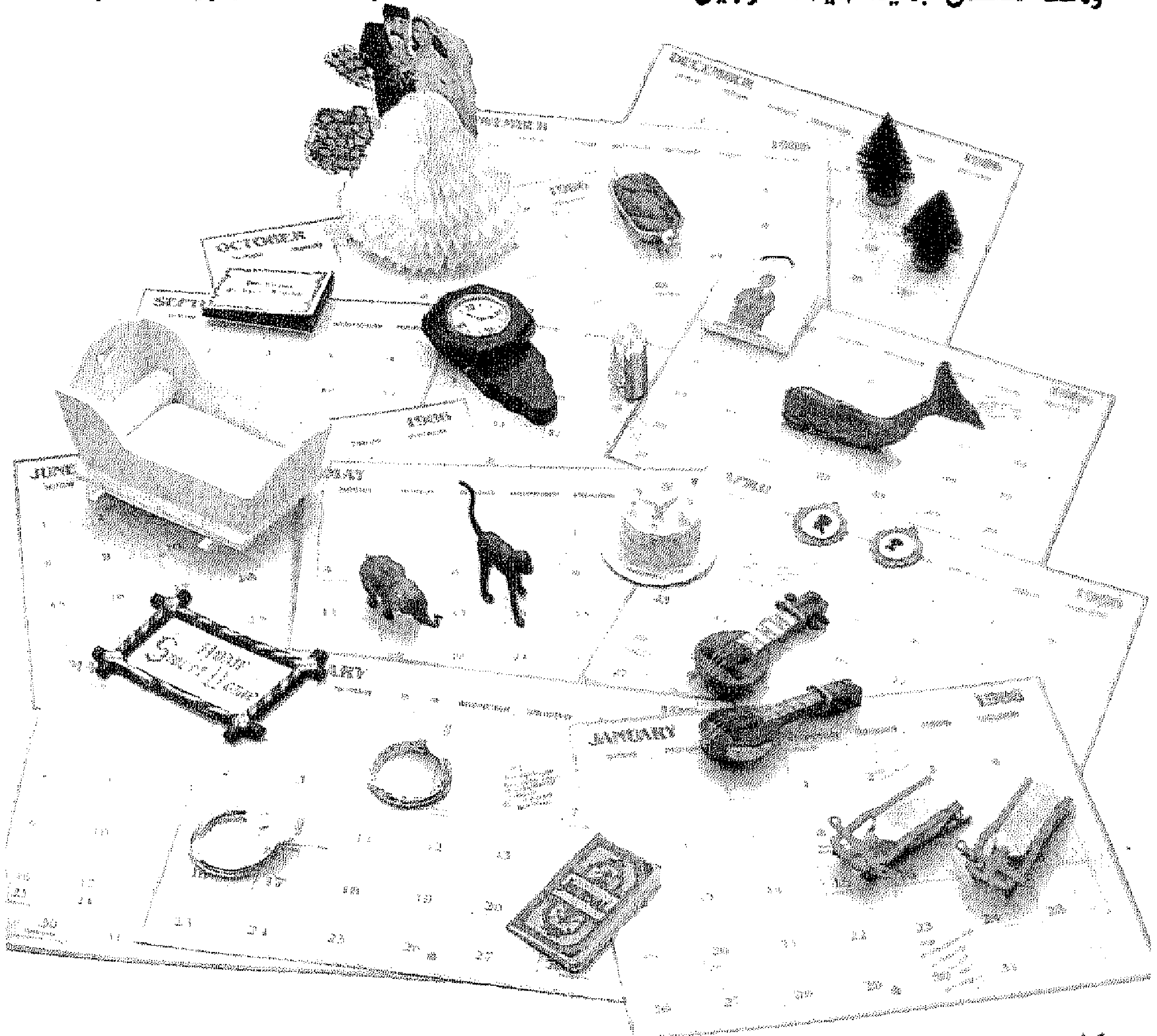


Photo: Al Francerevich

يوماً سعيداً في تاريخ معين؟" هذه هي المرحلة الثالثة السهلة: أدون اليوم السعيد الجديد على ظهر الروزنامة. وحين أتم هذه السنة الأسعد في حياتي، سأبدأ أخرى. وفي أي حال ليست لدى المرء سنوات سعادة كثيرة.

في ما يأتي بعض الفقرات التي تفسر ما يمكن أن تفعله بروزنامة الفرح. وآخرها يظهر فائدة الروزنامة أيام البؤس الآتية بلا ريب.

يناير (كانون الثاني). اليوم الثلاثون كان الاسعد عام ١٩٦٦. ورد في روزنامتي: "ريفرديل، نيويورك. تزلجت مع ولديّ مايكل (٤ أعوام) وتوماس (٣ أعوام)." الملحوظة تذكرني بأني طلبت منهما أن يمتطيا ظهري ثم انزلقنا على هضبة الثلج من أعلى تمثال هنري هدسون حتى السياج.

فبراير (شباط). عيد ميلادي في ٧ فبراير وهو أيضاً يوم ميلاد الروائي البريطاني تشارلز ديكنز. في ٦ فبراير ١٩٧١ أقمنا أنا وزوجتي ما سمّته بطاقات دعوتنا "حفلة تنكرية للاحتفال بذكرى ميلاد تشارلز ديكنز." ارتديت زي "السيد بيكويك" (١) وجاء صديقنا ماوري برسلو في زي "ساوربري" متعهد دفن الموتى في رواية "أوليفر تويست." كانت أمسية رائعة عززت اعتقادي أنه حيث يكون أصحاب الود تكون السعادة حتماً.

مارس (آذار). في ٢٧ مارس ١٩٨٥ رأيت حيتاناً رمادية تندفع بعيداً عن ساحل كاليفورنيا، فوثب قلبي جذلا. لا أستطيع أن أعلل لماذا جعل المشهد ذلك اليوم أحد أسعد أيام حياتي، فلكل امرىء تعريفه الخاص بالسعادة.

ابريل (نيسان). أحد أسعد الايام في عملي ٨ ابريل (نيسان) ١٩٥٩. كنت مراسلا لصحيفة "ريجستر ريببليك" الصادرة في روكفورد بولاية إيلينوي، أغطي أخبار الشاعر كارل سندبرغ وهو يتسلم شهادة فخرية من جامعة روكفورد. في زيارة إلى المتحف المحلي ابدى سندبرغ اعجابه بنقوش في الخشب من صنع مزارع متقاعد من روكفورد اسمه أكسل فارب.

وكان من المقرر أن يرتاح سندبرغ العجوز في قيلولة قبل الاحتفال، الا أنه أصرّ على زيارة المزارع ليخبره باعجابه. ذلك اليوم أدركت قيمة استغلال الوقت لابداء التقدير. وقد تصدّر مقالي الصفحة الاولى وأنالني جائزة في مسابقة لكتابة التحقيقات نظمتها وكالة "أسوشييتد برس" للانباء.

مايو (أيار). في السابع من مايو ١٩٥٩ أوفدتني صحيفة "ريجستر ريببليك" للكتابة عن اخراج جامعي لمسرحية "أنتيغون." كان الدور الرئيسي في المسرحية لطالبة عراقية من بغداد اسمها هند رسّام. وكتبت مقالة أثني فيها على أدائها، وعززت رأيي بأن اتخذتها زوجة.

(١) الشخصية الرئيسية في كتاب "أوراق بيكويك" لتشارلز ديكنز.

▩ **يونيو (حزيران)**. كان تاريخ تخرجي في الجامعة في ٢ يونيو (حزيران) ١٩٥٦ يوما سعيداً. وهو أيضاً تاريخ مولد أمي. وها قد انقضت تسعة وعشرون يونيو على ذلك، وككل الاشهر حوت الايام السعيدة والتعسة. ثم بغتة حل العام ١٩٨٥. اصطحبت أنا وهند أمي لتحضر حفلة تخرج توماس في جامعة هارفرد في يوم السعد ٦ يونيو.

▩ **يوليو (تموز)**. في الرابع من يوليو (تموز) ١٩٨٠، ذكرى استقلال أمريكا، كنت مسافراً في الطائرة من كاليفورنيا إلى نيويورك. كانت السماء زرقاء صافية طوال الرحلة. وأمضيت خمس ساعات طائراً وأنفي ملتصق بالنافذة، محتفلا بذكرى الاستقلال من المحيط الهادىء الى المحيط الاطلسي.

▩ **أغسطس (آب)**. وصلت أنا وهند الى لندن في ١٥ أغسطس ١٩٨٤. وفي ١٦ منه تأخرت الطائرات في الاقلاع حتى قبيل الفجر. بعد الهبوط أدركنا سيارة أجرة تجوس الطرق ليلا، وقصدنا جسر واترلو لنرقب الفجر بازغاً على لندن. ثم تناولنا فطوراً من شرائح لحم وبيض مع الجزارين في سوق لندن المركزية للحوم، وعدنا الى الفندق وغفونا كالاطفال.

▩ **سبتمبر (أيلول)**. في ٢٧ سبتمبر ١٩٨٥ سرت وزوجتي نزولا الى نهر هدسون فيما الاعصار "غلوريا" يتبدد رويداً رويداً. كل الاشياء رمادية وبيضاء أعقبتها سحب تسوقها الرياح. ثم عاد الأزرق تدريجاً. وكان هناك شخص آخر في المتنزه المحاذي للماء، هتف لنا: "هذا الطقس يروقني، فأنا أهوى الايام العواصف."

سرت قشعريرة في ظهري. وتذكرت مرة حينما أخبرني الحلاق وهو يقص شعري انه رأى جدي مرة عائداً إلى البيت بعدما ولّد طفلا في يوم عاصف كهذا، وأن الجد صرخ: "انه الطقس الذي أحب يا جيمي، الأيام العواصف!"

لو اني تذكرت تاريخ اليوم الذي قال فيه جدي تلك الكلمات، لأدرجته في روزنامتي.

▩ **أكتوبر (تشرين الاول)**. في السادس عشر من هذا الشهر عام ١٩٦٥ اصطحبت وهند صغيرينا في نزهة. وفجأة قالت هند: "أنصتوا جميعاً، أتسمعون حفيف الأوراق؟" دونت كلماتها على عجل في مغلف عثرت عليه بين كدسة أوراق بعد ١٧ عاماً، وأدرجت ١٦ أكتوبر مثلا على "يوم خريفي نموذجي."

▩ **نوفمبر (تشرين الثاني)**. في ٤ نوفمبر ١٩٨٤ سمعت الطائر الحاكي يغرد على شجرة قرب بيتنا. عددت سبع تغاريد منفصلة، ثم كررها الطائر منذ البداية. هرعت لأحضر آلة التسجيل، ولكن حين عدت إلى الخارج كان الطائر اختفى. واستبقيت عبرة من ذلك: "أنصت إلى الطائر الحاكي ولا تدع اللحظة تفوتك."

▩ **ديسمبر (كانون الاول)**. كمعظم الناس، لدي عطل سعيدة تملأ عشرات

الروزنامات. لكن ما يستوقفني هو اليوم التالي لميلاد ١٩٨٥. كنا نتبادل الاحاجي التمثيلية في العائلة كعادتنا كل عام، وكانت ابنة شقيق زوجتي، ياسمين رسام، معنا للمرة الاولى بعد عشر سنين. كنا في هذه "الفوازير" نحاكي عناوين الافلام ايماء.

وكان صهري جو كيتنغ استل سلاحه السري: فيلماً منسياً يرقى الى العام ١٩٤٦ لم يعرض حتى في التلفزيون. شرعت أحاكي الكلمة الثالثة من العنوان وهي "يقابل"، بأن أمثل ايماءً شخصين يتصافحان. على الفور صاحت ياسمين: "دك ترايسي يقابل كيوبول" (٢).

صعقنا. كيف حزرت ذلك؟ كان جو حين استعمل سلاحه في المرة الاخيرة عام ١٩٧٥ أربك الفريق المنافس وأربح فريقه.

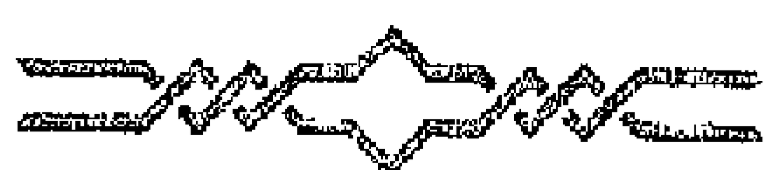
كان هناك جواب عن تساؤلنا. ذاك اليوم من العام ١٩٧٥ كانت الاحاجي التمثيلية الاولى التي شاركت فيها ياسمين وكان لها من العمر تسعة أعوام، ولم تنس قط اسم الفيلم الذي فاز به جو. انه تفسير انتصارها الكبير في التمثيلية التحزيرية عام ١٩٨٥.

وهذا يقودني الى المثال الثالث عشر، يوم البؤس في ١٤ مارس (آذار) ١٩٨٦. حين رمقت روزنامة الفرح ذلك اليوم أعدت قراءة فقرة عمرها ستة أعوام. في ١٤ مارس (آذار) ١٩٨٠ أخذت ابني الاصغر ورفيقته في السيارة الى مدينة نيويورك لمشاهدة أحد أفلام تشارلي شابلن. ثم، بعد مشاهدة قردة الغاب في سيرك برونكس، تناولنا العشاء في مطعم مشرف على نهر هدسون. ومع أن ابني بعيد الآن عني، منهمك في أبحاث عن قردة الغاب في بورنيو بالشرق الاقصى، فان روزنامتي تذكرني بأن هذا اليوم الكئيب اضاءته الاحداث المشرقة.

هذا دليل على أنه مهما بلغ البؤس في ذاك اليوم من ذلك الشهر من تلك السنة، فإنني كنت سعيداً في ذلك التاريخ، على أمل أن يكون هذا اليوم أسعد في سنة مقبلة.

جون كالهان ■

(٢) Dick Tracy Meets Cueball



الحياة في المزرعة

ساندرا داي أوكونور، القاضية في المحكمة العليا في الولايات المتحدة، أمضت أسعد أوقاتها في مزرعة كبيرة ممتدة على حدود ولايتي نيومكسيكو وأريزونا. في السن العاشرة كانت تقود شاحنة وجرّاراً ذراعياً. ومن أقوالها: "لم أقدر على القيام بجميع أعمال الصبيان، لكني شاركت في إصلاح طواحين الهواء والسياجات."

وتتذكر ابنة عمها وصديقة حداثتها: "لعبنا بالدُمى لكننا تعلّمنا أيضاً استعمال مِفكّات البراغي. حياة المزرعة عوّدتنا الاكتفاء الذاتي."

مجلة "تايم"

بَطلٌ منْ نَار

ساعة توقيت بدأت تتكّ في ذهن الاطفائي وهي مربوطة بخزان وقود يتمدد بفعل الحرارة وعندما تتوقف تكات "الساعة" سيقضي على الركاب

الزمان هو ٢١ أبريل (نيسان) ١٩٨٦. جون باتريك سوليفان البالغ من العمر ٥٣ عاماً والذي يعمل اطفائياً في مدينة نيويورك شعر ذلك اليوم بتعب شديد. كان في زيارة أصدقاء له في ضاحية وستشستر وغادرهم قبيل منتصف الليل متوجهاً الى بيته في برونكس بمدينة نيويورك.

بعد ٢٩ سنة من الخدمة في أكثر دوائر الاطفاء انشغالا في العالم، بقي سوليفان مهتماً بلياقته البدنيّة. وغالباً ما نبّه الاطفائيين المبتدئين: "يجب أن تظلوا جاهزين على الدوام."

بعد عشرين دقيقة كان سوليفان يقترب من جادة عريضة في أولها ستة مجازات تقطعها الآليات مسرعة لتصب في باحة مضيئة تضم ١٨ حجيرة لتلقي رسم العبور.

فجأة لمع شهب نار في الظلمة على بعد ١٤٠ متراً من يمين سوليفان ومئات الامتار من الحجيرات.

نفض سوليفان عنه التعب وانحرف في

Illustrations: Christopher Magadini

اتجاه النار. والأمر الذي لا يصدّق أن أحداً لم يلاحظ ألسنة اللهب التي تعالت خمسة أمتار في غضون ثوان قليلة.

وصل سوليفان الى طرف الجادة وأوقف سيارته واندفع نحو النار. خاطب نفسه: ربما ليس هناك خطر. فاندلاع النار في سيارات مهجورة على جادات نيويورك أمر ليس مستغرباً.

بعد ذلك رأى هيكل شاحنة مقلوبة وألسنة لهب تتطاير من محركها. واذ تقدّم من الشاحنة شعر بانشداد في جلده بفعل الحرارة الحارقة.

صرخ: "هل ثمة أحد هناك؟"

أمّا المنظر المروّع فكان رؤيته سيارة صغيرة محطمة على بعد ثمانية أمتار من الشاحنة. وبدا أن الحادث وقع قبل وقت قليل فلم يلحظه أحد من السائقين الآخرين.

صرخ سوليفان ثانية: "هل من أحد يسمعني؟" لكن الاصوات الوحيدة التي سمعها كانت أصوات السيارات المسرعة وهسيساً منبعثاً من خزان وقود تعرض لحرارة عالية. وفي وقت انفجرت احدى عجلات الشاحنة فكّر هو: يجب أن أصل الى الداخل؟

صبيّان باكيان - كان سوليفان خاطر بحياته سابقاً ومنح وسامين لشجاعته من دائرة الاطفاء في مدينة نيويورك، كما حاز وسامي حرب في كوريا. لكن الأمر مختلف الآن لان الرجل غير متأكد من وجود أحد في أي من الآليتين.

قفز سوليفان الى جانب الشاحنة المقلوبة. كانت ألسنة النار وصلت الى بُعد أقل من متر واحد عنه بفعل ريح خفيفة مفاجئة. نظر الى داخل مقصورة الشاحنة عبر نافذتها فوجد كتلة متشابكة من أيد وأرجل. وتعالى صراخ من الداخل وأخذت امرأة تستغيث بالاسبانية: "أنقذني يا إلهي!"

وانفجرت عجلة أخرى محدثة دوياً كبيراً. وأخذ الهسيس يعلو. ولم يعر سوليفان الهسيس القاتل اهتماماً كبيراً بل اندفع داخل المقصورة وجعل يشد يداً صغيرة صوب النافذة.

أخذ صبي صغير يبكي مرتعباً في وقت كان سوليفان يشدّه الى صدره ليقيه ألسنة اللهب. أنزله الى الارض وصرخ في وجهه: "أركض! أركض!"

ثم دخل المقصورة ثانية فوجد يد صبي أكبر سنّاً. وبحركة واحدة أخرج الصبي من المقصورة وأنزله أرضاً. فركض الصبي الى حيث كان الآخر وأخذا يصرخان لكنهما لم يتأذيا.

كان الصغير يهتف: "أمي! أمي!"

"ساعة" ذهنية - أحب سوليفان الصغار أكثر من أي شيء آخر. وهو رزق وزوجته ارين أربعة أولاد، بنتاً وثلاثة صبيان. وكان يشكر الله كل يوم لقدرته على تربيتهم.

لم يبق في المقصورة سوى والدة الصبيّين وهي تئن من الألم.

أمسك سوليفان بذراعها لكنها جذبتها. فخاطبها بهدوء: "هدئي من روعك، فكل شيء سيكون على ما يرام."

علا صوت رجل على صراخ المرأة ففكر سوليفان: يا إلهي، ثمة رجل هناك! في أثناء ذلك امتزجت الهسهسة بفرقعة المعدن المتمدد.

بدأت ساعة توقيت تعمل في ذهن سوليفان. فخبرته عبر ثلاثة عقود أنبأته أنه ما ان تتوقف تكة "الساعة" حتى يقضي على الضحايا المحاصرة. وخاطب نفسه: يجب أن أتصرّف.

لم يبقَ وقت للتصرف برفق. أمسك سوليفان المرأة بقوة. وبعدما ملأ رئتيه هواء سحبها عبر النافذة. وما ان وضعها على الارض حتى ركضت الى الجهة الآمنة حيث حضنت الولدين الباكيين.


مرّة أخرى اندفع سوليفان صوب النافذة. كانت النار تغطي المقصورة وتعلو. أما المسيس فتغيّر الى متقطع، فعال، فهادىء. لم يبق إلا دقائق قليلة.

"هيّا! يجب أن تخرج بسرعة." بهذه العبارات خاطب سوليفان الرجل الذي كان في الداخل. وضع يديه خلف ظهره وجذبه اليه ونقله برفق الى الخارج.

وتسارع المسيس، وتطايرت شرارات اللهب في كل مكان. وحمل سوليفان الرجل على كتفيه. ثم توقف المسيس برهة وبدا كأن الرجل يستجمع قواه. صلّى سوليفان طالباً العون من الله. وبعدما أخذ نفساً عميقاً جرّ الرجل الى جانب الجادة

ضحية خامسة – توقف سائق جرار قرب المكان لمد يد العون. وفي تلك اللحظة التهمت النار المقصورة الفارغة. وبعد ثوان كانت الشاحنة تحترق بكليتها، فهرع سوليفان الى السيارة المحطمة. وفي وهج الشاحنة المحترقة بدا أن ثمة رجلا داخل السيارة فاقداً الوعي وهو عالق بالمقود.

كان سائق الجرّار غاري واين تولمان،



ووزنه ١٠٣ كيلوغرام، يحاول سحب الباب بكل قوته.

وخاطبه سوليفان: "دعني أحاول." ودخل حطام السيارة وحرك قفل الباب، لكن الباب لم يفتح. في أثناء ذلك كان الرجل يئن في الداخل والدم يغطي وجهه.

وانفجرت عجلة ثالثة في الشاحنة. وكانت أصوات النار تشبه دوي عاصفة تقترب. هاجم سوليفان الباب العالق بيدين فارغتين، وكانت الاصوات تتعالى خلفه ومنها صفارات انذار. وضع قدماً على الباب الخلفي وجمع قواه وأخذ يجذب الباب الى أن فتح.

همدت النارِ قليلا ووجد سوليفان حزام الأمان الذي زنّر السائق فضغط زره بغية تحريره. وحرك الرجل كي يبعده عن المقود. وبعد لحظات سحبه من السيارة.

مرت ثوان على انقاذ الأربعة من الشاحنة. وفي حين كان سوليفان ينقل الضحية الخامسة بمساعدة تولمان أدى انفجار كبير الى قذفهم فسقطوا أرضاً. وجه سوليفان نظره صوب الانفجار فرأى شظايا نارية تتطاير في الفضاء الى ارتفاع ٦٠ متراً.

وبعد لحظات وصل صهريج إطفاء تبعته سيارة اسعاف نقلت الضحايا الى المستشفى.

أشجع الرجال – لحقت حروق بيدي سوليفان، وأخذ رجال الشرطة اسمه كشاهد على الحادث. وفيما هو يركب سيارته للتوجه الى بيته هرعت اليه ساندرا نيلر وهي من اديسون في ولاية نيوجرزي وقد شاهدته ينقذ الضحايا. فخاطبته والدموع تترقرق في عينيها: "أنت أشجع رجل رأيته في حياتي. فليباركك الله."

شعر سوليفان ببعض الارتباك فتمتم كلمات قليلة وانصرف. ووصل الى بيته في ساعات الصباح الاولى شاعراً بوطأة ما حدث. أراد أن يوقظ زوجته ليخبرها لكنها كانت ستستيقظ في الخامسة من صباح ذلك اليوم، لذلك قرّر عدم ايقاظها.

توجّه سوليفان الى البراد وفتح زجاجة حليب وجلس يرتشفها. وقفزت شاتون، كلبة العائلة، الى حضنه.

قال لها: "دعيني أخبرك بما حدث الليلة..."

في ٢٣ مايو (أيار) أقيم عشاء رعته دائرة الاطفاء في مدينة نيويورك، وتسلم سوليفان خلاله وساماً خاصاً من المحافظ لانقاذه حياة أنّا بيريوس وولدها لويس وصديقه خوان وسائق الشاحنة بيدرو فينشنتي وجيرو أوغاوا سائق السيارة الصغيرة. وفي أثناء الحفلة وصف مفوض الاطفاء سوليفان بأنه واحد من الابطال الذين نقرأ عنهم دائماً من دون لقياهم."

أما جون سوليفان فتوقف عند كلمة "بطل" فهو يصرّ على أن غريزته قادته الى النار وأن السنوات التي قضاها في التدريب ساعدته. ويؤكد أن "البقاء على استعداد" شعار للاطفائيين في كل مكان.

شيلدون كيلي ■

التصحيح يحقق الكثير، لكن التشجيع يحقق أكثر.

غوته، شاعر وكاتب الماني



خواطر باردة



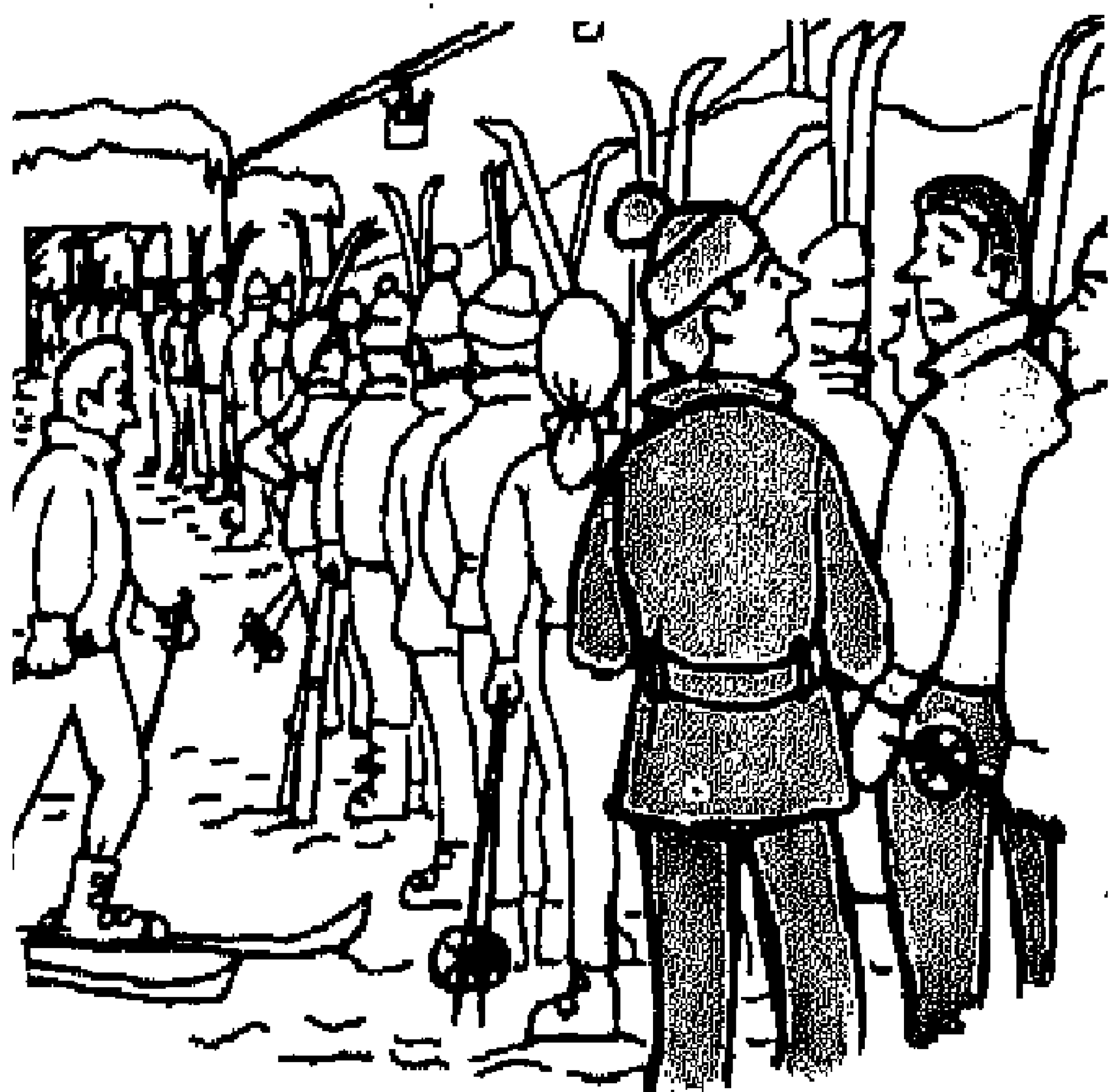
"تمهل يا عزيزي، أعتقد أننا اجتزنا الفندق."

Art Gates, Gates Features



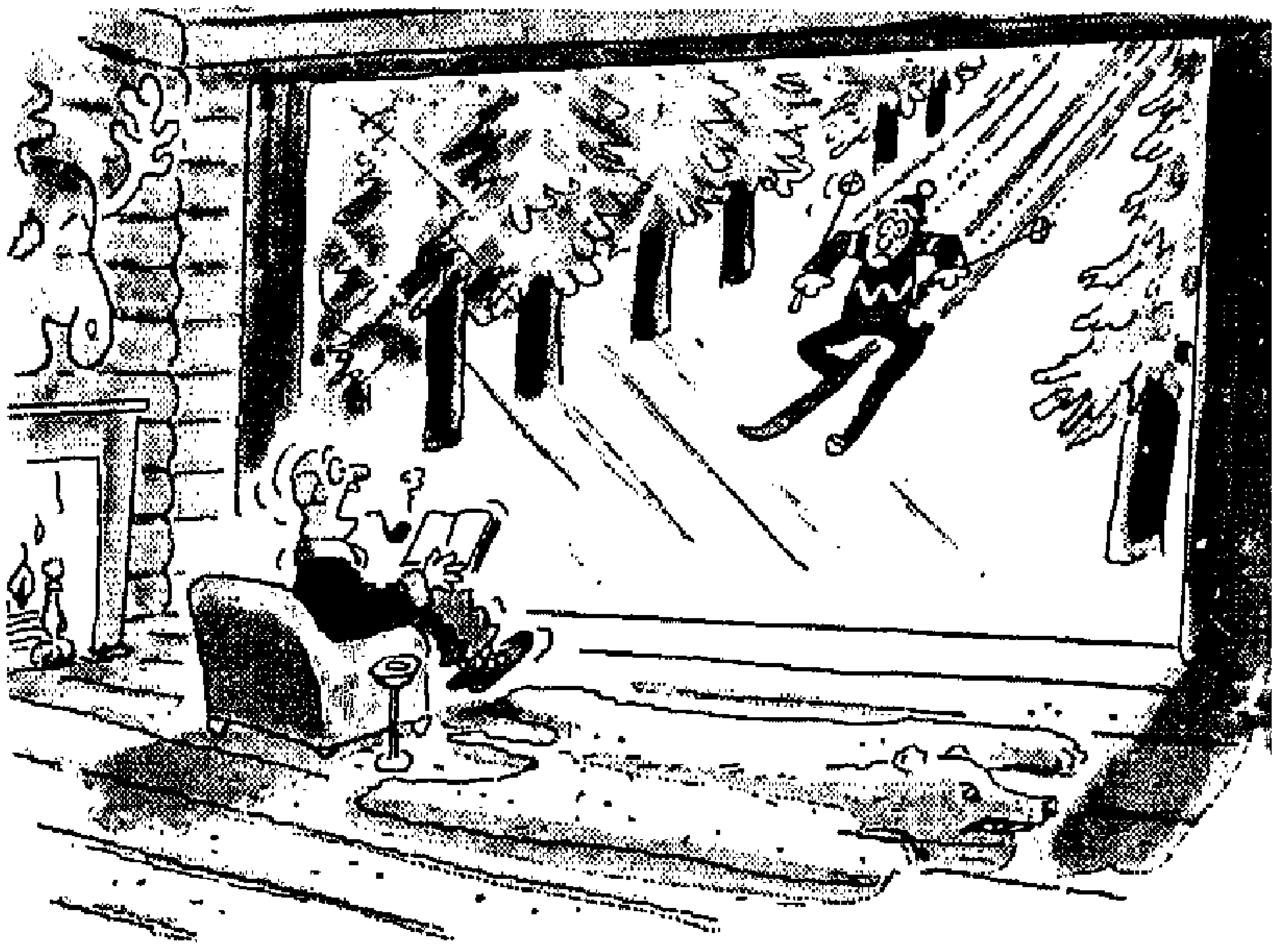
"انتهى درس اليوم."

Cartoon by Ulrich Günther, reproduced by permission of Punch



"كان لا بد لي من الابتعاد عن زحمة العمل."

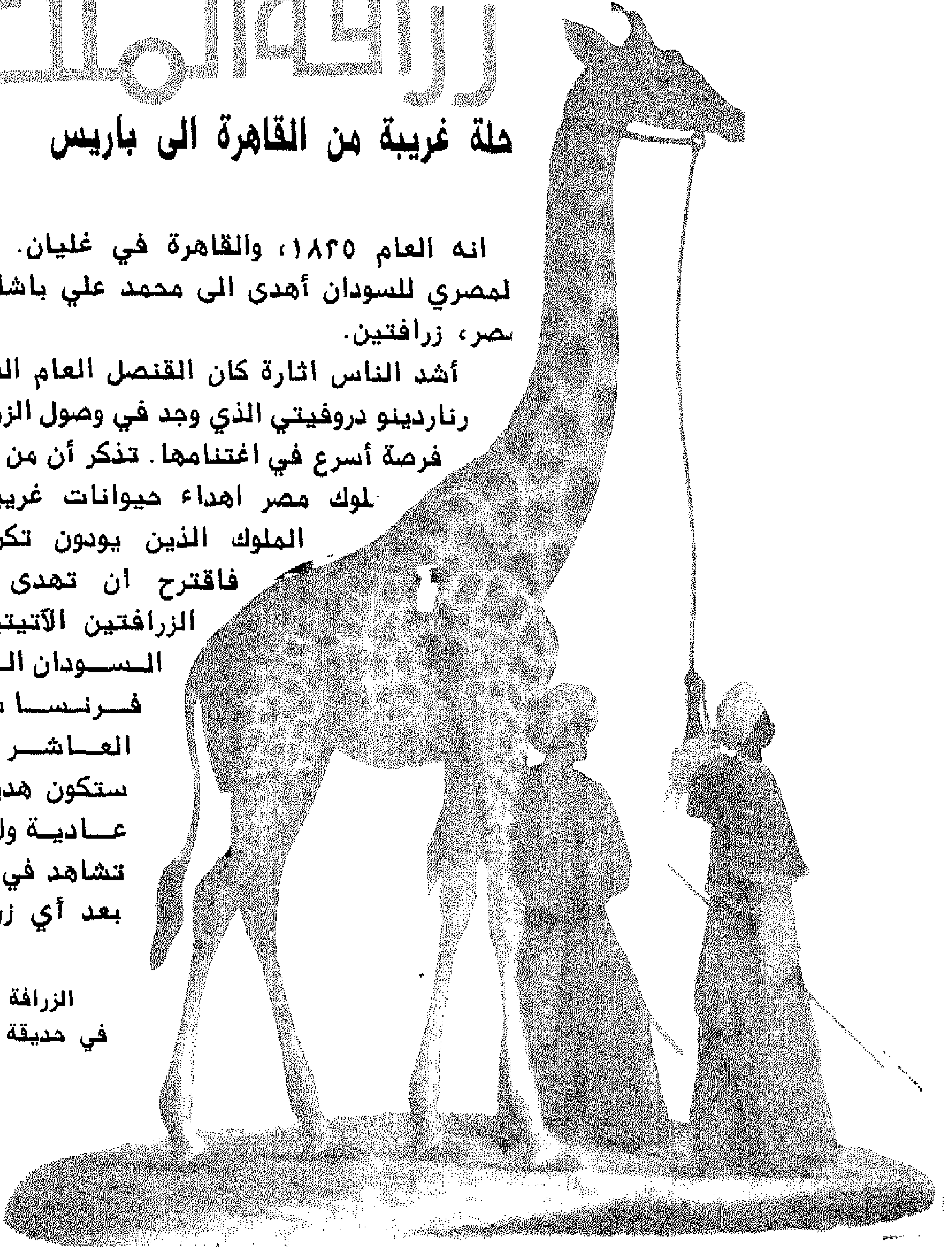
Sauers in the Wall Street Journal



Jerry Marcus in National Enquirer

زرافة الملك

حلة غريبة من القاهرة الى باريس



انه العام ١٨٢٥، والقاهرة في غليان. الحاكم لمصري للسودان أهدى الى محمد علي باشا، والي مصر، زرافتين.

أشد الناس اثارة كان القنصل العام الفرنسي رناردينو دروفيتي الذي وجد في وصول الزرافتين فرصة أسرع في اغتنامها. تذكر أن من تقاليد لوك مصر اهداء حيوانات غريبة الى الملوك الذين يودون تكريمهم. فاقترح ان تهدى احدى الزرافتين الآتيتين من السودان الى ملك فرنسا شارل العاشر لانها ستكون هدية غير عادية ولانه لم تشاهد في فرنسا بعد أي زرافة.

الزرافة وخادمان في حديقة النبات.

Condensed from UNESCO Courier (March 1986), © 1986 by UNESCO.
Photos: Bibliothèque du Muséum d'Histoire Naturelle, Paris

وافق محمد علي باشا من فوره. فبرزت مشكلة النقل الى فرنسا. لكن القنصل دروفيتي أعد للرحلة باعتناء اذ وجد في الاسكندرية سفينة شراعية سردينية تعهّد له قبطانها أن يأخذ على عاتقه معاملة هذه الدابة كما يعامل ولده. ولما كان ارتفاع الطبقة السفلى من السفينة غير كاف، فقد فتحت فوهة في الطبقة العليا بحيث وضعت الزرافة في الطبقة السفلى ورأسها خارج من الفوهة. وكسيت حافات الفوهة بالقش حماية للزرافة من الضربات عند تقلّب المركب. ولوقايتها من المطر نصب مشمّع فوق رأسها.

اما المشكلة الثانية فكانت اطعام هذا الحيوان الذي يستهلك ٢٥ ليتراً من الحليب يومياً. وأحسن دروفيتي التدبير فقرر ان تنقل مع الزرافة ثلاث بقرات وظبيتان وحلّاب وثلاثة سودانيين، وذلك لتظل الزرافة تشعر بأنها لا تزال في موطنها، وكطلسم أخير وضع دروفيتي في عنقها رقّاً.

الاستوائية الجميلة - أبحرت السفينة. وفي ٢٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٢٦ ألقت مرساتها في مرسيليا. ونقل جميع من فيها، من ذوي الرجلين او الاربع، الى المحجر الصحي قرب المرفأ لاعطاء السيد فيلنوف بارجيمون رئيس بلدية بوش - دو - رون وقتاً لاعداد استقبال مناسب للهدية الملكية.

وقف فيلنوف بارجيمون نفسه بحماسة لهذه المهمة. ومن الطبيعي ان يكون المكان الوحيد لزائرة في مثل هذا الامتياز مقر البلدية. سُيّج ملعب البلدية وأقيم فيه اصطبل دافىء. وخوفاً من اثارة الشعب نقلت الزرافة من المحجر الصحي الى مقر البلدية في سكون الليل.

هناك أمضت فصل الشتاء، اذ تأجلت رحلتها الى باريس حتى حلول الطقس الدافىء. أما فيلنوف فبقي ستة أشهر يشرف على ضيفته بعناية الى حد أنه أدخل اللغة الشعرية مراسلاته الادارية حين أشار الى الزرافة بعبارة "ابنة المناطق الاستوائية الجميلة."

وأما زوجته فأقامت سلسلة استقبالات لعرض الحيوان. جموع من ابناء الطبقة الراقية تدفقت ليل نهار لتشاهد الزرافة، مراقبة تصرّفها ومعجبة بسكوتها.

ولحفظ الزرافة في حال جيدة، قرر رئيس البلدية انه يجب ان تمارس بعض التمارين. فكانت كل يوم تزهو في شوارع مرسيليا يتقدمها فرسان الدرك وهم شاهرو السيوف. وكم أشاع هذا المشهد البهجة في السكان والرعب في الخيل.

ومهما يكن فالملك كان متشوقاً لاستقبال زرافته. فتقرر نقلها مشياً الى باريس في مطلع الربيع، على مراحل. وللاشراف على الموكب وقع الاختيار على اتيان جوفروا سانتيلير العالم الشهير في التاريخ الطبيعي وربما كان الرجل الوحيد في فرنسا الذي رأى زرافة عن كثب.

كان جوفروا سانتيلير في الخامسة والخمسين من عمره ويعاني داء المفاصل، لكنه قبل المهمة بحماسة. وروى عنه غبريال داردو في كتابه "زرافة الى الملك" ما يأتي: "بشجاعة وضع بعض حاجاته الضرورية في حقيبة وركب عربة. وفي ستة أيام ونصف يوم قطع المسافة

التي سيعيد سلوكها مع الزرافة في ما بعد."

كل مرحلة من الرحلة أُعدّ لها اعداداً تاماً. أما الموكب فكان يضم الزرافة والبقرات الثلاث وظبية واحدة (الظبية الثانية نفقت في مرسيليا) وخروفين بريين والحلاب والسودانيين الثلاثة ومترجماً وعربة بعجلتين محملة علفاً وحبوباً وسوى ذلك من الامتعة.

ولوقاية الزرافة مطر الربيع، كسي جسمها وعنقها بقطعتي قماش مشمعتين ومرصعتين بوشاحي ملك فرنسا ووالي مصر.

أما فيلنوف فزود الموكب حرساً من فرسان الدرك ووجه الى عمدات منطقة بوش - دو - رون التي يمر فيها الموكب رسائل يعلمهم فيها بمروره ويضمّنها تعليماته.

استقبال رسمي - فجر العشرين من مايو (ايار) ١٨٢٧ انطلق الموكب وعلى رأسه جوفروا سانتيلير. في المدينة جلس الى جانب حوذي العربة. ولما أصبح خارجها سار الى جانب الزرافة منتعشا بالاستقبال الشعبي الحماسي.

مرّ الموكب في أكس - اون - بروفانس وأفينيون وأورانج ومونتيليمار وفيين. وفي ٦ يونيو (حزيران) وصل الى ليون قاطعاً يومياً حوالى ٢٧ كيلومتراً.

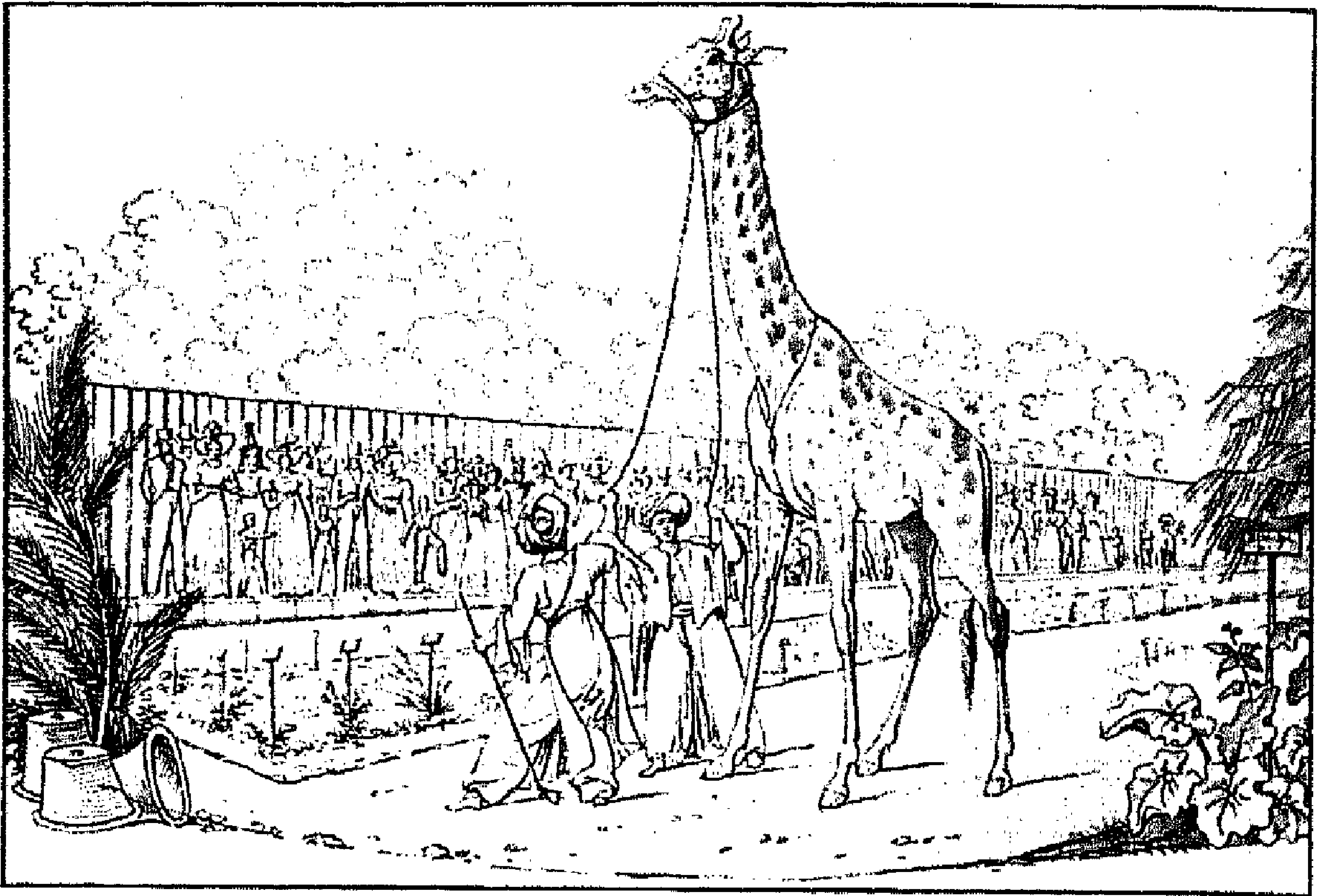
من ليون كتب جوفروا سانتيلير الى فيلنوف بارجيمون: "التقطت الزرافة مسماراً في غشاء ظلفها. ويظهر أنها متعبة من جراء المشي المتواصل. لكنها على رغم تعبها مطيعة جداً."

كانت ثمة حاجة الى الاستراحة برهة. فاستقر الموكب خمسة أيام في ساحة بلكور. أما الزرافة فسرّها أن تعري اشجار الزيزفون من أوراقها وأن تتقبل بعض ما يطعمها اياه المتفرجون.

بعد ذلك تابع الموكب سفره مخترقاً الجموع الغفيرة. وعندما رهج على بعد ٥٠ كيلومتراً من باريس نظمت النزهات والمسيرات لاستقباله. حتى الروائي



العالم الطبيعي الفرنسي جورج كوفييه لم يكن رأى الزرافة عندما وضع هذا الرسم.



كانت الزرافة النجمة الجذابة حينما تُشاهد وهي تتجول في الحديقة كلما سمح لها المناخ بذلك.

ستاندال انضم الى صفوف المشاهدين.

في ٣٠ يونيو (حزيران) وصل جوفروا سانتيلير الى باريس على رأس الموكب منهوك القوى بعدما قطع مسافة ٨٨٠ كيلومتراً في ٤١ يوماً. أنزل الزرافة حظيرتها في حديقة النبات وهي حديقة للنبات والحيوان في باريس. لكنه ما كاد يستعيد تمتعه بالدفء قرب الموقد حتى استدعاه الملك الذي كان في قصره في سان كلو تواقاً الى رؤية الزرافة.

كان للموكب منظر بهي وهو يجتاز ضفة نهر السين. قادة الجيش الكبار المزدانون بشارات الشرف تقدموا المسيرة، واصطف جنود من حامية باريس على جانبي الطريق. النبلاء الرافلون بالفراء والرسميون المزدانة صدورهم بالاوسمة كانوا يتسابقون الى جذب الانظار، وحاملو صوالجة(*) الجامعات تصبب منهم العرق تحت وطأة شارات مناصبهم. أما جوفروا سانتيلير فقد تسربل بحلة رسمية ومشى الى جانب الزرافة. وتلك الكيلومترات الخمسة عشر الاخيرة كانت شبه استشهاد.

في سان كلو اصطف الاعيان بحللهم المزركشة بحسب الاسبقية، يستقبلون الزرافة التي كانت محط اعجاب.

نجمة في باريس – بعد دقائق قليلة اذا بالجنود يؤدون التحية والملك يقبل بقامته الفارعة متمنطقاً بحزام ابيض مذهب يتبعه ابنه ولي العهد دوق أنغوليم

(*) جمع صولجان.

وزوجته الدوقة ودوقة بري أرملة الامير المغدور وولدا الاسرة المالكة اللذان كانت عيونهما ابداً على الحيوان الغريب.

بدا الملك مجاملا وملاطفاً جوفروا سانتيلير والزرافة التي قدم اليها بعض الورود. "وبعد انتهاء الاحتفال،" قال غبريال داردو، "قفز جوفروا سانتيلير الى العربة وتوجه نحو المستشفى لاجراء فحص." اما الزرافة فاعيدت الى حديقة النبات مخترقة صفوف المتفرجين الذين حاول الحرس المدجج بالسلاح ابعادهم.

وضعت الزرافة في غرفة جُهزت لها خصوصاً في مبنى الحديقة الكروي الشكل. وغطيت أرض الغرفة بأفرشة ودفئت بموقد، وأبقيت البقرات وحيوانات أخرى مع الزرافة طوال فصل الشتاء لتوفير حرارة من ١٥ درجة مئوية هي ضرورية لصحتها.

بين يوليو (تموز) وديسمبر (كانون الاول) ١٨٢٧ ازدهرت الحديقة اذ أمَّها ٦٠٠ الف زائر باريسي لمشاهدة النزيلة الجديدة.

وفي العام التالي همد الفضول. لكن الزرافة ظلت النجمة الجذابة حينما كانت تشاهد وهي تتجول في الحديقة كلما سمح لها المناخ بذلك. وعاشت حياتها بسلام. ونفقت عام ١٨٤٥ ولها من العمر احدى وعشرون سنة، معمرة بعد وفاة شارل العاشر وجوفروا سانتيلير.

صُبِّرت الزرافة ووضعت في متحف الحديقة حتى العام ١٩٣١ حين نجح أمين متحف لافاي في ميناء لاروشيل بنقلها الى متحفه. وهكذا تكون هذه الدابة، التي نُتجت في أعالي النيل وقطعت قسماً من افريقيا والبحر المتوسط وفرنسا لتدخل البهجة الى نفوس الباريسيين، أخرجت اخيراً لتوضع في مقر راحتها قرب شاطىء المحيط حيث تنعم بنوع خاص من الهدوء.

جورج بواسون ■

الكاتب هو رئيس أمناء متحف إيل - دو - فرانس في شاتو دو سو حيث نظم معرض "زرافة الى الملك" عام ١٩٨٤. وهو مؤرخ نشر قرابة اربعين مؤلفاً معظمها عن باريس وجوارها.



اتصال الكتروني

ترسل مصانع الأدوية الى الصيدليات لوائح بمنتجاتها وأسعارها. ومرة أهمل أحد المصانع ارسال اللائحة على رغم الطلبات المتكررة من الزبائن. فوجه اليه موظف في احدى الصيدليات رسالة جاء فيها: "أنا والدماغ الالكتروني لديكم نواجه صعوبة في الاتصال. ان توقفتم عن ارسال لوائح منتجاتكم، فالرجاء اعلامنا بالامر... هذا اذا كنتم ما زلتم توظفون أشخاصاً حقيقيين من لحم ودم."

ومع تسليم البضائع الى الصيدلية بعد أيام أرفقت الكلمة الآتية: "تجدون ربطاً ست لوائح بالمنتجات والاسعار. نعتذر للتأخير الذي حصل. نعم، ما زلنا نوظف أشخاصاً. وهنا تكمن مشكلتنا. الامضاء: كمبيوتر "آي بي إم ٤٠٢".

م.و.ه

بستان الزواج والأباهم الخضراء

العلاقة المستمرة، كالبستان
اعتنِ بها بمحبة تجنِ ثماراً سخية

عندما يكون البستاني بارعاً في تنمية النبات نقول ان له ابهاماً خضراء. كذلك هي الحال مع الزوج والزوجة، فلكليهما ابهام خضراء في بستان الحياة الزوجية. انها المهارة التي تجعل شراكتهما نضرة مزدهرة.

"هذا التشبيه،" تقول سلمى ميلر المختصة بمعالجة المشاكل الزوجية في نيويورك، "ليس بغريب، لان الصلة الحميمة تواجه التحدي ذاته الذي تفرضه الطبيعة على جميع الاشياء: النموّ أو الاضمحلال."

لحسن الحظ، ليست القدرة على انجاح الزواج لغزاً تستطيع حلَّه قلّة محظوظة. وتضيف ميلر: "أي زوجين يمكنهما ان يُطلقا ابهاماً خضراء في بستان حياتهما الزوجية، فكل ما عليهما أن يفعلاه هو أن يتبنيا بعض الاساليب الاساسية الخاصة بزراعة الحدائق الغنّاء."

● أعدّا محيطا منعشاً.

ألان لوي ماغينيس المدير المعاون لمركز فالي للاستشارات في غلنديل بكاليفورنيا، كتب الى عروسه في يوم زواجهما متحدثاً عن حبه وشعوره ازاء الزواج وآماله المستقبلية. وكل عام في ذكرى زواجهما كان يكرر الكتابة متذكراً الاوقات التي كانت تعني له كثيراً ومتحدثاً عن تنامي حبه.

"كما يُغني البستاني التربة بالمواد المعدنية والمغذية، كذلك يجب اذكاء العواطف التي هي جوهر الحياة الزوجية." هكذا تقول ميلر وتزيد: "رأيت زيجات عدة تذبل لسبب بسيط هو أن الشركاء لم يُعِدّوا لها حباً مخصباً ليحفظوها حية."

ان تقديم العون العاطفي هو الطريق الوحيد الذي يتيح للمرء أن يغذّي نمو الحب.

تقول نانسي بادغويل المختصة بشؤون

الاطفال في دالاس بولاية تكساس: "هذا العون يمكن تقديمه بطرق بسيطة متنوعة. بعض الاحيان يود المرء التصاقاً جسدياً مريحاً، كالعناق أو شبك اليد باليد، وأحياناً قد يحتاج الى أذن صاغية متعاطفة او الى أحد ما يكون الى جانبه."

ثمة التصاق من نوع آخر هو أن يشترك الزوجان في التحدث عن المزايا التي يقدِّرها الواحد في الآخر.

تقول احدى النساء: "أنا وبوب نسلّم بأننا متحابان ولكن عندما يخبر أحدنا الآخر كيف يشعر وماذا يعني له زواجنا نجد أن حبنا هو أعمق مما كنا نظن."

الخبراء يقترحون عليكما أن تمارسا بعض اللهو معاً. يجب الاَّ تدعا ضغوط الحياة اليومية تحوّل زواجكما سلسلة متاعب وآلام. تذكرا الامور التي كنتما تتمتعان بها عندما كنتما تتطارحان الغرام، واستيعداها. أنعش زواجك بدعم جهود الشريك وأفكاره. امرأة في الخمسينات من سنيها اعتقدت أن زوجها سيسخر منها عندما تخبره انها تريد أن تحصل على شهادة جامعية. ولكنها حينما تجرأت على طرق الموضوع أجابها زوجها: "اذا كان ذلك ما تريدين فحاولي."

● ليعرف كل منكما شريك حياته.

"أحد اسرار الابهام الخضراء،" تقول آن هندريكسون التي كانت حديقتها في لوس انجلس موضع حسد جيرانها، "هو أن تعرف أمزجة نباتاتك، أيها يتطلّب ماء، وأيها يحب الشمس، وأيها يحب الظل."

قليلون منا يعرفون أزواجهم كما يعرف البستانيون نباتاتهم. الخبراء يؤكدون: "حتى الزوجان اللذان عاشا معاً سعيدين أعواماً عدة لا يعرف أحدهما عن الآخر كما يعتقد أنه يعرف." ان مفتاح نمو الحياة الزوجية هو المصارحة الشخصية المتبادلة بما في النفس من آمال وأهداف ومخاوف وقيم.

أفضل الطرق المثمرة لاكتشاف الآخر هي توجيه أسئلة تفتح آفاقاً ذات أهمية، مثل: ما أكثر ما تفتقده اذا ما ضعت؟ ما الذي يجعلك تشعر أنك محبوب؟ بماذا تفتخر أكثر؟ على ماذا أنت قلق؟

وتنبِّه جوديث دافنبورت المختصة بشؤون الاسرة في سانتا مونيكا بكاليفورنيا، الى أن "ليست ثمة أجوبة خاطئة أو صحيحة. فلا تستعجلا الاجوبة. إن تجربة المحادثة المثمرة المنمية تستمر أياماً وأشهراً وأحياناً سنين."

● تكيَّفا مع التغيير.

ابهام البستاني تفيد من تغيّر الفصول. وهكذا يفعل الزوجان الناجحان. يقول ديفيد ميس مستشار شؤون الزواج في بلاك مونتن بكارولينا الشمالية: "لا شيء حيوياً حقيقة يبقى كما هو، لذلك يكون التغيير في أيّ من الزوجين حافزاً قوياً على النمو."

مدير مبيعات متوسط العمر ترك عمله الضاغط في مدينة نيويورك ليفتح مكتباً استشارياً في مسقط رأسه. فقلقت زوجته لان دخلهما سينخفض ولان زوجها بالتالي سيأسف لقراره هذا. ولكن بعد مرور عام اعترفت الزوجة بأن هذا التغيير فعل العجائب لهما: "تشارلي هو الان أكثر راحة من ذي قبل، وأصبح لنا وقت

أطول للتفرغ لشؤوننا وشؤون أولادنا. ومع أنه يربح الان أقل من السابق فنحن في الحقيقة نعيش أفضل مما كنا."

يقول مايكل ابراهام المستشار في روك فيل بولاية مريلاند: "نحن كثيراً ما نفسد أحلام الآخرين باهتمامنا الكلي بحاجاتنا أو بافتقارنا الى الايمان برؤيا الشريك. أما الزواج فلا يمكن أن ينجح اذا ما كان أحد الشريكين يغيّر والثاني يقاوم التغيير."

العالم النفساني سيدني جورارد يحض الزوجين على اعادة تمثيل حفلة قرانهما من وقت الى آخر. كثيرون منا يفعلون ذلك من دون أن يدركوا أنهم يفعلون.

أما فاليري هارتشورن التي تدير مكتب تموين في بلونبرغ في نيوجرزي فتقول: "أنا متزوجة بالرجل نفسه منذ ثلاثة وثلاثين عاماً، أما هو فكانت له خلال هذه المدة زوجات مختلفات: عروس، وصديقة، وحبيبة، وزميلة، وأم، وربة عمل. واني لأتساءل هل هو يعلم كيف كان زواجنا ينمو مع كل تغيير في دوري."

● عالجا المشاكل الصغيرة للحال.

ليس ثمة بستاني حقيقي يسمح بأن تمر، من دون معالجة، اي اشارة تدل على وجود آفة زراعية في بستانه. لكن ازواجاً كثيرين يقترفون خطأ تجاهل الامتعاض البسيط من دون أن يدركوا أن مثل هذا الامتعاض اذا ما حُرِّك ازداد حدة مع الوقت.

أبسط الطرق لتخفيف الاحتكاك البسيط تحلّي الزوجين بالمراعاة والفطنة.

المضايقات الصغيرة هي ذات أهمية خطرة عندما تكون مبعثاً لمشاكل كبرى يرفض الزوجان أن يتصديا لها. ان امرأة تعاتب زوجها بلطف عندما يقضي عطلة الاسبوع في مشاهدة الافلام الرياضية تكون في الحقيقة مغتاظة جداً لكنها غير قادرة على البوح بما يزعجها حقاً: "لماذا لا تعيرني اهتماماً اكبر؟"

نيفيل فينس، العالمة النفسانية في بورتلاند بولاية اوريغون، ترى أن "كَشْف الموضوع يمكن أن يثير أزمة موقتة، ولكن اذا ما كانت تلك الازمة تولّد المصارحة فهي تساعد الزوجين على تنمية مواهبهما وتصورهما لمعالجة النزاع مستقبلا. كل مرة يتغلّب الزوجان على مشكلة، تقوى أواصر زواجهما، لانهما يدركان أنهما يستطيعان حل خلافاتهما."

● أبقيا بينكما فسحة.

مثلما البستاني لا يزرع النباتات متلاصقة لئلا تضايق جذور احداها جذور الاخرى، هكذا الزوجان يجب أن يحفظا بعض المسافة بينهما. في الطبيعة البشرية حاجة اساسية تقضي بأن يكون جزء من كيان المرء غير مشارك فيه دائماً. وحين ينفرد شريكك بنفسه من وقت الى آخر فانه يشعر بنمو الارادة الذاتية، كذلك أنت.

في معرض للفن الصيني تأمل رجل احدى اللوحات الكبيرة وتساءل مستغربا: "لماذا رسم الفنان عصفوراً صغيراً واحداً على غصن واحد في شجرة؟" فأجابت زوجته: "لان الرسام اذا ملأ كل الفسحات

في اللوحة فلن يبقى للعصفور مكان يطير اليه." مَثَلُ العصفور هذا ينطبق علينا، فكلنا يحتاج الى فسحة ليبسط جناحيه.

سوزان وايت معلمة في مريلاند اعتادت أن تغرق زوجها بالحديث فور عودته من العمل. أخيراً باح لها بأنه، بعد أن يقضي نهاره مصغياً الى المشاكل في مكتبه، يحتاج الى أن يبقى وحده بعض الوقت.

تقول سوزان: "الان حينما يلج زوجي باب المنزل اذهب انا في نزهة أو أعمل قليلا في الحديقة مفسحة له في المجال ليرتاح. أما هو فبعد أن يأخذ قسطه من الراحة يأتي باحثاً عني."

● خطّطا للمستقبل.

ما كانت أماليد الورد تلتف اليوم اطاراً حول حواجب الباب، ولا كانت الاشجار تظلل فناء الدار، لو لم يغرسها البستاني قبل سنوات.

"هكذا هي الحال في الحياة الزوجية،" يقول آلان لوي ماغينيس، "انا أعرف زوجين يجلسان معاً في اليوم الاول من السنة ويتحدثان عما يريدان أن يعملاه في السنوات الثلاث المقبلة. ان مناقشة خططهما تمنحهما شعوراً بالاستمرار."

والتطلّع الى الوراء من حين الى آخر هو أيضاً سبيل الى البناء لنمو مستقبلي.

المختصون بشؤون الاسرة يرون أن الزوجين يستطيعان تقويم حياتهما الزوجية عبر التساؤلات الآتية: أنُعطي ونأخذ عوناً عاطفياً كافياً؟ أسهلٌ علينا أن نتفق على قرارات ما؟ أنُظهر دائماً حقيقة شعورنا؟ هذه التساؤلات يمكن ان تكون نقطة انطلاق نحو مناقشة آفاق مهمة لتنمية الحياة الزوجية.

● احفظا العهد.

سألت صديقة لي عن سر نجاحها في تنمية نبتة الاوركيديا الغريبة فأجابت: "ليس ثمة من سر، يجب دائماً الاعتناء بها والا ماتت."

الحفاظ على العهد أمر جوهري لنمو الحياة الزوجية.

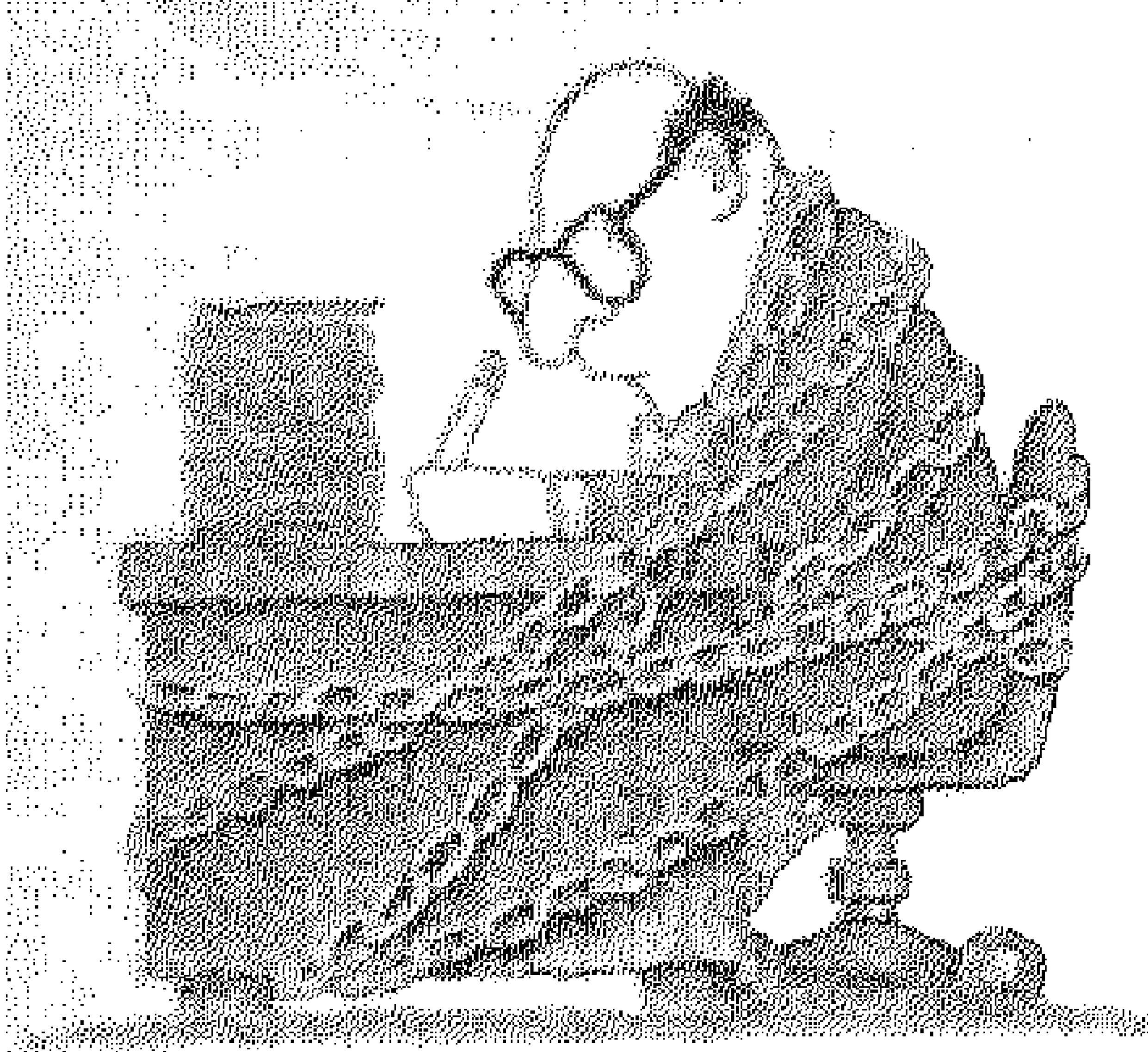
يقول أحدهم: "انه لعهد علينا أن يبقى واحدنا حاضراً حين يحتاج اليه الآخر. لن نكون دائماً سعيدين، لكن أهم ما في الارتباط حضوره في الساعات السود."

أما شركاء الحياة فيستطيعون ان يحددوا الارتباط، أو العهد، بطرق مختلفة. ساره بيال امرأة في الثلاثين من مدينة برنتوود في كاليفورنيا، تعتقد أن العهد هو الاستمرار، وتقول: "عندما كنا، أنا وجول، نغرس حديقة في منزلنا الجديد، التفت اليه والعرق يتصبب منه والاقذار تلطخ ثيابه وفكرت كيف أننا نصنع شيئا نتشارك فيه دائماً. تلك الحديقة هي رمز عهدنا، وما دامت هي تنمو فسنظل نحن ننمو كذلك."

نورمان لوبسنز ■



أصبحت الألعاب في أيامنا من التطوّر بحيث يمكنها أن تلعب بعضها مع بعض.
و.ت.





□ لا أستطيع تغيير وجهة الريح، ولكن يمكنني توجيه أشرعتي بحيث أصل دائماً الى مقصدي.

ج.د.

□ الأصدقاء أقارب نختارهم بأنفسنا.

أوستاش ديشان، شاعر فرنسي

□ جوهر الحنين هو ادراك ان ما كانِ لن يعود أبداً.

ميلتون أيزنهاور

□ إبدأ بالضروري، ثم انتقل الى الممكن، فتجد نفسك فجأة تفعل المستحيل.

ف.ا.

□ عندما تنادي المغرياتُ تجيب المخيلات.

د.ب.

□ قبل أن يفاخر معظم الناس بشجرة العائلة يعمدون الى تشذيبها جيداً.

أ. باتيستا

□ اللباقة هي معرفة تخطّي الحدود.

جان كوكتو، شاعر وروائي فرنسي

□ نصائح الخبراء تريحنا كثيراً حتى عندما تكون خاطئة.

أ.ك.

□ اقرب وصف للحرية انها مثل حيوان قوي يقتحم الحواجز، وفي بعض الأحيان يجعل الناس يتوقون الى أسيجة أعلى.

لانس مورو، مجلة "تايم"

الرياضة تؤخر الشيخوخة

تظهر الدراسات الحديثة أن التمارين البدنية في خريف العمر وشتائه قد ترجع عجلة الزمن

يجد البحّاثة أن التمرين البدني، حتى المعتدل، قد يؤخّر تأثيرات الشيخوخة لا بل يعكس مجراها. ومن الفوائد الثابتة تحسّن وظيفة القلب والجهاز التنفسي وازدياد قوة العضلات ومتانة العظام وسرعة ردود الفعل وتدني احتمال الاصابة بالكآبة.

ويعتبر أحد الباحثين أن الاهمال مسؤول بنسبة ٥٠ في المئة تقريباً عن الانحطاط الوظيفي الذي يطرأ عادة بين الثلاثين والسبعين من العمر. أما التمرين البدني في منتصف العمر وبعده فقد يرجع عجلة الزمن بين عشر سنين وخمس وعشرين سنة. والى ذلك تثبت نتائج الابحاث أن التحسّن قد يطرأ على حياة المرء مهما يكن العمر الذي يبدأ فيه التمرين.

أما الدكتور روي شيفارد الخبير في التمرين البدني والشيخوخة في جامعة تورنتو بولاية أونتاريو الكندية، فيخلص الى القول: "عليك ان تقطع شوطاً كبيراً قبل أن تجد ما يضاهي التمرين البدني كينبوع للشباب. وليس عليك أن تدخل سباق المسافات الطويلة لتجني فوائده. فالمشي السريع لمدة ٣٠ دقيقة ثلاث مرات أو اربعاً في الاسبوع كفيل بتجديد شبابك عشر سنين."

والابحاث التي أجريت في السنوات العشرين الاخيرة تناقض الاعتقاد الشائع ان المسنين لا يستطيعون التحسّن فيزيولوجياً، وانهم في أفضل الحالات قد يبطئون من انحطاط أجسادهم. واحدى أوائل الدراسات أجراها هربرت ديفريس، وهو رائد في استخدام فيزيولوجيا التمرين لاستشكاف علم الشيخوخة. وقد تقاعد ديفريس حديثاً وأمسى مدير مختبر أبحاث التمرين البدني في مركز أندروس لعلم الشيخوخة في جامعة كاليفورنيا الجنوبية. وشملت دراسته أكثر من مئتي رجل وامرأة متقاعدين من كاليفورنيا، تراوح أعمارهم بين ٥٦ و٨٧ عاماً، اشتركوا في برنامج للياقة البدنية تضمن الركض والمشي والجمباز وتمارين المرونة. وبعد ستة اسابيع هبط ضغط دمهم وانخفض وزنهم ومستوى الدهن في أجسامهم وازدادت كمية الاوكسيجين

المنقولة الى أنسجتهم وخفّت الأعراض العضلية - العصبية التي تدل على التوتر العصبي.

وسجّل ديفريس في كتابه "اللياقة البدنية بعد الخمسين"(★) ما يأتي: "أصبح الرجال والنساء في الستين والسبعين من اعمارهم يضاهون لياقة ونشاطاً أولئك الذين يصغرونهم بعشرين عاماً أو ثلاثين. والذين تحسّنوا أكثر من سواهم هم الذين كانوا أقلّ نشاطاً ولياقة."

مقاومة الشيخوخة - يعترف ايفريت سميث مدير مختبر علم الشيخوخة والبيولوجيا في جامعة وسكونسن في ماديسون: "ستنحط قوانا جميعاً في النهاية، لكن نوعية الحياة هي أفضل بالنسبة الى المسنين النشيطين جسدياً منها بالنسبة الى الذين يجلسون منتظرين نذير الموت."

يصبح الانحطاط الوظيفي مع التقدم في السن مثيراً للكآبة. فقدرة القلب على ضخ الدم تنخفض بعد سن النضج بنسبة واحد في المئة سنوياً. وتنخفض سرعة تدفق الدم من الذراعين الى الرجلين بنسبة ٣٠ الى ٤٠ في المئة في عمر الستين عما تكون لدى الراشدين الشباب. ومع التقدم في السن تقل كمية الهواء التي يمكن المرء أن يزفرها بعد نفَس عميق، ويتصلّب القفص الصدري، وتخف سرعة انتقال الرسائل عبر الاعصاب الى نسبة تراوح بين ١٠ و١٥ في المئة قرابة السن السبعين.

غير ان الدراسات الاخيرة أظهرت أنه يمكن تأخير معظم حالات الوهن المرتبطة بالسن بواسطة التمرين البدني. فالتمرين عند المسنين يخفض معدل استراحة القلب ويزيد كمية الدم التي تُضخّ مع كل خفقة. والى ذلك، مهما تكن السن، فعندما يمارس ضغط على العظام من خلال التمرين تزيد نسبة الكلسيوم فيها فتزداد مقاومتها للكسر.

ولا شك في أن تمارين المسنين لا تخلو من المجازفة. والدكتور تشارلز غودفري اختصاصي كندي بطب اعادة التأهيل، وهو ينصح من تجاوز الخمسين بعدم ممارسة التمارين التي تنطوي على قفز أو قرع عنيف، كالركض السريع والقفز على الحبل، ويضيف: "انها تحدث جروحاً يسببها المرء لنفسه." لكنه يصرّ على أن "التمرين هو الطريقة الوحيدة لمقاومة الشيخوخة، بشرط أن يمارس على نحو سليم."

ما هي التمارين السليمة؟ - هناك أنواع ثلاثة من التمرين مهمة في المحافظة على أفضل نوعية ممكنة للحياة. فتمارين "الاحتمال" تكيّف الدورة الدموية والجهاز التنفسي. وتزيد تمارين "التقوية" قدرة العضلات، الامر الذي يساعد على وقاية المفاصل من الاصابات. أما تمارين "المرونة" أو "المطّ" فتحول دون تصلّب المفاصل عند المسنين، وقد أظهر البحاثة أن تصلّب المفاصل وأوجاعها التي ترافق الشيخوخة غالباً ما تتأتى عن إهمال التمرين وليس عن داء التهاب المفاصل.

(★) Fitness After 50

ويعتبر المشي السريع أفضل تمارين الاحتمال بالنسبة الى المسنين. ومن التمارين الممتازة السباحة وركوب الدراجة الثابتة وتحريك آلة للتجذيف. وتستحسن ممارسة أحد هذه التمارين أو بعضها ولمدة ٣٠ دقيقة ثلاث مرات أو اربعاً أو خمساً في الاسبوع.

أما تمارين التقوية فيكفي أن تمارسها ثلاث مرات أو أربعاً في الاسبوع كي تزداد قوة عضلاتك ٤٠ الى ٧٥ في المئة بعد بضعة أشهر.

اما تمارين المرونة فتجدر بك ممارستها يومياً، لكنك تجني فائدة ملحوظة اذا مارستها ثلاث مرات في الاسبوع. وأهم القواعد في مطّ العضلات والاربطة والاوتار هي تأدية كل حركة ببطء والمحافظة على الوضع عشر ثوان على الاقل. بعد ذلك تستريح لفترة وجيزة وتعيد التمرين.

نصائح مهمة – كيف تتمرن على نحو غير مؤذ؟

يقدّم ديفريس ست أفكار مفيدة الى المسنين:

● زر طبيبك. فالفحص الطبي مهم جداً قبل بدء برنامج تمرين أو تكثيفه.

● تقدم ببطء. ابدأ بمستوى خفيف ومريح، ثم زد الاجهاد تدريجاً.

● إعرف حدودك. فان خارت قواك أو واجهتك مشاكل في النوم أو انتابتك كآبة مستديمة، فأنت على الارجح تتجاوز قدراتك.

● تمرّن بانتظام. لا شك في ان بلوغ الذروة يتطلب أسابيع وربما أشهراً. لكنك قد تفقد مستوى لياقتك بمجرد توقفك عن التمرين أسبوعاً أو اثنين. حاول ان تحافظ على برنامج للتمرين بمعدل ثلاث جلسات اسبوعياً. لكن توقف اذا أصبت بمرض، وان يكن مجرد زكام.

● اعمد الى تحمية جسمك اولا. فكلما تقدمت في السن وجب عليك ان تحضّر جسمك أكثر للتمرين. والتحمية السليمة (مطّ ومشي بطيء) لمدة عشر دقائق تقي قلبك وعضلاتك ومفاصلك.

● هدّئ جسمك بعد التمرين. لا تتوقف أبداً عن تمرين نشيط فجأة. إمشِ دقيقتين على الاقل بعد تمرين ركض وانتظر خمس دقائق على الاقل بعد تدرّب نشط واستحم بالماء الفاتر عوض الماء الساخن.

أنت ترى اليوم ملايين الاشخاص يركضون ويركبون الدراجات ويسبحون ويشقون سبيلهم الى حياة أكثر صحة يحققون فيها آمانيهم. فلمَ لا تنضم الى الشمل المرح؟

جين برودي ■



سفينة العمر

لم تتمكن أي حضارة من انشاء حوض لبناء سفن لا تنال منها العواصف فتؤمّن رحلة الانسان من المهد الى اللحد، أفضل من فرد نشأ في عائلة محبة.

ل.ف.ب

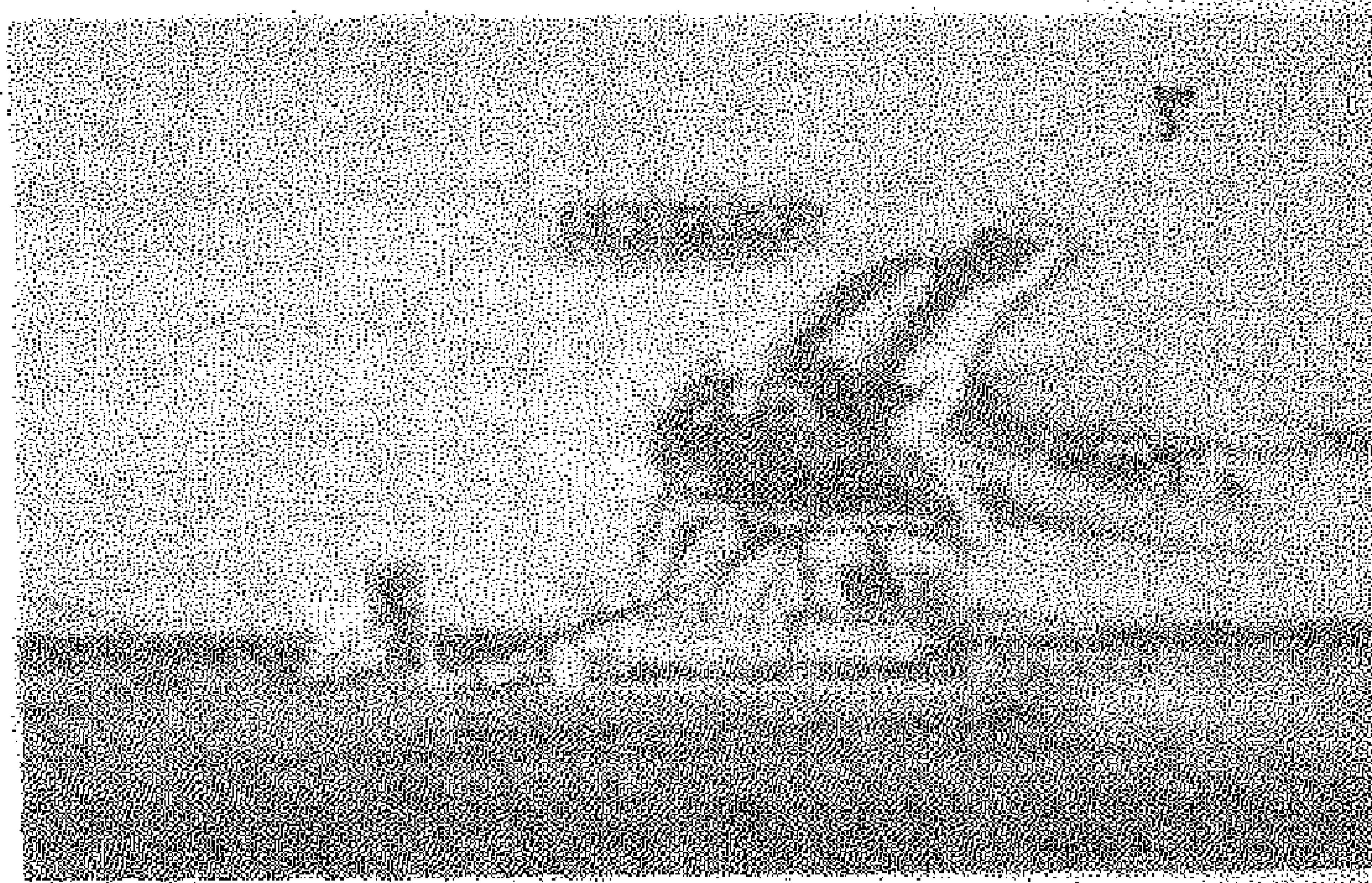
حَوادث الطائرات:
أحزمة النَجاة
للفستق المحمّص!

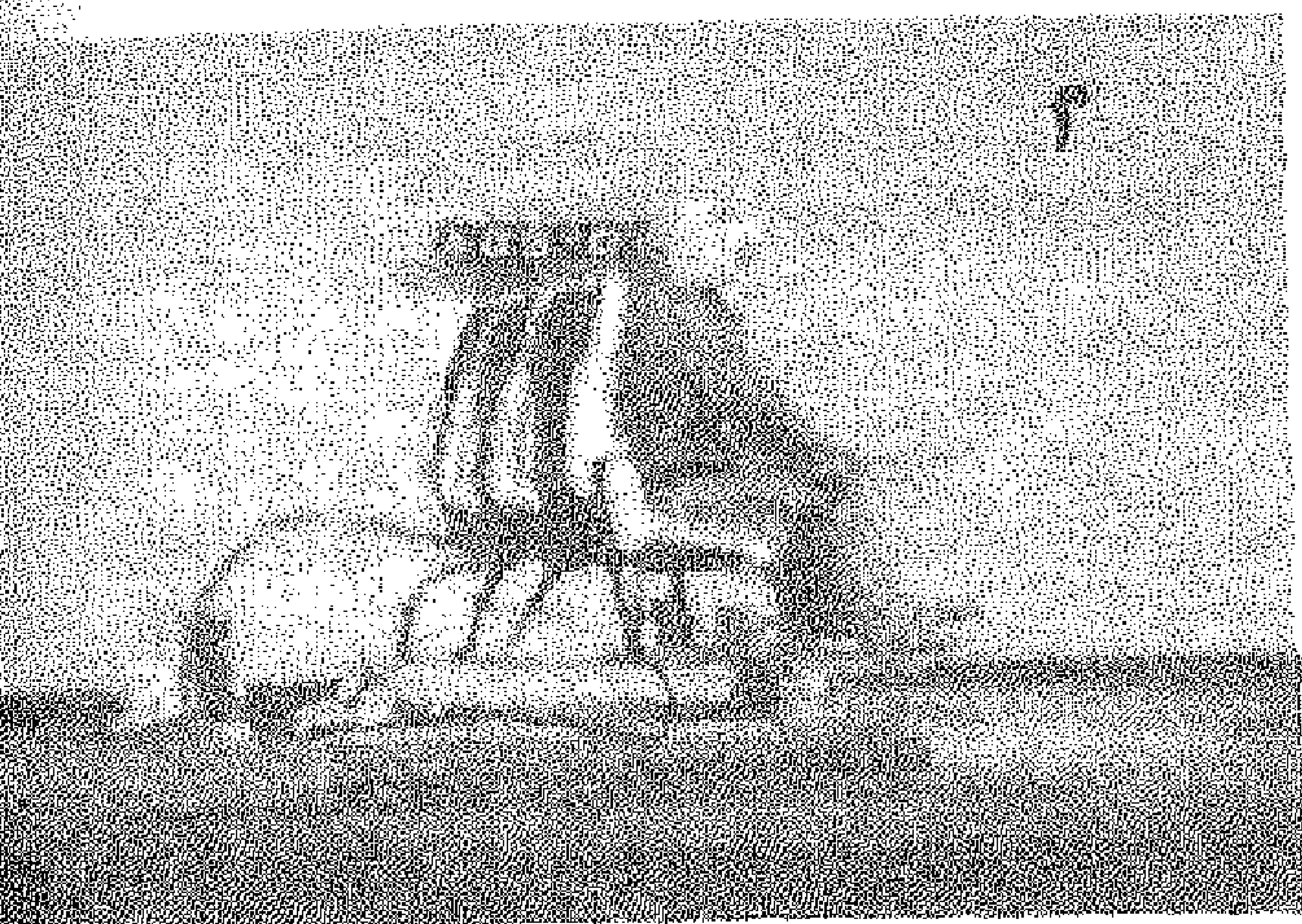
تدل الاحصاءات على أن الطائرة هي آمن الوسائل للسفر
لكن أخطاء بسيطة وإهمالات غير مقبولة
تؤدي الى كوارث لا تغتفر
فماذا تقدم التكنولوجيا العصرية
لتحسين فرص الحياة للمسافرين؟

الطائرة النفاثة العصرية هي وسيلة للانتقال فائقة الأمان. وتدل احصاءات الحوادث المميتة على أن طائرة تزن ٣٦٠ طناً وتطير بسرعة ٩٣٠ كيلومتراً في الساعة على ارتفاع ١٣ كيلومتراً هي آمَن الوسائل للسفر. فاذا ركب ٤٠٠ شخص طائرة "بوينغ ٧٤٧" (جمبو) من نيويورك الى كاليفورنيا فان لديهم ٩٩،٩٩٩ في المئة من الحظ أن يصلوا جميعهم سالمين.

ولكن هناك سر مشين يتعلق بسلامة الطيران. فمتانة النفاثة الامريكية العصرية - أي قدرتها على حماية الركاب من خطر الموت والاصابة في حادث اصطدام خفيف معادل في قاموس الطيران لانبعاج في الرفارف فوق عجلات السيارة - هي غير مرضية على نحو فاجع. لقد قتل المئات من الناس ولحقت اصابات بآخرين من دون داع، عندما تمزقت المقاعد واقتلعت من قواعدها او عندما انفجرت خزانات الوقود واندلعت فيها النار او عندما احترقت المفروشات وملأت داخل الطائرة بالدخان والغاز.

ويذكرنا المضيفون بأن سَوْق السيارة من المطار الى البيت هو أخطر مراحل الرحلة. ولكن في ما يتعلق بالوقاية من حوادث السقوط والاصطدام فان أحدث الطائرات الضخمة تبقى دون مستويات السلامة التي حددتها القوانين للسيارة العادية.





المسافر في الطائرة يقطع القارة الامريكية حالياً، من نيويورك الى كاليفورنيا، في اقل من نصف الوقت وبربع الكلفة وبخطر أقل كثيراً مما كان سائداً عام ١٩٥٧. ولكن عند حصول أي حادث اصطدام خفيف فان فرص البقاء قيد الحياة ليست أفضل مما كانت قبل ثلاثة عقود.

ان الطرق العلمية لتأمين وقاية أفضل ضد أخطار التحطم متوافرة منذ سنين، لكن شركات الملاحة الجوية وصناعة الطائرات تفضل غالباً عدم تطبيقها. الا ان هذا الامر لا ينطبق على حوادث لا سبيل الى تفاديها، كالاصطدام الذي حصل في الجو بين طائرة "دي سي ٩" تابعة لشركة "آرومكسيكو" وطائرة "بايبر آرشر" ذات المحرك الواحد، في أغسطس (آب) ١٩٨٦ فوق مدينة سريتوس في كاليفورنيا. وقتل في الحادث جميع الركاب الستة والسبعين. وتعذر انقاذ أحد من هذا الاصطدام المروع بأي اعجوبة تكنولوجية.

ولكن ليست معظم حوادث الطيران في حجم هذه الكارثة.

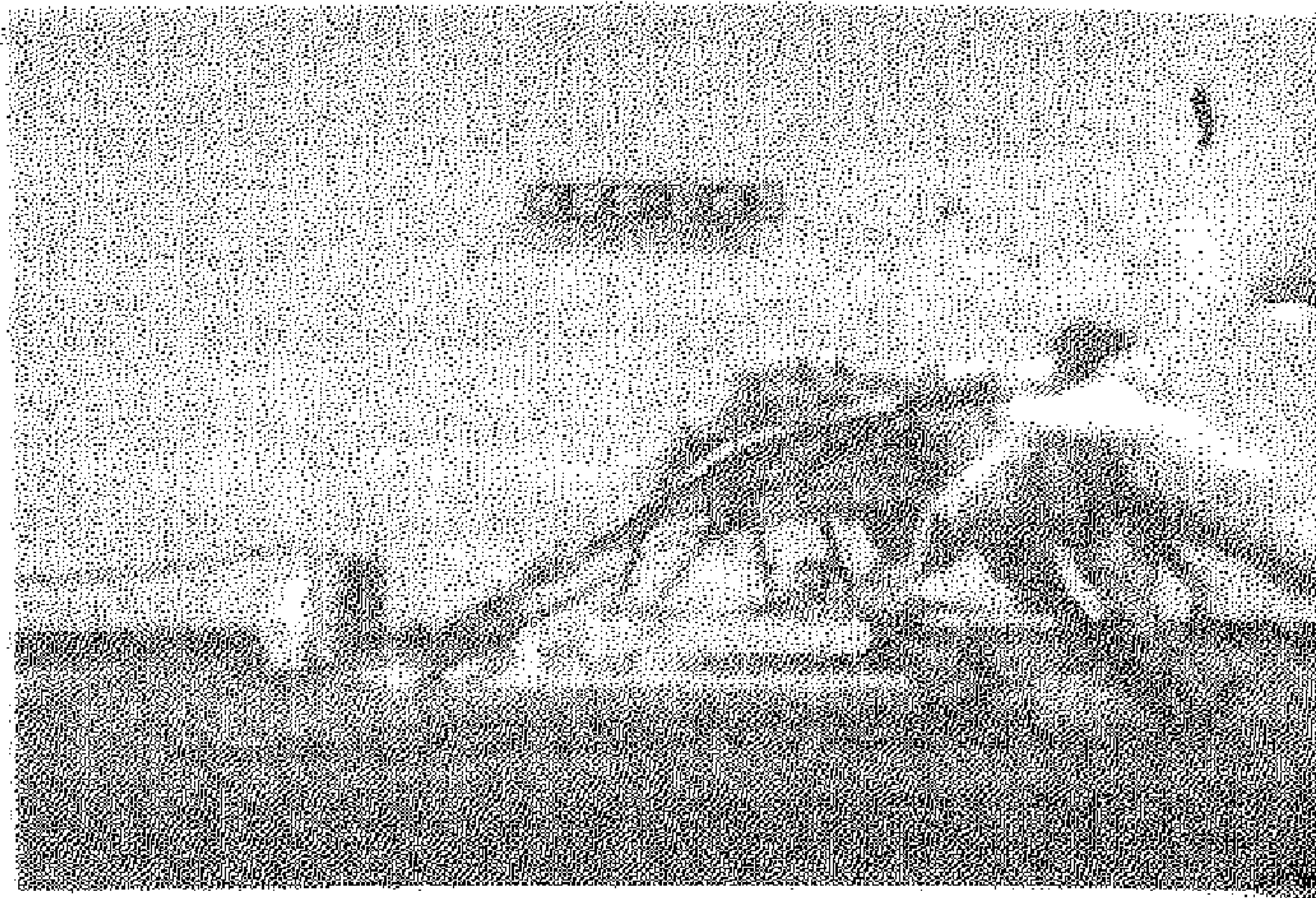
عندما تخرج طائرة عن المدرج أو تصطدم بالارض بسرعة معتدلة، فهناك فرصة جيدة لأن يبقى داخلها سالماً وألا تتجاوز قوة الاصطدام طاقة الاحتمال البشري. وتشير دراسة للمجلس الوطني الامريكي لسلامة النقل، تناولت الحوادث التي اشتعلت فيها النار بعد سقوط الطائرة خلال المدة الواقعة بين ١٩٦٩ ومنتصف ١٩٨٣، الى أن ستين في المئة من الركاب نجوا من الموت. فالواضح اذاً أن البقاء قيد الحياة ممكن في كثير من حوادث السقوط.

مقاعد مأمونة — ان مقاعد الطائرة ليست بمستوى المتانة التي لاجسادنا. فالمقعد النموذجي معدّ لكي يتحمل تغيرات في السرعة الامامية بمعدل ٩ ج (١) في حين أن جسم الانسان يتحمل ما يقارب ٤٥ ج من دون ضرر كبير. فالشخص المقيّد جيداً يمكنه نظرياً أن يبقى حياً اثر تخفيف السرعة الأمامية من ٤٤٠ كيلومتراً في الساعة - أي معدل

---

(١) "ج" هي وحدة قياس للاسراع أو الابطاء تعادل إسراع الجاذبية الارضية، أي ٩٫٧٥ أمتار في الثانية.

Photos: Courtesy FAA



من اليسار الى اليمين:
صور تمثل مقعداً ثلاثياً نموذجياً ينهار بفعل قوة ابطاء من ١٤ ج فيعلق فيه المسافر.

سرعة الهبوط العادية للطائرات - الى توقف تام في أقل من ثانية. وبحسب احدى دراسات المجلس الوطني لسلامة النقل، تسببت المقاعد المعطلة بسبعة وأربعين في المئة من الاضرار التي لحقت بالركاب في الولايات المتحدة.

وهناك مثال مخز عن أخطار المقاعد الرديئة. عام ١٩٧٤ اصطدمت طائرة "فيرتشيلد ف - ٢٢٧" بجبال الأنديس وانفصل جناحها الأيمن وسقطت في الثلج العميق في جانب من الجبل خفيف الانحدار ثم اخذت في الهبوط وهي تشق الثلج الى أن توقفت على مهل من غير أن يحدث اصطدام عنيف. لكن ١٣ راكباً قتلوا من بين ٤٥ كانوا على متنها.

يعتقد المحققون أنه كان في استطاعة معظم الركاب أن ينجوا باصابات خفيفة، سوى أن معظم المقاعد انتزعت من الارض اثر الاصطدام واندفعت ألى الامام، والركاب مربوطون اليها، وتكوّمت في مقدم الحجرة كأنها حجار "دومينو."

يقول هاري روبرتسون الخبير في طرق البقاء قيد الحياة بعد تحطم الطائرات: "ان قوة احتمال الصدمات للمقعد النموذجي في الطائرة منخفضة جداً، بمعدل خمسين في المئة، والطرق الفنية لتحسينها متوافرة منذ ٢٥ سنة. وصنع مقعد أمتن لا يحتم أي زيادة في الوزن أو في النفقة.

عام ١٩٧٤ طورت وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا) مقعداً للطائرات قدرت متانته بـ ٤٥ ج واجرت اختبارات عليه. ومن مميزاته انه مرن يمتص الصدمات ومصمم كي ينحني قليلا تحت الضغط ويلتوي عوض أن ينكسر. واستخدم هذا المقعد في الستينات في بعض الطائرات النفاثة التجارية. وهو كان يزن أربعين كيلوغراماً، لذلك أسقطته شركات الطيران من حسابها لان همها الاول هو الاقتصاد في الوقود (يزداد استهلاك الوقود بمعدل ليتر واحد سنوياً لكل زيادة ٧ غرامات في الوزن). لذلك أبدلت المقاعد بأخرى جامدة يزن الواحد منها نحو ٢٥ كيلوغراماً.

ولكن سيعاد استخدام المقاعد الاكثر أماناً. فشركة "ويبر" لصنع الطائرات ادخلت حديثاً في طائراتها مقعداً من طراز "٤٠٠١" مصمماً كي يتحمل ١٦ ج.

وكانت المبيعات الاولى مشجعة لكون المقعد أخف وزناً وأقل كلفة من الطراز العادي.

أجنّة في رحم الطائرة – هل يجب أن تكون المقاعد مواجهة لمؤخر الطائرة؟

الركاب يفضلون التطلع الى الامام، الا أن للخبراء نظرة مختلفة. يقول مات ماكورميك وهو خبير في طرق البقاء قيد الحياة ومحقق في حوادث الاصطدام: "المقعد المصمم حسناً لمواجهة المؤخر هو الاكثر أماناً. ففي المقعد الموجه الى الامام يقيّد الراكب بحزام حول الوركين يبلغ عرضه خمسة سنتيمترات. وعند وقوع الاصطدام يترنح الرأس والجذع الى الامام، وتتلوّح الذراعان والرجلان بشدة في الهواء، مما يتسبب في اصابات أقلها رضوض في الوركين وكسور في عظام الساقين. ويقول ريتشارد تشاندلر الاختصاصي بنظام المقاعد والتقييد في معهد طب الطيران المدني في الولايات المتحدة: "ان المقاعد الموجهة الى الوراء تشكل سنداً للجسم كله."

لكن هذه المقاعد تزيد تعرض الركاب لخطر الأغراض التي تتطاير بكثرة عند الاصطدام، بينما ينطوي الراكب على نفسه في المقعد الموجه الى أمام في وضع شبيه بوضع الجنين في الرحم، فيتفادى خطر الحقائب اليدوية المندفعة في كل اتجاه. لكن المقاعد الموجهة الى الوراء، مع ما تتطلبه من تغييرات في أرضية الطائرة، هي أثقل من المقاعد العادية مما يثني شركات الملاحة الجوية عن استخدامها.

ولكن ماذا عن رباط الكتفين؟

في حال استخدامه في الطائرات يجب ان تكون المقاعد اكثر متانة مما هي في السيارات، علماً أن في قمرة القيادة مقاعد متينة. وملاحو الطائرات يستعملون الرباطات ولا يطيرون من دونها. ويستخدمها المضيفون أيضاً الذين يجلسون مواجهين مؤخر الطائرة اثناء الاقلاع والهبوط. ويرى ماكورميك أن "ذلك في منتهى الاهمية لان عليهم أن يبقوا أحياء عند وقوع الاصطدام كي يعملوا على فتح المخارج واجلاء الركاب."

خطر الوقود – النار هي اللعنة الكبرى التي تهدد سلامة الطيران. في العام ١٩٨٠ عندما اشتعلت النار في طائرة "لوكهيد ل – ١٠١١" بعيد اقلاعها من الرياض في المملكة العربية السعودية، تمكن الربّان من الهبوط بها اضطرارياً بسلام. لكن جميع ركابها الـ٣٠١ قضوا قبل أن تفتح أبواب النجاة. ويؤكد ماكورميك: "النار هي السبب الحقيقي للوفاة في حوادث كهذه."

وتدل احصاءات المجلس الوطني الامريكي للنقل بين العامين ١٩٦٩ و١٩٨٣ على أن الركاب الذين توفوا بفعل الحرارة والدخان والغاز القاتل بلغ ضعفي أولئك الذين قضوا بسبب الاصطدام لدى سقوط الطائرات.

طائرة "بوينغ ٧٤٧" تحمل ٢٠٤ آلاف ليتر من الوقود. فاذا بقيت هذه الكمية داخل الخزانات عند الاصطدام فالراجح أنها لا تشتعل. لكن معظم الطائرات تحمل هذه الكميات الهائلة من الوقود في

أجنحتها ومنها ما يحمل كميات احتياطية في "بطنه" وهو مكان سهل الاصابة عند الاصطدام. وفي الطائرات النموذجية يتمزق ألمنيوم خزانات الوقود بسهولة وان يكن الاصطدام خفيفاً.

هناك خزانات وقود مقاومة للانفجار استخدمت بنجاح في بعض الاماكن. لكن شركات الطيران التجارية لم تستخدمها. عام ١٩٧٠ بدأ الجيش الامريكي تجهيز مروحياته بخزانات صنعت من مواد قوية مرنة قابلة للثني تشبه المطاط، وأنابيب للوقود مقاومة للصدمات، وحنفيات (صنابير) تقفل آلياً. وكانت النتيجة أن انخفض معدل الحوادث التي يتبعها اشتعال النار بنسبة ٨٠ في المئة.

يقول هاري روبرتسون صاحب شركة "روبرتسون" للطيران التي تصنع خزانات وأجهزة وقود للطائرات المدنية والحربية، ان في الامكان بناء خزانات لبطون الطائرات مقاومة للاصطدام بأسعار منافسة وبزيادة ضئيلة في الوزن تراوح بين عشرة أطنان وعشرين طناً.

دخان وغاز – ان خط الدفاع الاول للركاب ضد احتراق محرك أو خزان وقود في جناح الطائرة هو جدار حجرتهم. ويا له من خط دفاع واه! فاذا شبت نار قوية فان النوافذ المصنوعة من الاكريليك تذوب في ثوان معدودة، أما الهيكل المصنوع من الالمنيوم فان ذوبانه يدوم وقتاً أطول بقليل.

في العام ١٩٨٥ انفجر في مانشستر ببريطانيا محرك طائرة "بوينغ ٧٣٧" عند اقلاعها، فاخترقت النار الهيكل في أقل من ثلاثين ثانية وقتل ٥٥ من مجموع ١٣٧ راكباً كانوا داخلها. كان في استطاعة بعضهم النجاة لو كان الهيكل الخارجي مطلياً بدهان ينتفخ بفعل الحرارة (٢) ويكوّن طبقة سميكة عازلة توقف امتداد النار. ولو كانت النوافذ مجهّزة لمقاومة الحريق لاتاحت للركاب ثواني حاسمة للنجاة.

عندما تخترق النار حجرة الركاب فانها تلتهم وسادات المقاعد والمفروشات القابلة للالتهاب والتي يخشى أن تكون سامة. "المذنب" الرئيسي هو المطاط الاسفنجي يوريثاين (٣) الذي تحتوي المقاعد الثلاثمئة في الطائرة النفاثة النموذجية على ١١٠٠ كيلوغرام منه. وهو وان يكن قليل الكلفة وخفيفاً ومريحاً فانه يحترق بسهولة وينبعث منه دخان كثيف وغازات قاتلة. ويعتقد بعض المحققين في حوادث سقوط الطائرات أن ٨٠ في المئة من الذين يقضون أثناء الحريق لا يموتون بسبب النار بل بسبب الدخان والغازات المنبعثة من المواد المشتعلة في حجرة الركاب.

ان مواد المفروشات المقاومة للحريق متوافرة منذ سنين. ان مادة "نيوبرين" (٤) التي تصنعها شركة "دو بون" والتي سميت "فونار"، هي أقل تعرضاً للالتهاب من اليوريثاين. لكن شركات الطيران لا ترغب فيها بسبب وزنها الزائد. فلو صنعت وسادات مقاعد طائرة "دي سي – ١٠" من مطاط

(٢) Intumescent paint

(٣) Urethane foam

(٤) Neoprene foam called Vonar

النيوبرين المقاوم للحريق بدلا من اليوريثاين لزاد وزنها ١٨٨ كيلوغراماً.

قوانين ضرورية - اذا سألت خبراء السلامة عن سبب ضعف الوقاية من أخطار تحطم الطائرات الامريكية لاختلفت ردودهم، لكن الجواب يبقى واحداً: "لان لا قانون ينص على أن تكون الوقاية أفضل."

فما هو سبب اللامبالاة؟

يقول مات فينوكاين مدير السلامة في الاتحاد الامريكي لمضيفي الطائرات: "ان الادارة الامريكية للطيران ترى أنه حتى الآن لم يقتل العدد الكافي من الناس الذي يجعل التغييرات اقتصادية وعملية. وهي تبرر موقفها بالآتي: أرونا بعض جثث القتلى وسنحاول أن نفعل شيئاً."

ظل الكونغرس الامريكي والمجلس الوطني لسلامة النقل عشرات السنين يحضان الادارة الامريكية على وضع مواصفات للمقاعد، الى أن استجابت فطلبت اصدار قانون يفرض استخدام مقعد يؤمن الوقاية من سرعة بمعدل ١٦ ج. أما المواصفات الاشد صرامة فلا تزال في الطور البدائي خاضعة لضغط جماعات الصناعيين. والاسوأ من هذا أن القوانين التي اقترحتها الادارة الامريكية للطيران تنطبق على الطائرات المرخص لها حديثاً فيما تبقى مقاعد الطائرات العاملة حالياً خاضعة للقوانين السابقة التي حددت لها قوة مقاومة لـ ٩ ج.

مع ذلك ففي وسع الادارة الامريكية للطيران ان تعمل بسرعة. فبعد مضي أربعة أشهر على حادث حريق أثناء الطيران وقع عام ١٩٨٣ لاحدى طائرات الخطوط الجوية الكندية قرب مدينة سنسيناتي، اقترحت الادارة اصدار قانون يقضي بتجهيز وسادات مقاعد الطائرات بمادة مضادة للحريق. وصودق على القانون في السنة التالية على أن تبدأ شركات الطيران تطبيقه في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧. وبموجبه تؤمّن اضاءة ارضية في الاحوال الطارئة وتوضع آلات لكشف الدخان ومطافئ حرائق آلية في المغاسل.

عصر النفقات - يمتدح النقاد هذه التحسينات، لكنهم يشيرون الى أن تحسينات أخرى، كالنوافذ المقاومة للحريق وخزانات الوقود وأنابيبه المقاومة للانفجار، لا ذكر لها في القوانين المرتقبة.

أما في ما يتعلق بالصناعيين فان لب القضية هو الناحية المالية. وبكلام مراقب في واشنطن، "يختصر موقف شركات الطيران بالعبارة الآتية: اذا كان القانون لا ينص على إجراءات، فلماذا نزعج أنفسنا؟ هذه الاجراءات لا تعود علينا بأي فائدة."

تواجه شركات الطيران ظروفاً صعبة بسبب المنافسة الحالية القاسية، والمديرون يسرّحون بسبب الخسائر المالية وليس بسبب حوادث التحطم: أما منطق الاقتصاد فلا يشجع على الانفاق في تجهيز الطائرات بمقاعد اكثر متانة أو وسادات مقاومة للحريق أو مخارج اكثر أماناً للنجاة. فمن جهة نرى أن حوادث الطيران نادرة الوقوع، ومن جهة ثانية

يدَّعي ريتشارد تشاندلر انه "ما دامت تقنياتنا لاجتناب التحطم بهذه الكفاية، فمن الصعب أن نبرّر زيادة النفقات للوقاية."

ربما كانت شركات الطيران على حق، لان انفاق ملايين الدولارات لتحسين الوقاية من حوادث التحطم ثمن باهظ يدفع لانقاذ عدد قليل من الناس. واستناداً الى خبراء الصناعة، يبلغ ثمن المقاعد الجديدة لطائرة "بوينغ ٧٤٧" نحو ٥٠٠ ألف دولار، وبهذا المبلغ يمكن انقاذ عدد اكبر من الناس اذا استخدم بطرق تهدف الى التحذير المبكر وتجنب الاصطدام. ولا يسعنا في هذا المجال الا أن نقارن بين ما يتطلبه تحسين الوقاية من التحطم وما تنفقه الشركات في سبل أخرى، كصرف "بان اميريكان" مليوناً ونصف مليون دولار لتحديث داخل كل طائرة من نوع "بوينغ ٧٤٧" أو الملايين التي تنفق سنوياً على الفستق المحمص.

لكن المسؤولية في النهاية تقع علينا نحن الركاب، لأننا في غالب الاحيان نتجاهل تعليمات المضيفين في حين تسرنا بهرجة حجرة الركاب ويشهينا طعم الفستق اللذيذ.

ديفيد نولاند ■



بيضة في ايطاليا

يؤثر عن أحد المستعمرين القدماء قوله ان المرء يجب أن يفهم لغة البلد الذي يعيش فيه أو يزوره. وتبينت لي صحة هذا الكلام خلال زيارتي ايطاليا.

صباح اليوم الاول في الفندق أردت أن أطلب بيضة للفطور. ولم يكن الخادم الشاب يحسن سوى الايطالية، فجرّبت الكلمة الانكليزية «egg» فلم يأتِ حركة تدل على انه فهم. وأخبرته بالفرنسية: «œuf» ثم بالالمانية «ei» فباللاتينية «ovum» واخيراً بالمجرية (المنغارية) «tojás» . فلم ألقَ سوى نظرة حائرة. رباه كيف أحظى ببيضة لفطوري؟



فجأة طرأت على بالي فكرة. فأخذت ورقة ورسمت بيضة. وأتت النتيجة مدهشة إذ هتف الخادم فرحاً: «Si, si. Patate!» وهي الكلمة الايطالية لـ "بطاطا." فهززت رأسي وسارعت الى رسم فنجان تحت البيضة.

فقال الخادم باسماً: «Si, si. Aqua!» أي "ماء." فأشرت اليه بأنه مخطىء وصنعت رسماً آخر.

فصاح الخادم بحماسة: «Si, si. Pollo» أي "دجاجة."

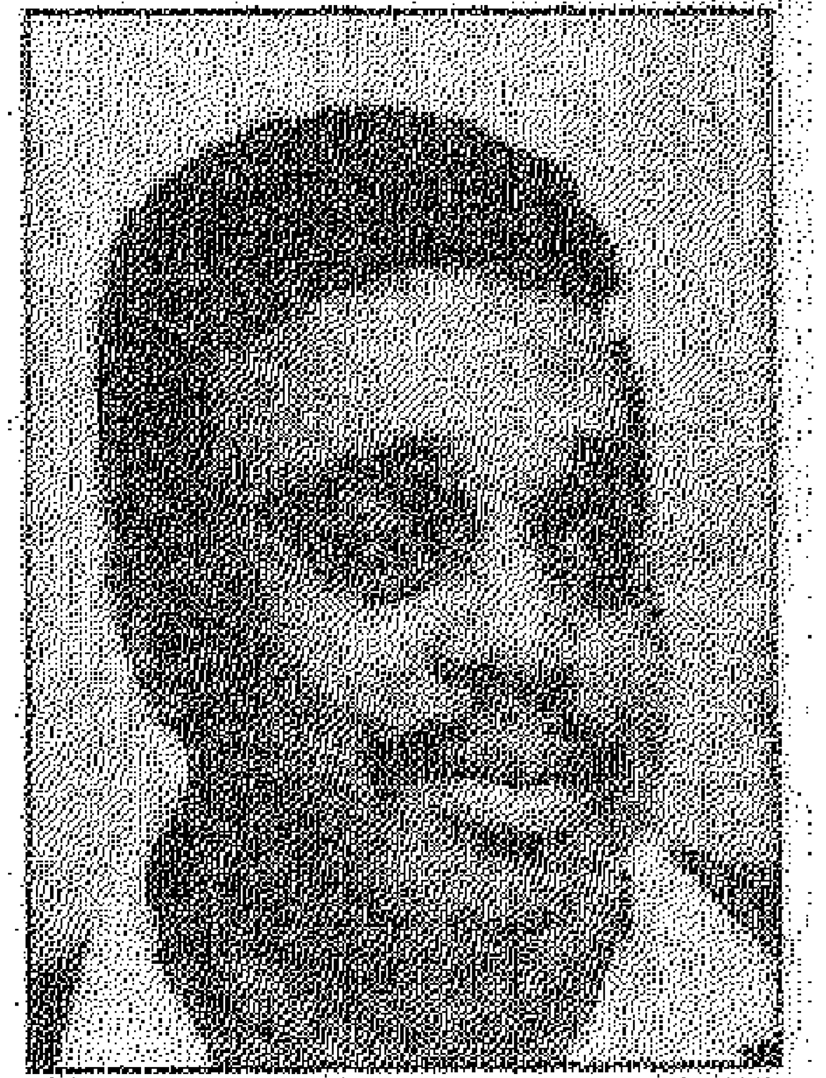
عندذاك استسلمت وسألته أن يحضر لي «Colazione» وهي الكلمة الايطالية لـ"الفطور."

وما هي الا خمس دقائق حتى أتاني بالقهوة والزبدة والمربى والخبز وببيضة مسلوقة. ذلك كان الفطور اليومي في الفندق.

ف.ا

أُمّي ينال شهادة دكتوراه، وصغيرة تجمع المال لأطفال جياع، وسيدة تتوَّج ملكة على حديقة وسائق بلا ساقين ينقذ عجوزاً من نشال

سَنابل الخَير



حلم تحقق

نشأ جو جونز في عائلة تضم ثمانية أولاد هو أكبرهم سناً. وكان في صباه يحلم بأن يصبح طبيباً. لكنه عندما بلغ السابعة عشرة من عمره اضطر الى ترك المدرسة والعمل من اجل اعالة أسرته.

عمل جو في البناء وفي محطة السكة الحديد وخدم في الجيش كما عمل ساقياً في حانة. ولعشرين عاماً بقي يعمل في صناعة الشاحنات وفي الدهان واللحام وخطوط التجميع في المصانع في مدينته فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا. لكنه رفض التخلي عن حلمه في العودة الى المدرسة.

وفي حين كان جو يجتاز حرم جامعة بنسلفانيا في طريقه الى عمله كل صباح، قرر أن ينتسب اليها يوماً.

عام ١٩٧٩ صُرف جو من عمله في اللحام وهو في الثامنة والأربعين من عمره. يومذاك كان أباً لاثني عشر ولداً وجداً لسبعة أحفاد. وعلى رغم انه لم يكن يستطيع حل مسألة حسابية بسيطة، فانه عقد العزم على نيل شهادة دكتوراه في المعلوماتية. ووافقت زوجته فيكي على الفكرة من دون ان يساورها شك في قدرة زوجها على النجاح، مع ان ذلك سيعني قضاء ساعات طويلة في الدرس وموازنة اكثر تقشفاً.

نجح جو في امتحان معادلة الشهادة الثانوية وانتسب الى كلية فيلادلفيا حيث درس ما استطاع من المقررات التعليمية في الرياضيات. وفي العام ١٩٨١، بعدما نال شهادة من الكلية، قدم طلب انتساب الى جامعة بنسلفانيا.

اقتنع المسؤولون في الجامعة بقبول جو في السنة الجامعية الثانية لما أظهره من رغبة في طلب المعرفة، فأكب على دراسة الرياضيات المعلوماتية ونال منحة دراسية.

واليوم، في السن السادسة والخمسين، يحمل جو شهادة بكالوريوس في المعلوماتية نالها بعد دراسة جامعية استغرقت أربع سنوات، ويكاد ينتهي من نيل شهادة الماجستير، ويخطط لكي يبدأ التحضير لشهادة الدكتوراه.

يقول المسؤولون في الجامعة ان جو أعطاهم شيئاً في المقابل. وتقرّ فاليري سوين كايد المسؤولة عن البرامج التعليمية في الجامعة: "لم أتأثر أبداً بطالب في أي مرحلة من التعليم مثلما تأثرت بجو".

فيليس منسنغ

في الـ"أسوشييتد برس" ■



سارة الرائعة

في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٤ سمعت سارة كرينبرغ (٨ اعوام) من بورتلاند في أوريغن عن اطفال يتضورون جوعاً في اثيوبيا، فقررت أن ترسل اليهم طعامها. وعندما عرفت ان ذلك امر غير عملي تبرعت بكل ما حوته حصّالتها من نقود الى صندوق أعدته جمعية خيرية محلية لاغاثة الاثيوبيين.

لم تكتفِ سارة بذلك. فبعد أيام قليلة شاهدت صورة طفل إثيوبي ضمن نشرة الأخبار المتلفزة وعلمت ان مصرفاً محلياً يجمع تبرعات لنقل الامدادات الغذائية جواً الى الأفارقة المتضورين. عندئذ عقدت العزم على كسب مال اضافي تتبرع به، فصنعت زينة لشجر الميلاد.

كانت الزينة التي صنعتها سارة وحملتها في سلة من بيت الى بيت، "تفاحاً" احمر لماعاً مغطى بطبقة من الحرير ومغرّى بأكواز الجيلاتي (آيس كريم). وكانت الفتاة الصغيرة الشقراء ذات الوجنتين المتوردتين بائعة مثابرة. وبعد انقضاء الأعياد تابعت حملة جمع التبرعات من طريق بيع السكاكر.

بلغت هدية سارة الى اطفال إثيوبيا نحو ٦٥٠٠ دولار، وهو مبلغ محترم جمعته فتاة صغيرة من دون مساعدة احد. لكن سارة فتاة نادرة لها شعور مميز إزاء اطفال يواجهون مشاكل تهدد بقاءهم احياء. فسارة تعاني منذ الشهر الخامس عشر من عمرها ورماً في الدماغ يتعذر استئصاله جراحياً.

من مجلة "غايدبوستس" ■



ملكة الحديقة

قد تكون تيريزا لاتو الحدائقية الأكثر حماسة في مدينة نيويورك. فقبل نحو عشرين سنة لاحظت ان الحديقة التي تتوسط المجمّع السكني الذي تقطنه في

Photo page 46: Ted Dargan / St. Louis Post — Dispatch

حي برونكس والتي كانت في ما مضى حديقة غنّاء، أصابها تلف على نحو محزن. فنذرت نفسها لاحيائها.

الأولاد في المجمع السكني يساعدون تيريزا ويعتبرونها ملكة الحديقة. وهي تعترف بأنها "مندفعة ولا تستطيع العيش وسط القذارة".

في كل ربيع تكتب تيريزا تقريرها: "شجرة المنغولية رائعة. وشجرة الفرسيتية ذات الاجراس مزهرة. والنرجس منتثر في كل مكان. أشعر باثارة كلما رأيت معجزة الربيع."

أنفقت تيريزا معظم مدخراتها على الحديقة. وتقول: "إنني مقتصدة جداً الى درجة أن بعض الناس يظنني بخيلة. ولكن عندما يتعلق الأمر بالحديقة فهي تستحق كل شيء. يسألني الناس: لماذا تفعلين ذلك؟ الحديقة ليست ملكاً لك. انها عالمي."

ديفيد دنلاب وسارة رايمر

في الـ"نيويورك تايمس" ■



قفزة مروءة

قفز جون بوكر من شاحنته في مدينة سانت لويس وساعد جاراً له في امساك نشال حاول انتزاع حقيبة امرأة عجوز.

جون بلا ساقين. فهذا الجندي السابق البالغ من العمر ٤٣ عاماً داس لغماً في فيتنام فانفجر وأدى الى بترهما.

كيف استطاع جون إذاً المساعدة؟ لقد دبّ على الارض حوالى مئة متر.

وأدت القفزة من شاحنته عن علو متر في ٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥ الى تفتق جرح قديم في كتفه، لكنه يقول انه غير نادم على فعلته اذ "ليس من حق أي كان ان يسيء معاملة سيّدة."

من الـ"أسوشييتد برس" ■



هنود وغرباء

وقفت سيدة في عربة قطار مكتظة في نيويورك تقرأ صحيفة أجنبية. وما لبثت أن أختل توازنها فاصطدمت براكب واقف آخر. امتعض الرجل وراح يتذمر: "يا للغرباء اللعينين!"

ولما سمعته المرأة بادرته بلهجة أمريكية سليمة: "لا أراك ترتدي عباءة هندية يا سيدا!"

هـ.ت.

ان فرحة واحدة كفيلة بتبديد الأحزان كلها.

مثل صيني

لن تخطو إلى الامام في حياتك
ما لم يداعبك ذاك الاحساس الممضّ

القلق خبز الحياة

بين السنتين الثانية والثالثة من دراستي في الجامعة لاحت لي فرصة لتمضية عطلة الصيف في مزرعة كبيرة بـالأرجنتين. كان والـد زميلي الذي يشاطرني المسكن يعمل في تجارة الماشية، وود أن يطلع ابنه تيد على أساليبها. فاشترط تيد للذهاب أن يصطحب رفيقاً، واختارني أنا.

بدا لي قضاء شهرين في سهول البامباس الاسطورية في الأرجنتين فكرة مثيرة. لكن التحفظات أخذت تساورني. فأنا لم أرحل قط بعيداً عن نيوإنغلند، شمال شرق الولايات المتحدة. وكنت تواقاً للعودة إلى البيت في الاسابيع الاولى بعد التحاقي بالجامعة. ترى كيف تجري الامور في بلد غريب لا أعرف لغته؟ ثم اني كنت وعدت أخي الاصغر بأن نسافر على متن مركب شراعي ذلك الصيف. وكلما أمعنت في التفكير ثبط المشروع همتي. وصرت أصحو في الليالي وأنا أرشح عرقاً.

في نهاية المطاف رفضت عرض تيد. وحالما طلب هذا من رفيق آخر أن يذهب معه شرعت أوبّخ نفسي. بعد أسبوعين عاودت عملي الصيفي القديم، أفك صناديق الكرتون في متجر استهلاكي قريب وأنا متكدر. لقد رفضت أمراً رغبت فيه، لاني كنت فزعاً، وأفضى بي ذلك إلى الكآبة.

بقيت على هذه الحال أمداً طويلا. ولم تخفَ كآبتي لدى عودتي إلى الجامعة في الخريف حيث علمت أن تيد وصديقه أمضيا عطلة رائعة.

لقنني ذاك الصيف البائس درساً قيماً استنبطت منه قاعدة لنفسي: إفعل ما يقلقك، ولا تفعل ما يكدرك.

بالطبع لست في معرض الكلام على الحالات المستعصية للقلق أو الكدر التي تتطلب عناية طبية. ما أعني هو ذاك الضرب من القلق الذي نسميه "رهاب

المسرح." شعور ممض في الجوف يسببه الاستباق، وهو حالة عصبية كالمشاعر التي تنتابنا عند اجراء مقابلة للالتحاق بعمل، أو تنظيم حفلة كبرى، أو حين يتوجب علينا أن نلقي محاضرة. والكدر الذي أقصد هو ذلك الشعور الكئيب بالتعاسة، حين يبدو كأننا لا نكترث لأي شيء ولا نقوى على الاستمرار.

رفيق الدرب - واجهتني حالة كهذه في نهاية سنتي الاخيرة في الجامعة. ففيما موعد التخرج يدنو، شرعت أفكر في أن أمتهن الكتابة. غير أن أحد أساتذتي كان يستحثني على تقديم طلب لمتابعة الدراسة العليا ملتمساً مستقبلا مهنياً في التعليم.

ترددت. خطر لي أن فكرة كسب العيش من التأليف مروعة، أكثر ترويعاً من قضاء الصيف في البامباس. أخذت أقلب الأمر على وجوهه، عازماً على قرار، فمتراجعاً عنه. فجأة أدركت أني كلما تخليت عن فكرة الكتابة اجتاحني ذلك الشعور بالخمود وملأني الشقاء.

لم تكن فكرة متابعة الدراسة العليا ما يكدرني، بل التخلي عما كنت في دخيلتي أرغب في فعله. آنذاك تلقيت درساً آخر: ان اجتناب الاحساس بالكدر يعني حتماً مقاساة شيء من الهم واضطراب البال.

في اعتقاد الفيلسوف الدانمركي الشهير سورين كيركفارد أن القلق ينشأ دوماً اذ نواجه امكان نمونا وتقدمنا. ويبدو أن هذه احدى قواعد الحياة: أن لا يتقدم المرء من دون أن ينتابه ذلك الشعور القديم المألوف بالقلق.

نكتشف ذلك ولما نزل أطفالا، عندما نسعى الى توسيع مداركنا بتعلم ركوب دراجة مثلا أو الاشتراك في الالعاب المدرسية. وفي وقت لاحق في الحياة يأتينا الشعور بالاستباق العصبي حين نفكر في المولود الاول أو في هجرة الأسرة من موطنها سعياً الى فرصة أفضل في أرجاء أخرى.

ويبدو أننا حينما نشرع على نحو عنيف في أمر نرغب فيه، نكون على موعد مع القلق. سيبقى القلق رفيق دربنا، أو رفيق قسم من ذلك الدرب على الاقل، في أي مشروع جديد نخوض غماره.

الاجتناب لا ينفع - عندما باشرت كتابة مقالات صحافية طلب مني تكراراً أن أقابل شخصيات ذائعة الصيت. قبل كل لقاء كانت أعصابي تتوتر ويداي ترتعشان.

آنذاك كنت أكتب عن الموسيقى. والشخص الذي اكن له اعجاباً خاصاً هو الملحن العظيم ديوك إلينغتون. كان يبدو على خشبة المسرح وعلى شاشة التلفزة مثال الرجل الواثق المحنك. ثم بلغني ان إلينغتون ما زال مصاباً برهاب المسرح. إن كان ديوك الينغتون المرموق الذي ظهر على منصات الفرق الموسيقية نحو عشرة آلاف مرة خلال ٣٠ عاماً، تنتابه أعراض قلق، فمن أكون أنا لأجتنب تلك الأعراض؟

تابعت اجراء تلك المقابلات المرعبة. وذات يوم، فيما كنت أهم بركوب طائرة الى واشنطن لاجراء مقابلة، وجدتني على نحو مفاجىء، ولعظيم دهشتي، أتشوق

الى اللقاء. ماذا حل بأعراض القلق تلك؟

حسناً، في الواقع كانت في مكانها لا تزال. لكنها تناقصت. لقد اكتشفت أنني أفدت من العملية التي يطلق عليها علماء النفس اسم "الانطفاء." فأنت إن وضعت شخصاً تكراراً في حال مثيرة للقلق، أدرك في النهاية أن ليس هناك ما يدعو إلى اضطراب البال.

يفضي بنا ذلك إلى لازمة منطقية للقاعدة الأساسية لدي: لنْ تزيل القلق باجتناب الأمور التي سببته. اني لأذكر حال ابني حين بدأت أعلمه السباحة في بحيرة حيث كنا نمضي عطلتنا الصيفية. قاوم ذلك، وحين انزلته في الماء غرق، ثم لفظ رشاشاً وأراد التوقف. لكني كنت ملحاحاً. وبحلول نهاية الصيف كان يشق طريقه في الماء كجرو. لقد "أطفأ" قلقه بالوسيلة الوحيدة التي يستطيع: المواجهة.

والمسألة حتماً أن حضّ شخص على اجتياز هذه التحديات المثيرة للقلق أمر، وحمل النفس على اجتيازها أمر آخر تماماً.

مدرسة التجربة – قبل سنوات عرضت علي مهمة كتابية تستلزم ثلاثة أشهر من التجوال في أوروبا. كنت سافرت غير مرة في رحلات مستعجلة محددة المواعيد، غير أني لم أكن أعرف سبيلي في القارة الأوروبية.

ترددت. أنى لي، أنا العاجز عن التحدث باللغات المحلية والغريب عن جغرافية تلك البلدان وأنظمة النقل فيها، إجراء المقابلات وإعداد التقارير؟ بدا الأمر مستحيلا. وبأسف جلست لأخط رسالة أستنكف فيها من اداء المهمة. في منتصف الرسالة لمعت في خاطري فكرة حوّلتها لازمة منطقية أخرى للقاعدة الأساسية: لن تتعلم إن لم تجرب. ولذا قبلت المهمة.

مرت أوقات عصيبة. ولكن حين أنهيت رحلتي غدوت رحالة مجرباً. ومنذ ذلك الحين لم أتوان قط عن الانطلاق إلى أغرب الأماكن من دون أدلة أو حجز مقدم في الفنادق أو شركات الطيران، واثقاً بأني سأتدبر امري على نحو ما.

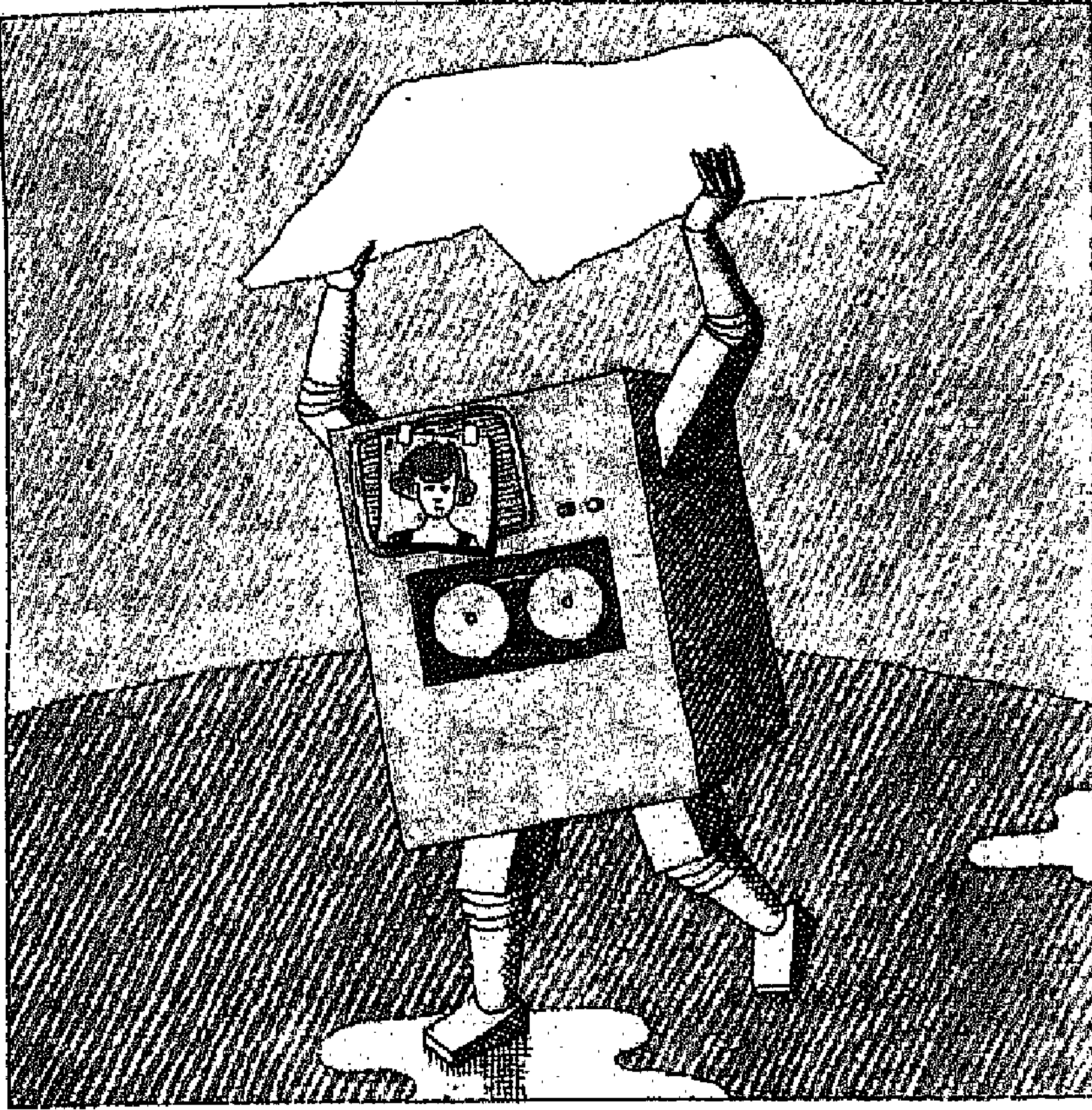
المسألة أن الجديد والمختلف يوقع في النفس رهبة. ولكن كلما جربت أمراً تعلمت. واذ تتراكم المعارف، يفتح العالم لك ذراعيه.

لقد قفزت بمظلة وتعلمت التزلج في سني الاربعين وحلقت فوق نهر الراين بمنطاد. وأنا مدرك أني سأستمر في القيام بأمور كهذه، ليس لأني أكثر شجاعة أو جسارة من الآخرين، أنا لست كذلك. لكني لا أدع الأعراض العصبية تثنيني عما أرغب فيه.

إقبل القلق كمرادف للتحدي، وستنجز الأعاجيب!

جيمس لينكولن كولير ■

اذا أردت أن تقصّر قصة طويلة، حاول أن ترويها لأطفالك. ا.ق.



لا يزال الذكاء الاصطناعي مدار دراسات وابحاث وتجارب. هنا دماغ إلكتروني يحاول احضار صحيفة من الخارج في نهار ممطر من غير أن يبتل

"بندورا" يرتدي معطفاً

داخل قاعة إيفانز في جامعة كاليفورنيا بمدينة بركلي دماغ الكتروني سمّاه مستعملوه "كيم نوفاك." وتحمل لوحته الامامية صورة للنجمة السينمائية التي دعي باسمها. وتبدو كيم النجمة مثيرة وفي حال ترقب. أما كيم الآلة فلا تكشف عن ألغازها.

الشاب روبرت ويلنسكي هو أحد المهتمين بكيم، وهو أستاذ في المعلوماتية (١) متخصص بالذكاء الاصطناعي. ويهدف هذا الفرع التجريبي من المعلوماتية الى حمل الادمغة الالكترونية ليس على معالجة المعطيات فحسب، بل أيضاً على التفكير والفهم والتذكّر واستعمال الحجة والمنطق واصدار الأحكام. وبعبارة أفضل، حملها على اداء ما يفعله الانسان.

(١) Computer science

الانجازات الاولى في ميدان الذكاء الاصطناعي حققها رياضيون ركّزوا على جعل الادمغة الالكترونية تؤدي مهمات فكرية معقّدة كلعب الشطرنج وحلّ الأحاجي. لكن الناس أدركوا تدريجاً أن أهم ما في الذكاء ليس القدرات المنطقية المتطورة التي نتمتع بها، بل قدراتنا على الاتصال واستعمال البداهة والفطرة السليمة.

عام ١٩٨٣ كان جو فاليتي، أحد طلاب ويلنسكي، يعمل على برنامج بديهي ليدخله جهاز "كيم نوفاك." ودعي البرنامج "بندورا."

من المهمات التي أسندت الى "بندورا" ابتكار خطة لالتقاط صحيفة من الخارج في يوم ممطر. وقد برمج فاليتي جهازه بحيث "يظن نفسه" انساناً استيقظ من فوره وأراد الاطلاع على ما يجري في العالم. وهو يعلم بوجود صحيفة في المرج المقابل، وقد لاحظ أن المطر ينهمر في الخارج ويريد أن يبقى جافاً. لذا فلا بد له من أن يكتشف خطة تخوّله الحصول على الصحيفة من غير أن يبتلّ. وكانت فكرة فاليتي تقضي بجعله يقرر أن لا مفرّ له من ارتداء معطف.

يعتبر هذا الأمر تافهاً بالنسبة إلى إنسان. أما بالنسبة الى دماغ الكتروني فهو ليس كذلك. فجلب شيء تحت المطر يتطلب مقداراً هائلا من المعرفة حول المطر والمعاطف والخارج والداخل والابتلال والجفاف. يتلقن الانسان هذه المعرفة تدريجاً منذ نعومة أظفاره، أما الدماغ الالكتروني فيأتي الى العالم كبيراً وجاهلا، ولا يعرف ما يكفيه لاتقاء المطر.

كان هدف فاليتي انجاز برنامج "بندورا" قبل الخامس عشر من ابريل (نيسان) موعد تقديمه تقريراً عن البحث الذي تمنى أن يقع عليه الاختيار ليعرضه خلال مؤتمر الجمعية الامريكية للذكاء الاصطناعي.

حلقة مفرغة – في أحد أيام مارس (آذار) القارسة كان جو فاليتي جالساً أمام الشاشة يلقم "كيم" برنامج "بندورا." ضرب أحد المفاتيح فامتلأت الشاشة بلوائح تحوطها أقواس. تلك هي عملية «LISP — LIST» وهي لغة في المعلوماتية. أعلمت اللوائح "بندورا" أن الوقت صباح، وأنه شخص يبغي الاطلاع على ما يجري في العالم، وأن من يريد معرفة ما يجري في العالم عليه أن يخرج ويحصل على صحيفة ثم يعود الى الداخل. وأعلمته أيضاً أن الطقس ممطر. فأدّى ذلك إلى ظهور "عفريت" على الشاشة.

ويشرح فاليتي: "العفريت عملية تنتظر في الخفاء وتراقب ما يجري. فان كان المطر منهمراً وسمع العفريت أن أحدهم خارج، أعلمه بأنه سيبتل."

وفيما فاليتي يتكلّم ظهرت لوائح أخرى على الشاشة وبدأ "بندورا" يتحقق من نتائج الاعمال التي اقترحت عليه. وبدا فاليتي في منتهى التشوق: "عندما يتأكد بندورا من أن نتيجة الخروج هي أنه سيصبح في الخارج، يصيح به العفريت: سوف تبتل! فينشىء هذا الأمر صراعاً في الاهداف بين الخروج وضرورة عدم الابتلال. علينا الآن أن نحلّ صراع الاهداف. والخطة الطبيعية تقضي بارتداء معطف."

لكنه ما لبث أن انفجر ضاحكاً وتابع الشرح: "لن تجدي هذه الخطة لأن بندورا لا يعرف أن ارتداء المعطف يقيه الابتلال. فأنا لم ألقمه هذه المعلومة بعد. وسيكرر العفريت تحذيره: ياه! المطر يتساقط وسوف تبتلّ! ويظل بندورا يكرر: آه! علي أن أرتدي معطفاً! إلى ما شاء الله."

نستطيع القول ان "بندورا" علق في حلقة مفرغة. فلو سمح له بالمتابعة لظل يرتدي معطفه إلى ما لا نهاية، وهو لا يدري أنه وجد حلا لتناقض أهدافه بين الخروج وعدم الابتلال. فلقد بقي قسم مهم من المعلومة خارج البرنامج، وهو أن المعاطف تقي من الابتلال. إنها مشكلة لن يواجهها إنسان في حياته.

الكدسة والطابور – ولكن كيف لك أن تنظّم المعلومات حول المعاطف والطقس بحيث يكون كل شيء في متناول الدماغ الالكتروني عندما يستيقظ في الصباح؟ لا بد من خزن المعلومات في "أطر" (٢) وهي بنى للمعطيات مليئة بتفاصيل يمكنك إضافتها أو حذفها كما تشاء. وقد أمضى جو أسابيع مع زميله بيتر نورفيغ يعدّان الأطر ويصممان عملية تستحضر الاطار المناسب في الترتيب المناسب. ثم أدخلا هذه العملية برنامج "بندورا." وفي اليوم الثاني من فصل الربيع الدراسي كان فاليتي لا يزال يجاهد لحمل "بندورا" على ارتداء معطفه.

لم يكن لديه متسع من الوقت. فموعد المؤتمر أصبح وشيكاً وعليه تدوين بحثه. بدأ يشعر بشيء من التوتر.

وضرب فاليتي مفتاح "الحدث التالي" (٣) فعجّت الشاشة أمامه بأحرف خضراء. كان كل شيء في البداية يسير بحسب المنهج المحدد.

ثم ضرب مفتاح "انطلق" (٤) فظهر مزيد من الكتابة على الشاشة. فأصابته الدهشة إذ لاحظ أن "بندورا" ارتدى معطفه ثم قرر أن "يدخل." وتابع انجاز بقية الخطة، فالتقط الصحيفة ثم "خرج." فاذا "بندورا" بعد هذا العناء كلّه ينجز الخطة عكسياً.

لكن فاليتي ما لبث أن اكتشف أن العلة تكمن في تكديس عناصر الخطة (٥). فتكديس العناصر في برمجة الدماغ الالكتروني يعني سلسلة تعليمات تؤدي عملها وكأنها كدسة أطباق في مطعم. فالتعليمات تنضّد الواحدة تلو الأخرى ويبدأ البرنامج بالتي في الأعلى، كما الأطباق في المطعم: فالطبق الأخير الذي يوضع في أعلى الكدسة هو أول طبق يسحب. وهكذا صاغ "بندورا" خطة المعطف قبل خطة التقاط الصحيفة. فأتى ترتيب العناصر في الخطة على النحو الآتي: "أخرج، إلتقط الصحيفة، أدخل، إرتدِ المعطف." وعند التطبيق تأتي الافعال في التسلسل العكسي.

ولتنظيم تعليمات البرنامج طريقة أخرى تقضي بصفّها. وإن كان ترتيب العناصر يشبه تكديس الأطباق في مطعم فان عملية الصفّ تشبه طابوراً من الناس في محطة انتظار الحافلة: الأول في الصف يصعد أولا. ولكن لو أنجز "بندورا" خطته

(٢) Frames
(٣) Next Event
(٤) Go
(٥) The plan stack

بالترتيب الذي وضعها فيه، لارتدى معطفه بعد دخوله حاملا الصحيفة. فطابور الخطط على ما يبدو لن يفلح أكثر من كدسة الخطط.

اتخاذ قرارات - بدا أن "بندورا" يحتاج إلى تصوّر عام للزمن. لكن تحضير برنامج لهذا التصوّر المعقد يتطلب إدراج جدول بسلسلة معقّدة من المهمات المتشابكة، وهو أمر قد يستغرق أشهراً لا بل سنين. أما فاليتي فلم يكن أمامه سوى أسبوع واحد.

وقف وراح يجول في المكتب. كان المساء وشيكاً فقرر أن يذهب إلى السينما. ومشى وهو يفكّر في المشكلة. كيف يعرف الانسان متى عليه ارتداء معطفه؟

ما إن خرج فاليتي من قاعة السينما حتى أتاه الحل: سيبتكر خطة "إفعل أولا." ففكرة ارتداء معطف تقضي قبل كل شيء بارتدائه أولا قبل الخروج تحت المطر. وهكذا قرر فاليتي أن "بندورا" يحتاج إلى خطة "إفعل أولا" تدمج في خطة "إرتد." وهكذا يحظى بطابور الخطط من غير أن يبتلّ.

وأسرع فاليتي إلى "كيم نوفاك." واستغرقت كتابة رموز خطة "إفعل أولا" ساعة. أما عملية ادخال الخطة برنامج "بندورا" فاستغرقت بضع دقائق. وتمّت الخطة هذه المرة على أفضل ما يرام.

ويشرح فاليتي: "بعد هذه الخطة، ان لم يكن بندورا يملك معطفاً فأنا أريده أن يفكّر في الخروج لشراء معطف. ثم عليه أن يدرك أنه اذا خرج لشرائه فسوف يبتل. وربما توصل الى اتخاذ قرار يقضي إما بارسال كلب لجلب الصحيفة وإما بالركض تحت المطر. ولكن ليفعل ذلك لا بد له أولا من أن يدرك أن الابتلال ليس بالامر الخطير ما لم يبتل المرء شديداً." ثم يبتسم ويتابع: "لربما استعمل الصحيفة انذاك ليغطي رأسه في طريق العودة."

لكن "بندورا" يحتاج إلى أساس معقّد من المعرفة وإلى ذاكرة أفعل ليأتي بحلول كهذه.

وابتسم فاليتي وهو يطفىء "كيم نوفاك." صحيح أن العلماء ابتكروا برامج أكثر تعقيداً، تستطيع تشخيص المرض وكشف الترسبات المعدنية، في حين أن "بندورا" لا يستطيع إلّا ارتداء معطفه، لكنه يتمتع بما لا تتمتع به البرامج الأخرى: أن له هدفاً خاصاً به.

وهكذا أنجزت خطوة صغيرة نحو ابتكار دماغ الكتروني يتمتع بفكر مستقل.

فرانك روز ■



الامر والنهي

أفرغ عامل المحطة الوقود في خزان سيارة الزوجين اللذين بقيا صامتين متجهمين لا يلتفت أحدهما الى الآخر. ثم مضى ينظف الزجاج الامامي. فصاح به الزوج - السائق: "لا تنظف ناحيتي بل نظّف ناحيتها هي لأن أوامر القيادة تأتي من هناك."

ا.س.

خرج الزوج من بيته ولم يعد.
وأمضت زوجته ١٥ سنة وهي لا تدري هل هو حي أم ميت
وذات ليلة قرع جرس الباب...

زوجٌ بلا ذاكرة



كان آل ماكدونال يعيشان في منزل قرميدي صغير في بلدة لارشمونت احدى ضواحي مدينة نيويورك. وكان جيم يشغل وظيفة رئيس الموزعين في مكتب البريد الذي عمل فيه ٢٥ عاماً. كان لين الطباع لطيف الحديث يعرف المئات من سكان المدينة. تزوج آن عام ١٩٦٠ ولم يرزقا أطفالا.

خلال شهري فبراير (شباط) ومارس (آذار) عام ١٩٧١، وكان جيم ماكدونال بلغ الخمسين من عمره، تعرض لمجموعة حوادث غريبة لم يكن أي منها خطرا في ذاته، لكن اجتماعها أدى إلى نتيجة عجيبة.

فذات مساء بينما كان خارجا لرمي النفايات، انزلق على السلم المغطى بالجليد فصدم رأسه وأصيب ظهره بكدمات. وبعد أيام كان يقود سيارته متوجها إلى مقر عمله، فأصابته نوبة عطاس، ففقد السيطرة على سيارته واصطدم بعمود هاتف فضرب رأسه بالزجاج الامامي. وفي اليوم التالي أصابه دوار شديد فهوى عن السلم وصدم رأسه

من جديد. وبعد عشرة أيام فقد السيطرة على سيارته مرة أخرى واصطدم بعمود. وعثر عليه فاقداً الوعي ونقل الى المستشفى حيث أمضى ثلاثة أيام يعالج من ارتجاج في الدماغ.

وفي ٢٩ مارس (آذار) ١٩٧١ استعار سيارة أحد أصدقائه وقادها الى مطار كينيدي ليستقبل شقيق آن وعائلته. ثم نقلهم الى منزل شقيقة آن. ولما أعاد السيارة الى صاحبها في العاشرة مساء لم ينتبه إلى أن حافظته الجلدية التي تحوي أوراقه الثبوتية سقطت من جيبه واستقرّت في أرض السيارة. ولما عرض عليه صديقه ايصاله الى منزله رفض قائلا: "أشعر بصداع شديد، ويفيدني أن أمشي قليلا." كان عليه أن يسير مدة ١٥ دقيقة ليصل الى منزله.

في الحادية عشرة والربع مساء اتصلت آن بصديق زوجها، فأكّد لها أنه لا يدري سبب عدم وصول جيم الى المنزل بعد. وكان من عادة جيم أن يتصل بزوجته في حال تأخره. وفي الثانية ليلا اتصلت آن بالشرطة وأعلمت المفوض باختفاء زوجها.

الوسادة الخالية

بعد مرور ٢٤ ساعة على الاختفاء وزعت الشرطة بلاغاً على جميع مراكزها وأرسلت نحو ٥٠ كتاباً إلى أصدقاء جيم وأقاربه. وكشف على الجثث المجهولة الهوية التي عثر عليها في أنحاء المدينة.

وكلّف التحري جورج مولكاهي التحقيق في الامر. وكان متأكداً من أن جيم رجل مستقيم وأن اختفاءه لا يخبىء سوءاً ارتكبه. وكشفت التحقيقات ان سجلاته الشخصية والمهنية لا تشوبها شائبة ولا تدل على نزوع الى الانتحار. ولم يتوافر للشرطة ما يشير الى أن جيم تعرّض لحادث أو اعتداء. فبات فقدان الذاكرة التفسير الوحيد بالنسبة الى مولكاهي.

ان فقدان الذاكرة ظاهرة يغشاها الغموض، فحدوثه لدى بعض الاشخاص من دون سواهم يجعله موضوعاً للتخمينات الطبّية. لكن ما نعرفه حق المعرفة هو أن فقدان الذاكرة قد يتأتى عن كدمة أو مرض ألزهايمر (*) أو ادمان الكحول أو صدمة نفسية حادة أو لطمات على الرأس. فمن يتعرض دماغه لمثل هذه الاصابات قد يسير على غير هدى مبتعداً عن المكان الذي يقطنه ناسياً كل شيء عن ماضيه.

وتتذكر شقيقة آن تلك المرحلة: "ظلت آن لاسابيع عدة تطوف في المنزل تفرك يديها وتتلو الصلوات. ووافقتنا على أن جيم ربما كان ضحية فقدان الذاكرة. وكانت تستمد الثبات من أيمانها العميق وتشعر بأن الله سيستجيب لصلاتها ذات يوم."

بقيت آن وحيدة في المنزل تنتظر عودة جيم. فاذا ما جلست الى التلفزيون مساء راحت تحدق الى الوسادة المحشوة التي كان جيم يغفو عليها. وكانت تحلم بعودته في ليال كثيرة وتستيقظ فلا تجده.

بعد اختفاء جيم أدركت آن أن لا بد لها من كسب لقمة العيش. فعملت مربية

(*) يتميز هذا المرض بانحلال تدريجي لخلايا الدماغ ويؤدي إلى حال تشبه الخرف.

أطفال وأمينة صندوق في محل تجاري ونادلة في مقهى بأحد المستشفيات. وعام ١٩٧٧ أصبحت مساعدة ممرضة.

اعتادت آن العمل في المستشفى أيام الأعياد لأن الكارثة تسهل عليها متى شغلت نفسها. وكانت تفكر: عليّ أن أتابع الحياة ما استطعت. ولم يكن الايمان بعودة جيم يفارقها قط. فاحتفظت بثيابه في الخزانة وغطتها لتحميها من الغبار. وبقيت آلة الحلاقة والمعجون في الحمام.

حياة جديدة

بينما كان جيم يسير عائداً الى منزله نسي كل ماضيه وفقد كل قدرة على تذكر هويته ومكان إقامته. أما ما حدث بعد ذلك فيبقى غامضاً. لربما ركب قطاراً الى المحطة المركزية في مدينة نيويورك ثم قطاراً آخر أو حافلة الى الجنوب. ويذكر أنه وصل الى فيلادلفيا في ولاية بنسلفانيا، وهي مدينة لم يزرها من قبل.

رأى جيم لافتة على مكتب سمسار عقاري يدعى جايمس بيترز فقرر أن ينتحل هذا الاسم. لم تخطر في باله فكرة الالتجاء الى مركز للشرطة أو الى مستشفى طلباً للمساعدة. لم يكن له ماض، كان الحاضر واقعه الوحيد.

حصل "جايمس بيترز" على عمل في ناد رياضي. ثم عمل في معهد للابحاث السرطانية، فكان ينظّف أقفاص حيوانات الاختبار. وحصل في الوقت نفسه على عمل ليلي في مطعم حيث اشتهر بطبق العجّة الذي كان يصنعه وبلباقته ومزاجه المرح. وبعد مرور سنة أحس أنه أصبح مستقراً في وظيفته في المطعم، فترك معهد الابحاث السرطانية.

وصادق جيم أشخاصاً جدداً وانضمّ الى نادي قدامى المحاربين وإلى جمعية خيرية.

لم يتطرق قط الى ماضيه، ولم يبدِ أصدقاؤه أي تطفل أو فضول. وقال له أحدهم ذات يوم: "تدل لهجتك على أنك من نيويورك."

فأجابه جيم: "أظن ذلك."

أما شيريل سلون النادلة في المطعم فتعتبر جيم رجلا مميزاً: "كان يحب الاولاد فيطوف في عيد الميلاد على دور الايتام يوزّع الهدايا. وهو ترك لحيته البيضاء تنمو فأضفت على مظهره واقعية أكبر. أما نحن فكنا بالطبع نتساءل عن ماضيه. وقد ظنته أمي كاهناً سابقاً أو مجرماً سابقاً."

وتتذكر برنادين غولاشوفسكي: "توظفت نادلة في المطعم بعد مدة قصيرة من مجيء جيم. كان والدي توفي وبدا أن جيم بلا عائلة فتبنى كل منا الآخر. أصبح هو صورة لابي وأصبحنا أنا وزوجي بيتر وأولادنا الاربعة عائلته. وأحبه الاولاد كثيراً."

وعام ١٩٨٥، قبيل عيد الميلاد، لاحظت برنادين أن جيم أصبح على غير عادته هادىء الطباع منكمشاً على نفسه وكأن أمراً يجول في خاطره.

وفي أواخر نوفمبر (تشرين الثاني) زار جيم العائلة وجلس مع بيتر يشاهدان التلفزيون. ظهر على الشاشة موزّع بريد يسلّم الرسائل في نهار غزير المطر. فقال بيتر: "هذا عمل لا أود تأديته."



آل ماكدونال في منزلهما في لارشمونت عام ١٩٨٦.

فعقد جيم حاجبيه وردّ: "أظن انني كنت موزع بريد في ما مضى."

– حقاً؟ أين؟

"لست أدري."

– في نيويورك؟

"لست متأكداً. لكنني أتذكر والديّ قليلا."

عَوْد ميمون

درج جيم على تمضية كل اجازاته مع برنادين وبيتر. وكان في ليلة الميلاد يصل في ساعة متقدمة بعد أن يطوف على جميع أصدقائه متمنياً لهم عيداً سعيداً. لكنه لم يصل الى منزل آل غولاشوفسكي ليلة الميلاد تلك. وبقي بيتر وبرنادين ينتظرانه طوال الليل.

في الثاني والعشرين من ديسمبر (كانون الاول) وقع جيم وصدم رأسه. وفي اليوم التالي بدا ذاهلا وهو يؤدي عمله. ومساء اليوم نفسه وقع من جديد وصدم رأسه. وفي الرابع والعشرين من ديسمبر (كانون الاول) استيقظ مضطرباً، مبتهجاً. فبعد مرور نحو ١٥ عاماً أدرك من هو. انه جايمس ماكدونال من لارشمونت في نيويورك. وزوجته تدعى آن. لكن الذعر ما لبث أن اعتراه: أما زالت آن حية؟ هل تزوجت ثانية؟ كيف عساها تستقبلني؟

كانت آن عادت لتوّها من صلاة الميلاد حيث أشعلت الشموع وصلّت من أجل جيم. كان الثلج يتساقط خفيفاً وكانت تودّ الوصول الى منزل شقيقتها لتناول الغداء قبل أن تصبح الطرق زلقة.

فجأة قرع جرس الباب. ففكرت: ليس الوقت مناسباً للزيارات.

فتحت الباب وراحت تحدّق الى رجل ذي لحية بيضاء. وسرعان ما تعرّفت إلى جيم. وجمدت الكلمات في حلقها.

أما جيم فوجد أن آن كبرت في السن لكنها ازدادت جمالا. فتسارعت نبضات قلبه.

"مرحباً يا آن."

– جيم؟ أهذا أنت حقاً؟

وراحت تلهث بشدة كأنها كانت تركض: "رباه، كم أنا سعيدة بعودتك! أدخل. أدخل."

كانت الدهشة قوية فلم يتعانقا. سيأتي العناق والدمع في ما بعد.

قادت آن زوجها إلى مقعده المفضّل حيث الوسادة المحشوة. وبدأا يتحادثان محاولين ملء الثغرة التي تركها غيابه.

وما لبثت أجفان جيم أن ثقلت فغط في النوم سعيداً تعباً.

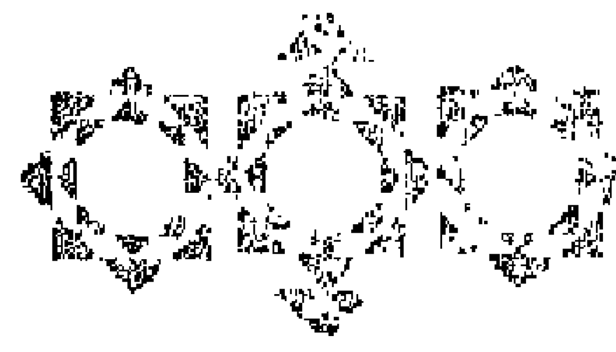
بعد ١٥ عاماً، ها هو جيم ماكدونال قد عاد الى منزله.

وفي اليوم الذي تلا عيد الميلاد أبلغ جيم الشرطة بعودته. وفي المساء تلقّى آل غولاشوفسكي اتصالا هاتفياً من أحد الصحافيين في نيويورك أعلمهم أن جيم في حال جيدة. فاتصلت برنادين بأصدقاء "جايمس بيترز" وأذاعت الخبر السار.

بعد أسبوع من عودته خضع جيم لفحوص طبية شاملة وصوّر دماغه بالاشعة. فتبيّن أنه في صحة طبيعية.

لم يصعب على جيم وآن استئناف حياتهما الزوجية. ويقول جيم في هذا الصدد: "كل يوم نقضيه معاً يجعل فترة الافتراق تبدو أقصر."

جوزف بلانك ■



وقائع وروايات

ان شئت أن تقنع أحدهم بصحة وجهة نظرك، فلا بد لك من دعم حجتك بالوقائع.

الجميع يعرف ما هي الوقائع. انها تعبيرات عن الواقع لا تدحض. انها مادة الروايات الجديدة، وما يفترض علينا نحن الصحافيين أن نلتزمه.

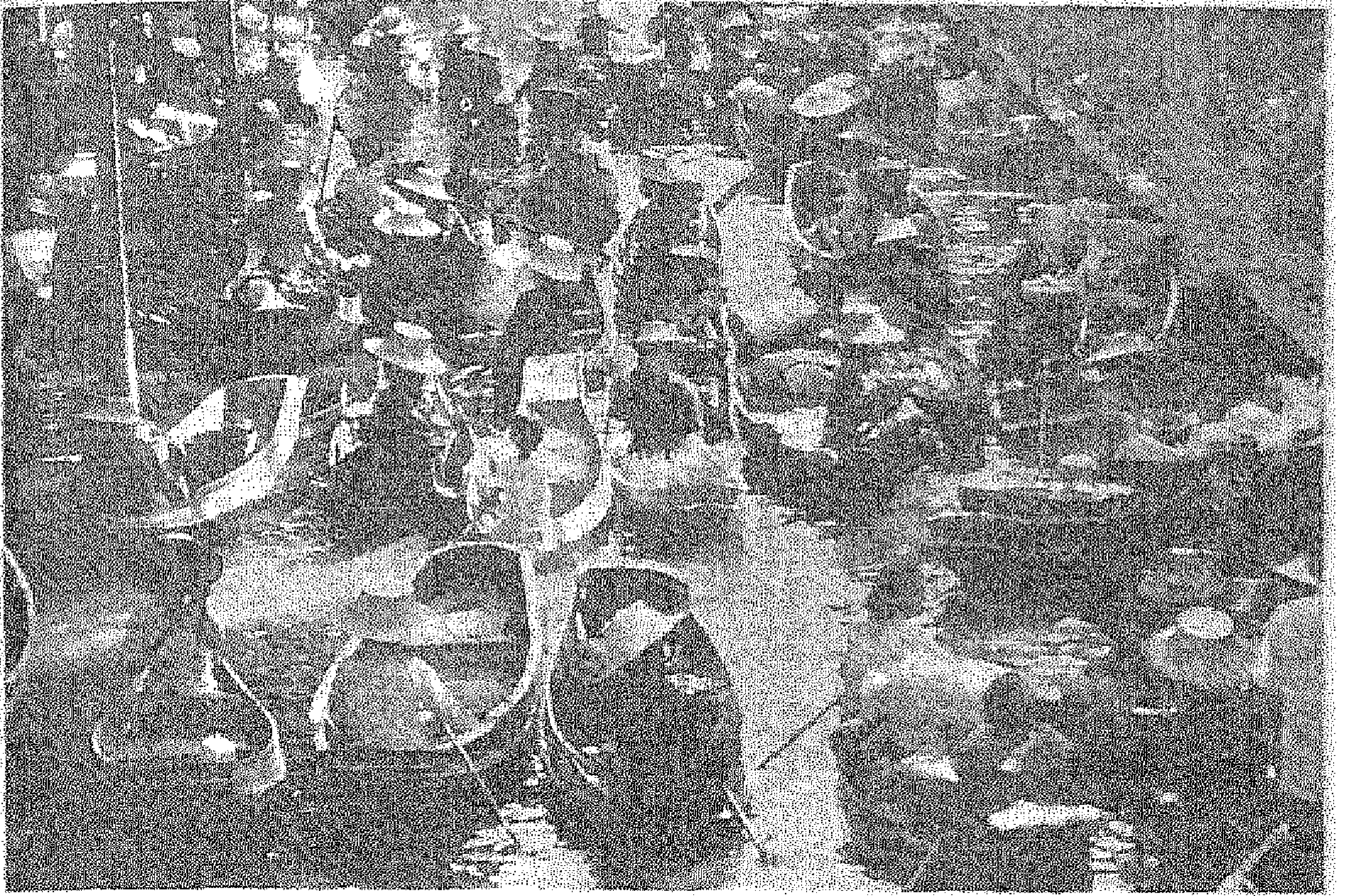
لسوء الحظ ليس كل ما يسمى "وقائع" واقعياً في الواقع. فما نظنه واقعاً ليس في الغالب سوى رواية تظهر مظهر واقع لكنها في الحقيقة ليست واقعاً.

غالباً ما تضمّ هذه الروايات أرقاماً. وقد حصلت تجربتي الأولى معها عندما كنت صغيراً. فبدلا من أن تنهانا أمي عن الركض في قاعة الجلوس كانت تسألنا: "أتدركون أن ٥٢٦٨ ولداً صدموا رؤوسهم بحافات الطاولات الصغيرة في السنة الماضية؟" وذات مرة رأتني أرشف شراباً مثلجاً من كوب ما زالت الملعقة فيه. فأعلمتني ان عدد الاولاد الذين فقأوا أعينهم بالمعالق وهم يرشفون الشراب ازداد بنسبة ١٥ في المئة.

في بعض الأحيان يتشكى الناس من أنهم ربما حصلوا على وقائع لكنها ليست الوقائع "الصحيحة." لأن "الواقع الصحيح" هو ذاك الذي يدعم رأيك أنت مهما يكن. كل الحكام الرياضيين يعرفون هذه الظاهرة. فان هتفت للفريق الضيف عبّر الناس عن امتعاضهم. وهذا أمر يحصل دائماً. ومع أن الجميع شاهد ما حصل أثناء اللعب، فان أنصار الفريق المحلي يشعرون برغبة في خنق الحكم اذا أعلن تجاوز أحد اللاعبين المحليين أنظمة اللعبة. وعندما تهتف لأحد فريقين فانك تعلم ان ما ظننت انك رأيته لم يكن واقعاً فحسب بل واقعاً "صحيحاً" أيضاً.

قالوا إن ما رأيته بعينيك
ليس سوى أكاذيب باطلة،
فلا مجال للاختلاف في الرأي
حول ما فعل زيد لعمرو.

ش.ا.



بانكوك
بندقيّة الشَرق

"في مياهنا أسماك
وفي حقولنا رز.
من أراد التجارة بالافيال
أو الخيول أو الذهب فعل.
ومن أراد الضحك أو اللعب
أو الغناء فعل. ووجوه
الشعب تشعّ بنور الفرح".
ملك تايلندي

سحرها أغدق عليها لقب "باريس آسيا" وشوارعها المائية جعلتها "بندقية الشرق." أما التايلنديون فيطلقون عليها تسمية "كرونغتيب" التي تعني مدينة الأطهار، لكنها اشتهرت باسم "بانكوك" أي "قرية الخوخ البري." انها عاصمة تايلند ومدينة لا مثيل لها في العالم.

بانكوك الفوضوية هي من أسرع المدن نمواً وهي في طريقها الى احتلال مرتبة قيادية بين المراكز التجارية والصناعية في الشرق الأقصى. ففي كل سنة تزدحم فنادقها بنحو من مليوني زائر. ويقطنها قرابة ٣٥ ألف غربي ممن جذبهم سحرها. لكن ذلك لم يمنعها من الحفاظ على جذورها القديمة.

وتزخر بانكوك بأبنية المكاتب،

Photo: R. Ian Lloyd / Apa Photo Agency

والفنادق العصرية والأسواق التجارية ودور السينما. وتجاور تلك المظاهر الحديثة مزارات صغيرة زاهية الألوان توضع فيها الأزهار والمآكل الطازجة يومياً. وتزدحم الأرصفة بأناس يرتدون ملابس غربية، يتخلّلهم نساك حليقو الرأس يرتدون أثواباً صفراً ويحملون أطباق الطعام كي يملأها المحسنون. وهم ليسوا جميعاً من التايلنديين، فمن هؤلاء الذين ينطلقون صباحاً حاملين أطباقهم ويجوبون الشوارع طالبين الحسنات، الأخ جورج وهو مهندس إلكترونيات من لندن والأخ بروس الذي نشأ في نيوجرزي وتخلّى عن مطعمه الناجح في سان فرنسيسكو بحثاً عن السلام الداخلي. ويتفهم السكان ما قد يعانيه أولئك الأجانب من شعور بالحنين الى الوطن، فيعمدون الى ملء أطباقهم بأنواع من المأكولات الغربية مثل زبدة الفستق والحساء المعلب.

تهذيب مدهش – تبلغ التناقضات الثقافية أوجها في قلب المدينة المتمثل بنهر تشاوفيرا الذي يخترقها بعرض ٥٠٠ متر. وتزخر ضفافه بالفنادق الفخمة والقصور مما يجعله شرياناً تجارياً تعجّ فيه مراكب الرز والمعديات ومئات الزوارق التي يراوح استعمالها بين بدائل لسيارات الاجرة وبدائل للشاحنات. وتتفرّع من مجرى النهر قنوات ملتفة، أو "كلونغ" باللغة المحلية، عبر المنازل المبنية بخشب التك والمشاغل والمتاجر المشادة على أعمدة. وتعج مياه النهر البنية بالصغار والكبار الذين يستحمّون أو يغسلون ثيابهم.

ومن أغرب المشاهد التي نواجهها في بانكوك الأسواق العائمة حيث يتجمّع نحو ٥٠ مركباً وجميعها مثقل بالفواكه أو الخضر أو الأسماك أو الرز أو الأدوات المنزلية. وتقود هذه الزوارق نساء ناحلات يرتدين قبعات من القش ويتجانبن أطراف الحديث فيما هنّ يبعن البضائع. وغالباً ما تضيق القنوات بالزوارق بحيث يسهل الانتقال سيراً من ضفّة الى أخرى. وعلى رغم الزحمة تتمتع تلك الأسواق بهدوء مذهل، إذ ان المساومات تتم بصوت يشبه الهمس، وليس ذلك مستغرباً لدى التايلنديين الذين قلّما يرفعون أصواتهم.

ويدهشنا تهذيب التايلنديين "الطاغي" كما لاحظ مسؤول أجنبي في أيام عمله الأولى في بانكوك. فحين عمد مرة الى تأنيب إحدى الموظفات، "ساد صمت مطبق في المكتب على رغم الابتسامة التي ظلّت مرتسمة على الوجوه فيما العيون تحدّق برهبة وخوف. والواقع انها كانت المرة الأولى يسمع معظمهم صوتاً عالياً وعصبي النبرة."

الطائرات الورقية – مجالات الترفيه في بانكوك لا تحصى. فمطاعمها تكاد تقدّم كل أنواع المأكولات المعروفة، لكن منتهى المرح هو ان تُعدّ تشكيلة خاصة من أطباق العشاء بتناول الصنف تلو الصنف من الأكشاك المنتشرة على جوانب الطرق.

وتراوح الأطباق المتوافرة بين حساء معدة القرش وعصير زهرة اللوتس والقريدس (الجمبري) المجفف. أما

الأطعمة التايلندية التي تحوي الكري فيجب أن يتناولها المرء بحذر، إذ تشمل عدة أنواع من الفلفل الحار، وعصارة بَقّ الماء أحياناً. ولا ننسَ الفاكهة التايلندية الغريبة "دوريان" التي تدفع التايلنديين الى حال من النشوة، لكن رائحتها كريهة الى حد أن عدة فنادق تمنع إدخالها.

وتتنوع سبل التسلية كتنوع لوائح الطعام. وفي رأس القائمة باليه "كون" الكلاسيكية وفيها يرتدي الراقصون ملابس غريبة وتيجاناً وأقنعة مثيرة ويمثلون قصصاً أسطورية معتمدين في التعبير على تلوي أجسادهم وعلى أكثر من مئة حركة ذات معنى بالايدي والأصابع. وتشيع المبارزات بالسيوف الحادة، فيحمل كل مبارز سيفين ويتبادل وخصمه ضربات سريعة كالبرق متفادياً أي ضربة قد تبتر أحد أعضائه.

أما مباريات الملاكمة فهي ذات شعبية واسعة بحيث أنها تصوّر وتعرض على شاشة التلفزيون. وهي تبدأ بركوع الملاكمين للصلاة وهما يرتديان قفازات الملاكمة، ثم يشكران مدربيهما ويحييان الملك ويؤديان رقصة غريبة قصيرة. بعد ذلك، على صوت قرع الطبول وضرب الصنوج وعزف الأبواق، يهجم كل منهما على الآخر مستخدماً القبضتين والمرفقين والركبتين في تسديد ضربات مؤذية الى المعدة والوجه. وإن لم تحسم المباراة بالضربة القاضية فإنها لا تستمر إلّا خمس جولات، كل واحدة من ثلاث دقائق. وهذه المهلة كافية لارهاق الملاكمين بحيث يعجزان بعدها حتى عن رفع أيديهما لتحية الجمهور.



متنزهون على الأرصفة يتمتعون بوجبة مختارة من الاطباق التي تباع في الاكشاك القريبة.

أما الراغبون في تسلية أقل عنفاً فتتوافر لهم لعبة قديمة جداً هي الـ"تاكراو" حيث يتنافس فريقان على إيصال كرة صغيرة مصنوعة من القنب المجدول الى المرمى، مستخدمين الرأس والكتفين وربلتي الساقين والقدمين، ولكن ليس اليدين.

وخلال شهري مارس (آذار) وابْريل (نيسان) العاصفين تشيع رياضة الطائرات الورقية. وتدعى الكبيرة منها "ذكوراً" ويصل طولها إلى مترين ويتولى تطييرها فريق من عشرة رجال أو أكثر، أما الصغيرة فتدعى "إناثاً" ويطيّرها شخص أو شخصان. والغلبة للطائرة التي تُسقط منافستها. والمدهش أن "الإناث" تحرز الغلبة في معظم الاحيان.

نَعم دائمة – موطن السحر الأساسي في بانكوك يكمن في طباع أهلها الذين يعتبرون حقاً ألطف الأصدقاء وأوفاهم في

Photo: J.H. Phair / Stock Shop

الأرض. بشرتهم ذهبية وملامحهم ناعمة وأنيقة. انهم يقطنون في إحدى دول العالم الثالث القليلة التي لم يستعمرها الغرب. لذلك نجدهم يحبون الأجانب بصدق. ولا تُعرف حدود لحماستهم وحبهم التجديد وتشجيعهم الحياة الحلوة، أو "سانوك" كما يسمونها.

وهم يأبون التعبير عن أي شكل من التذمر أو الرفض مما يجعل الأجانب المقيمين في بانكوك لا يسمعون سوى إجابة واحدة عن طلباتهم هي كلمة "نعم،" كما يقول أحد الديبلوماسيين العاملين في المدينة. وهذه الكلمة قد تعني "نعم" أو "ربما" أو "أبداً" بحسب النبرة والحماسة الباديين على قائلها.

وإذا كان التايلنديون يصافحون الزوّار من قبيل التهذيب واللياقة، فإنهم يحيون بعضهم بعضاً بسلام "واي." يضم الواحد راحتيه امام وجهه مباشرة كما في وضعية الصلاة ثم يحني رأسه. وهم يتنادون بأسمائهم الأولى، إذ ان أسماء العائلات لم تستعمل في تايلند إلّا منذ نحو ٦٠ سنة، وهي طويلة بحيث يتفادى التايلنديون استعمالها. وبما أنهم يعتبرون الوقوف في حضرة الجالسين نوعاً من الوقاحة، تراهم يسيرون محنيي الرؤوس لدى اتجاههم نحو طاولاتهم في المطاعم، وكأنهم يعتذرون من الجالسين قبلهم. وأكبر إهانة توجه الى تايلندي هي لمس رأسه، إذ ان الرأس مكمن الروح في اعتبارهم، أو الاشارة اليه بالقدم وهي أدنى أجزاء الجسم.

والتايلنديون شديدو التعلق بالخرافات.

نظافة فطرية – على رغم جمال بانكوك وتنوّع مباهجها فإن لها مشاكلها. ففي كل سنة ينتج "المثلث الذهبي" شمال البلاد، على حدود لاوس وبورما، قرابة ٣٠ ألف طن من الهيروييين، أي غالبية الانتاج العالمي. وهذه الغلال تهرّب الى بانكوك ومنها إلى خارج البلاد على متون سفن وزوارق صيد وطائرات وفي أمتعة الركاب الذين يغادرون المدينة. ويتعرض الأجانب الذين يضبطون بجرم تهريب المخدرات لأقصى عقوبات السجن التي قد تصل إلى حدّ السجن المؤبد. وهي تطبّق أيضاً على المهربين التايلنديين. لكنها على رغم قساوتها لم تضع حداً للتهريب، علماً أن عمليات المكافحة لا تضبط سوى عُشر الشحنات المهرّبة إلى الخارج.

وتعاني بانكوك أيضاً مشكلة النمو السريع. فحركة السير تقارب الشلل الكلي، إذ ان الطرق لا تشكّل سوى ١٠ في المئة من مساحة المدينة في حين تصل هذه النسبة الى ٢٥ أو ٣٠ في المئة في معظم المدن الأخرى. كما أن المدينة التي لا ترتفع أكثر من متر واحد عن سطح البحر تحوي شبكة مجارٍ غير صالحة، وغالباً ما تتحول الطرق مجاري مائية خلال فصل المطر. وأسوأ من ذلك أن كميات المياه الهائلة التي تستخرج من باطن الأرض للشرب وللأغراض الصناعية تجعل المدينة شبه غارقة. ويتوقع علماء المياه أنه، في حال عدم إقامة سدود كافية، ستغرق المدينة قبل نهاية القرن.

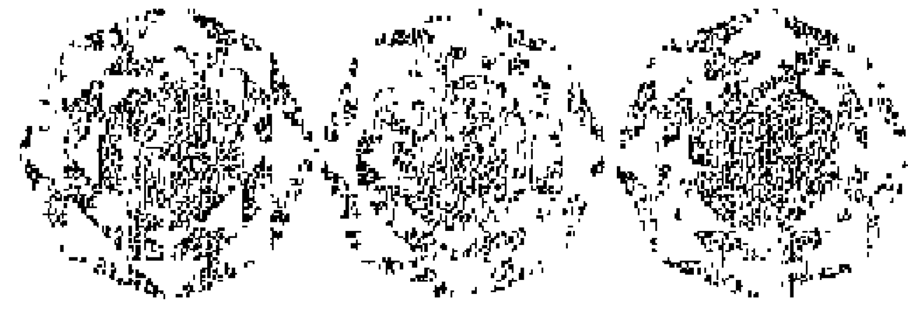
وتستقبل بانكوك سنوياً نحو ٢٠٠ ألف مزارع قادمين من المناطق الريفية، وهذا ما جعل عدد سكانها يتضاعف خلال الجيل

الأخير، فازداد الضغط على المدارس وشبكات الهاتف ومصلحة جمع النفايات وسواها من الخدمات البلدية. وفي الوقت نفسه برزت مساحات جديدة تشغلها الأكواخ المعدنية وأحياء الفقراء.

لكن التايلنديين هنا، كما في كل مكان آخر من البلاد، لا يتخلون عن نظافتهم الفطرية. كذلك يتّسم أبناؤهم بالنشاط والحيوية. وغالباً ما تخصص المدّخرات الأولى للعائلة لشراء جهاز تلفزيون. ويقول أحد العاملين الاجتماعيين إن التايلنديين يفعلون ذلك من أجل الـ"سانوك" الذي من دونه لا يجد أي تايلندي قيمة في الحياة.

حتى المشكلات لا تقضّ على التايلنديين مضاجعهم، فهم محظوظون ومدركون هذا الواقع الذي تعبّر عنه، كما عن نظرتهم الى الحياة، حكمة تركها ملك تايلندي من القرن الثالث عشر: "في مياهنا أسماك وفي حقولنا رز. من أراد التجارة بالأفيال أو الخيول أو الذهب فعل. ومن أراد الضحك أو اللعب أو الغناء فعل. ووجوه الشعب تشع بنور الفرح."

رونالد شيلر ■



مصباح السرير

درج لاعب في فريق محترف لكرة القدم على أطالة السهر على رغم قوانين الفريق القاضية بالنوم باكراً. فكان يكدّس أشياء تحت الملاءات ليوحي أنه في سريره، ثم يخرج للسهر.

وذات مرة كان الفريق نازلا في أحد الفنادق ولم يجد صاحبنا شيئاً ليحشو سريره به، فوضع تحت الاغطية مصباحاً كهربائياً وذهب. وحينما دخل مدرب الفريق غرفته بعدما ارتاب في أمره، وأدار المفتاح الكهربائي، أنير السرير!

ر.س.

صراحة في غير محلها

كنت أجرّب تنورة في محل تجاري حين سألتني امرأة تشبه ملابسها ملابسي عن رأيي الصريح في الثوب الذي كانت على وشك شرائه.

فأجبت بأقصى ما تجرأت عليه من الصراحة: انها ليست مناسبة لجسمك كتلك التي أجربها. الا توافقينني الرأي؟ انها ضيقة حول الوركين.

فقاطعتني بحدة: "التنورة لي، انما أريد شراء القميص."

د.ر.

كوكوشكا الرسّام الثائر



صورة الفنان بريشته، ١٩٤٨.

حين زرت أُوسكار كوكوشكا للمرة الأولى في منزله في مدينة فيلنوف على بحيرة جنيف، كان ذلك في يوم ربيعي مُشرق من العام ١٩٦٢. رأيته واقفاً أمام لوحة غير منجزة، ثم استدار ماشياً مِشيَتَه الخفيفة المميزة. "أوكي،" كما تدعوه زوجته وأصدقاؤه(١)، بدا لي في السادسة والسبعين أَصغر من عمره بعشر سنين على الأقل.

سألتُه كم ساعة يعمل في اليوم. رماني بعينيه الزرقاوَين، كما بتيّار كهربائي، ولمع وجهُه بتعبير شيطاني حين أجاب: "لم أعمل في حياتي دقيقة واحدة. أنا أَرسم للحصول على الفرح."

كان كوكوشكا ساحراً في قدرته على نقل ذاك الفرح الى القماشة، وبهذه القدرة نال إعجابا شاملا من مؤرخي الفن. قال فيه كنيث كلارك: "مَناظره هي من مفاخر عصرنا. انه ضمّ بين ذراعيه أروع ما تحويه أرضنا من آيات طبيعية." ووصف إرنست غومبرتش رسومه للوجوه بأنها "صالة العرض الأَشدّ إثارةً في عصرنا."

على أن الثناء الذي كان ليحظى بأكبر قسط من رضاه هو الذي يغدقه عليه فنّانو اليوم. "إن عدداً من ألمع فنّاني أوروبا في وقتنا يجدون فيه نورهم الهادي." ذلك ما أسرّ به إليّ فليكس باومن مدير معرض كونستهاوس للفن في زوريخ. وأضاف: "في رأيهم أن العفوية الخارقة في رسومه مهدت للاتجاهات الفنية الحديثة."

هذا الحكم انتصار للعبقري الذي كان معظم حياته يستخف بنقد الآخرين

---

(١) OK هما الحرفان الاستهلاليان لاسم Oskar Kokoschka

لأسلوبه التعبيري. ظلّ يصوّر بطريقته الخاصة، يلطّخ قماشاته بالاحمر الملتهب والاخضر الذي يصدم النظر والأزرق الكوبلتي والبني المعصفر، الى أن رأى العالم يخشع له وانهالت عليه مظاهر التكريم.

في بريطانيا التي اتّخذها مسكنا مدة ١٥ سنة، منح عام ١٩٥٩ لقب "ضابط في الامبراطورية البريطانية" ومُنِح شهادة دكتوراه فخرية من جامعة أكسفورد. وكافأته ألمانيا بوسام استحقاق رفيع.

واليوم تزيّن أعماله جدران المتاحف الكبرى في أوروبا والولايات المتحدة. واذا اتفق مرة أنّ عرضت احدى زيتياته للبيع بالمزاد العلني، فيمكنها أن تعود على صاحبها بأكثر من مئتي ألف جنيه استرليني.

في العام ١٩٨٦ احتفل العالم بمرور مئة سنة على ولادة كوكوشكا. فعرضت رسومه في صالة تايت في لندن ومعرض كونستهاوس في زوريخ ومتحف الفنون في هامبورغ ومتحف غوغنهايم في نيويورك.

أوسكار كوكوشكا ابن صائغ من فيينا، وُلد في بلدة نمسوية صغيرة تدعى بوشلارن في أول مارس (آذار) ١٨٨٦. لم يكن تلميذاً ناجحاً في المدرسة لكنه استرعى انتباه معلّم الرسم بموهبته المذهلة، فمهّد له سبيل الحصول على منحة في مدرسة الفنون والحِرَف في فيينا. ومنذ ذلك الحين ظهر نبوغه.

غير أن انتاجه الباكر لم يلقَ تجاوباً لدى الجمهور. وفي معرض ١٩٠٨ للفن التقدمي الذي قابلته الطبقة البورجوازية في فيينا بالرفض الشديد، أطلق الزائرون على الغرفة التي عُرضت فيها



من رسومه الباكرة الشهيرة "عروس الريح" أنجزه بين العامين ١٩١٣ و١٩١٤ عقيب انفصاله عن ألما مالر.



"الجزيرة البعيدة" واحدة من ثماني طبعات حجرية ملوّنة وُضعت عام ١٩٠٨ ليتضمنها كتاب حكايات خيالية.

"درسدن، نوستات ٣" واحدة من ست لوحات تمثّل المنظر الذي يُرى من نافذة محترف كوكوشكا، رسمها الفنان خلال السنوات التي قضاها في أكاديمية درسدن للفن.

رسوم كوكوشكا اسم "غرفة الفظائع" ودعاه أحد النقاد "المتوحّش الاكبر."

في معرض السنة التالية قدّم كوكوشكا مسرحية عنوانها "القاتلة، أمل النساء" عالج فيها موضوع الحرب بين الامازونيات (٢) والمحاربين الغزاة. اعتُبرت هذه المسرحية في ما بعد سابقة للمسرحيات التعبيرية التي ظهرت في الخمسينات. ووضع موسيقاها بول هندميت الموسيقي الالماني البارز. لكنها قوبلت في ذاك الصيف من ١٩٠٩ بعاصفة من صيحات الاستهجان. في ذروة عقدة المسرحية حدثت مشاجرة بين الممثّلين والحضور والشرطة، وأدّى ذلك الى طرد كوكوشكا من مدرسة الفنون والحرف.

هربَ صاحبنا اذذاك الى برلين حيث تولّى نشر مسرحياته ورسومه هروارث والدن رئيس تحرير مجلة أسبوعية طليعية هي "در شتورم" (العاصفة). كلا الرجلين كان يشكو ضيق الحال وقد بذلا جهوداً مضنية للبقاء وكادا يفلسان في شتاء ١٩١٠. وعلى رغم ذلك استطاعت "در شتورم" في ظرف قصير أن تثبت وجودها كأفضل مجلة للفن في برلين. وبما أن رسوم كوكوشكا برزت في معظم أعدادها فقد ذاعت شهرته وأقبل الناس على شراء رسومه بأسعار مرتفعة.

لم يَطُل الوقت بالفنان المشتاق حتى عاد الى فيينا. وجدَّدت مدرسة الفنون والحِرَف توظيفه كمعلم رسم. هناك عنّ له أن يتحدّى عادة تقضي ببقاء موديلات(٣) الرسم جلوساً أو وقوفاً أمام الفنان كالتماثيل. فطلب من موديلاته المشي أو الرقص، ومن تلاميذه أن يرسموهم متحركين.

في هذه الآونة التقى كوكوشكا ألما مالر أرملة الموسيقي النمسوي الكبير غوستاف مالر التي يذكرها في سيرته الذاتية: "كانت رائعة الجمال في ملابس الحداد، وشعرتُ أنها وقعت في حبي منذ النظرة الاولى." وبعدما طلبت منه رسمها انعقدت بينهما علاقة حب كبير لم تسلم من المصادمات. وقد دفعت الغيرة الآكلة اوسكار الى قضاء عدد كبير من لياليه قبالة بيت ألما...

بعد ثلاث سنوات مضطربة انتهت قصة الحب. وأصيب كوكوشكا بصدمة عنيفة جعلته يصبغ جدران محترفه باللون الاسود. وفي يأسه رسَمَ واحدة من أجمل لوحاته، "عروس الريح،" طلاها بالازرق والاحمر القاتمين وظهرَ فيها مع حبيبته



رسم استوحاه من رحلاته في الشرق الاوسط.

"متنزّه رتشموند"، ١٩٢٦، أحد الرسوم البريطانية لكوكوشكا.

في سفينة غارقة تصارع الامواج المظلمة العملاقة.

بعد الحرب العالمية الاولى التي خدم فيها ضابطاً في فرقة الخيّالة، رضي بأن يشغل وظيفة تعليمية في أكاديمية درسدن للفن. ومارس وظيفته سبع سنوات ثم ألحّت عليه الرغبة في التنقل. كان يقول: "أنا سائح طوال العمر." وراح يجوب سويسرا وأقطار المتوسط والشرق الاوسط والجزر البريطانية حاملا دفتر رسم.

في ١٩٣٤ أثارت مطامع هتلر قلقه، فانتقل الى براغ في تشيكوسلوفاكيا حيث سكنت أخته مع عائلتها. وبسمت له الحياة مدة هناك، اذ طلب منه مازاريك رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا آنذاك، أن يرسم صورته، والتقى أولدا بلكوفسكا التي أصبحت زوجته.

ثم في العام ١٩٣٧ بلغه أن اسمه أدرج في لائحة "الفنانين المنحطّين" في ألمانيا وأن لوحاته أخرجت من المتاحف وصالات العرض. وكانت تلوح في الافق بوادر غزو هتلر لتشيكوسلوفاكيا، فهرب كوكوشكا وزوجته الى بريطانيا. هناك أخذ يرسم فواجع الحرب بأسلوب رمزي ويلقي خطباً في النوادي يهاجم فيها النازية.

في ١٩٤٧، حين حصل على الجنسية البريطانية، عَرض لوحاته المعبّرة عمّا بعد الحرب في بال وأمستردام وزوريخ.

(٢) الامازونيات نساء محاربات زعمت الاساطير الاغريقية أنهن كن يقمن قرب البحر الاسود.

(٣) الموديل شخص يستعين به الفنان كنموذج لرسومه أو تماثيله.

بعد ذلك بسنة كانت أعماله تُعرض في ايطاليا والولايات المتحدة.

عكف على رسم المدُن، لندن وهامبورغ وبرلين ونيويورك والقدس، ملتقطاً ما في كل منها من حياة نابضة. رسم شخصيات اجتماعية ورؤساء دول.

"عيناه تحملان أشعّة إكس،" هكذا عبّر أدولف لُوس المهندس المعماري النمسوي عن القوة الخارقة التي جعلت كوكوشكا يُبصر الجوهر الكامن في شخصيات موديلاته.

في صيف ١٩٥٣ أسّس كوكوشكا "مدرسة الرؤية" في سالزبورغ، فأصبحت التجربة الفنيّة الاعظم شهرة في العالم. وقصدها طلّاب من أنحاء أوروبا والولايات المتحدة وكندا. كان يطلب من تلاميذه استعمال الالوان المائية لانها تحول دون الاسراف في التلوين، ويقول لهم: "حين تبلغون في الفن درجة الاتقان، يمكنكم التصحيح. هذا ضروري. ولكن ليس في أثناء الدرس والتحصيل... أبداً!"

في غضون أحد عشر صيفاً واظب على تعليم تلاميذه بالملاينة حيناً وبالتأنيب أو المديح حيناً آخر، وأولى اهتمامه كل إنتاجٍ يقومون به. من أقواله لهم: "تذكّروا: الكل يعرف أن للناس رؤوساً وأقداماً. لا تَغرقوا في التفصيل والتدقيق. ركّزوا على الجوهر."

في حاجاته الشخصية كان يرضى بالقليل. يرتدي الملابس البسيطة ويفضّل الغذاء البسيط. يعطي الطلاب المحتاجين. وطوال سنوات أعال أخاه وأخته اللذين أحبهما حباً شديداً.

امتاز أيضاً بحُسن الضيافة. "كل خمسة أسابيع كنت أزوره في بيته صباحاً فألقى منه استقبالا ملوكياً." هذا ما يذكره عنه إدوين ولفنسبرغر أحد أصحاب المشغل في زوريخ حيث كان كوكوشكا يطبع رسومه بالطريقة الحجرية(٤). ويضيف: "كان الفنّان شديد الرغبة في مناقشة الاحوال العامة، الى أن يقترب موعد الغداء فيجري مسرعاً الى المطبخ. وكنت أسمع همهمته من وراء الباب. أخيراً يعود مزهواً، حاملا صينية عليها قِطع لحم وهليون وسلطة. ولم يكن يرضى بتوقيع أي عقد قبل انتهاء الغداء."

وتضيف اليزابيث فورتفانغلر: "عرفتُه صديقاً مدهشاً مليئاً بالحماسة السريعة العدوى."

تُوفي كوكوشكا في ٢٢ فبراير (شباط) ١٩٨٠. وحتى يومه الاخير حافظ على نظافة فراشيه وترتيبها الشديد الدقة، وهي لا تزال كذلك في وعاء على عتبة نافذة منزله الفرنسي. وعلى مسند اللوحات تُعرض احدى لوحاته على الدوام، وحضوره البهيج ما زال يحتل المكان كأنما "أوكي" خرج في مشوار ولن يلبث أن يعود.

ليلي فولدز ■

(٤) Lithographs

البحبوحة الحقيقية هي انتفاء الحاجة الى أي شيء.

غاري سنايدر، كتاب "جزيرة السلاحف"



أحلى الأوقات لأغلى الأحباب

إن موسم العطل والأعياد يعني قضاء أجمل الأوقات مع الأحباب
وأفضل هديّة تقدمها لهؤلاء المقربين إليك هي ساعة سيتيزن،
ساعات أنيقة لكل الأذواق - أساور تزين المعصم أو ساعات
رياضيّة تعمل بالطاقة الشمسيّة وتكون بمثابة ذكرى للحب
الذي يدوم إلى الأبد. أحلى هديّة، هديّة الحب... من سيتيزن.

سيتيزن

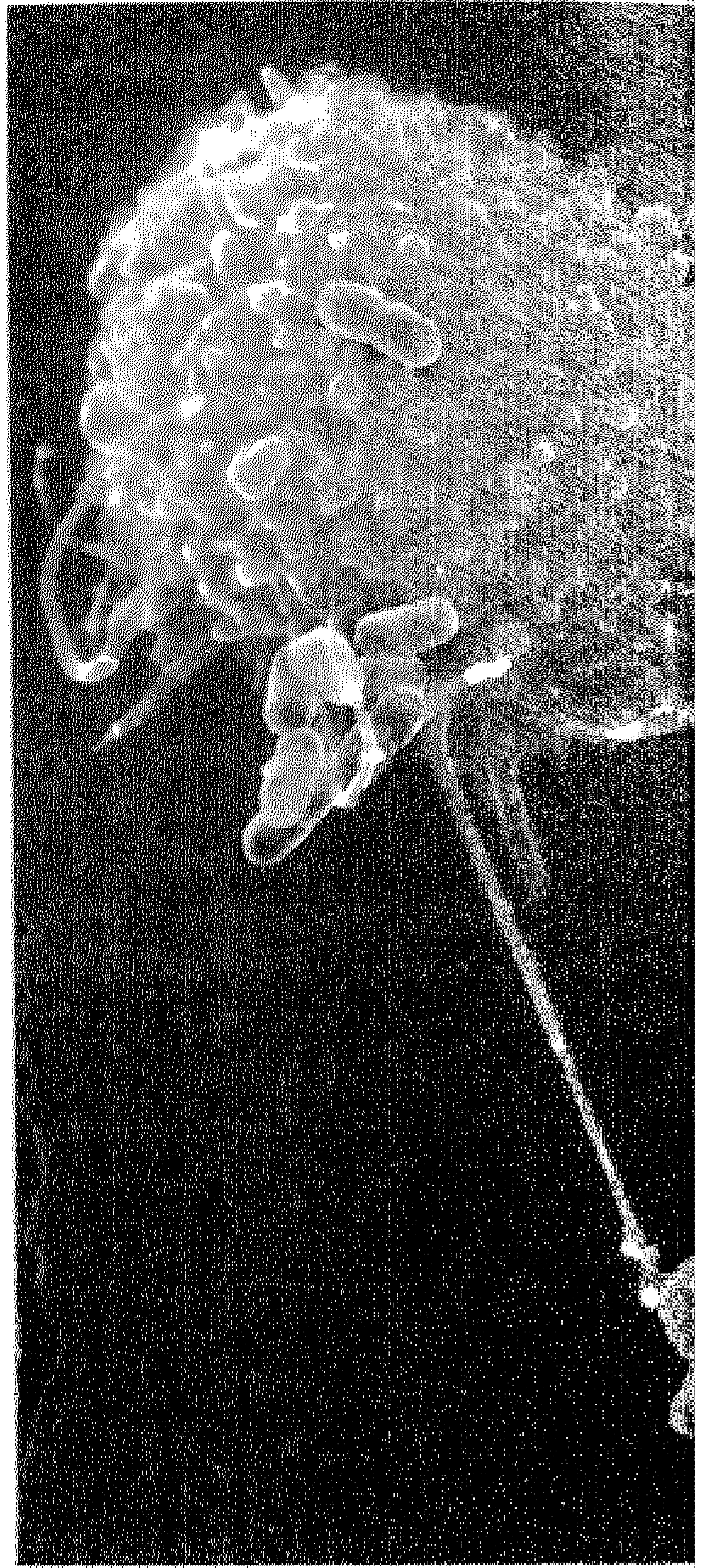
CITIZEN

المجاهر الالكترونية الحديثة تبين مواقع القتال في الجسم. فوق: في الخطوة الاولى من "التهام الخلية" تمد ملتقمة ما يشبه القوائم لتطوق عدداً من الجراثيم.

الحَربُ الدائِمَة

تحاصر الجسم جيوش هائلة من أعداء غير منظورين فيجند كتائب دفاعية خاصة لمحاربة الغزاة. هنا شروح وصور شائقة لخطط الهجوم والدفاع داخل أجسادنا

Condensed from National Geographic (June '86), © 1986 by National Geographic Society, Washington, D.C. Photos by Lennart Nilson, © Boehringer / Ingelheim International, GMBH, from «The Body Victorious,» to be published in April as a Merloyd Lawrence Book, Delacorte Press, New York, N.Y.



"الطبيعة ملأى بأشياء كروية صغيرة." هكذا لاحظ العالم البيولوجي لويس توماس. فالجراثيم والاوليات الوحيدة الخلية (١) والفطر والفيروسات تتعقبنا في أشكال لا حصر لها وتحتشد على جلودنا وأغشيتنا محاولة دخول أجسادنا ومتوصلة الى ذلك احياناً. ويصغر حجم هذه الاجسام الغازية الى درجة فائقة بحيث تتعذر رؤيتها، حتى أن في الامكان احتواء ما يزيد على ٢٠٠ مليون منها ضمن النقطة في نهاية هذه الجملة. لكن فنونها "الحربية" تتيح لها التغلب على الخلايا الصحيحة التي تهاجمها والتي تفوقها حجماً بكثير.

نحن في الغالب غافلون عن الحروب الدائرة داخلنا من دون انقطاع. لان خلايانا المدافعة تهزم العدو الغازي. ولكن يحدث أحياناً ان يؤخذ المدافعون على حين غرة فنصاب بالزكام أو الانفلونزا (النزلة الوافدة) او ما هو أسوأ. وتتمرد خلايانا أحياناً فتتكاثر على نحو غير طبيعي يعرف بالسرطان متملصة من رقابة قوانا الدفاعية. ولكن في مقابل كل اختراق ناجح لدفاعنا هناك ألوف المحاولات التي تحبط.

الفيروسات هي اكثر أعداء الجسم مراوغة وبساطة. والفيروس لا يعتبر شيئاً حياً بالمعنى الحقيقي. انه مجرد حزمة من الجينات (المورثات) مغلفة بالبروتيين وتحمل تعليمات بالتناسخ. فعندما ينسل الفيروس داخل خليتنا يصدر اليها أوامره كي تولد المئات، بل - الألوف، من الفيروسات الجديدة المماثلة في مدى يوم واحد. وينتهي الامر بانفجار الخلية وهلاكها. من ثم تتوزع الفيروسات لمهاجمة الخلايا المجاورة. ويقول الدكتور ستيفن ميتزيل من جامعة ويك فورست بولاية كارولينا الشمالية: "في البداية تكون الغلبة دائماً للغزاة."

(١) Protozoa

بحثاً عن خلية بشرية ذات نتوءات تطابق شكل أخاديده. وعندما تلتقي النتوءات والاخاديد تتشابك كقطع أحجية، ثم يدخل الفيروس بسرعة غشاء الخلية معلناً الحرب على جهاز المناعة.

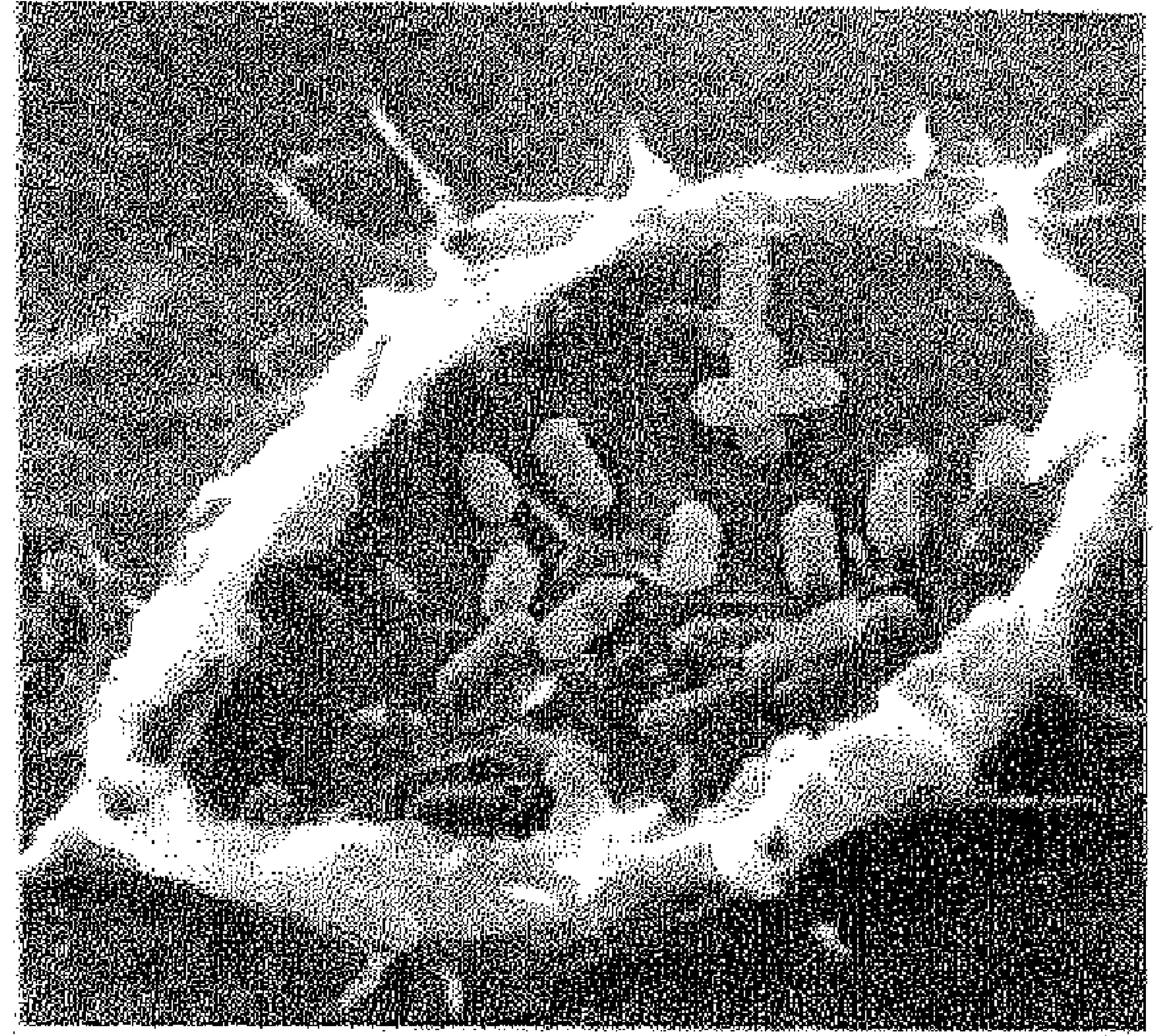
ولحسن الحظ هناك في جسمي تريليون (٢) من أصل مئة تريليون خلية مستعدة للدفاع عني، الا وهي كريات الدم البيضاء. تولد هذه الكريات في نِقْي العظام (٣) وتؤلف ثلاث فرق متميزة: البلاعم (٤) أو الخلايا الآكلة ونوعين من الكريات اللمفاوية (٥) هما خلايا «T» وخلايا «B» . ولكل من هذه الفرق خطط دفاعية خاصة.

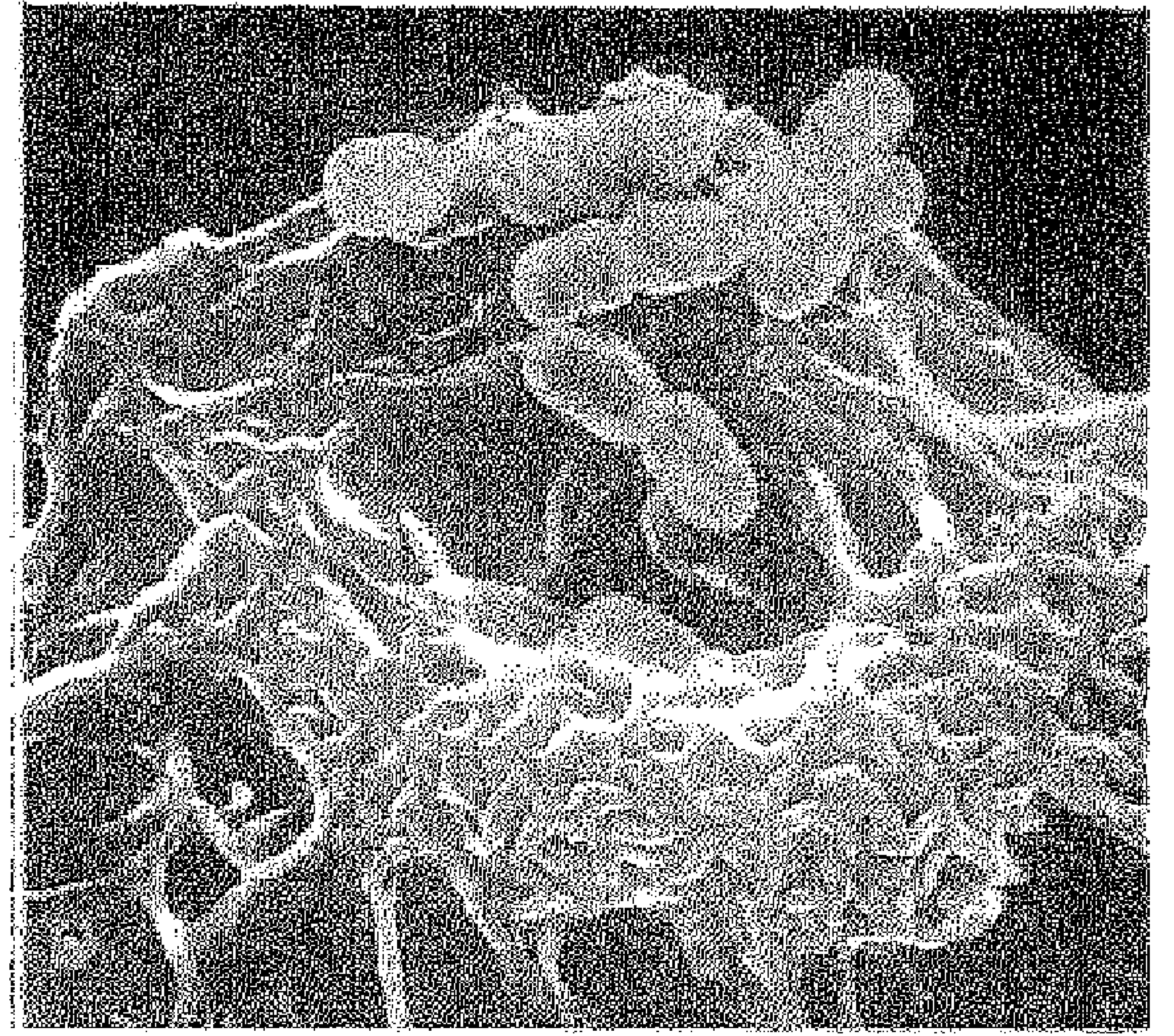
أول من يصل للدفاع البلاعم، أي الفريق المنظف. فهي تستكشف نواحي الجسم باستمرار متنبهة لكل مشبوه فتبتلعه وتقضي عليه.

والبلاعم لا تدقق في الاختيار بل تأكل كل ما يثير الشك. ففي الرئتين مثلا تلتهم ذرات الغبار ومواد ملوّثة غيرها تدخل مع التنفس. وهي تعمل عندما يجرح الجلد، اذ تتوسع الاوعية الدموية مسببة ورماً واحمراراً حول الجرح، فتنسلّ البلاعم من خلال الاوعية الموسعة وتفترس كل الجراثيم المهاجمة. من ثم ينسج الجسم خيوطاً من مادة الليفين (٦) على الجرح لكي يستعيد حصنه الجلدي.

في القتال ضد فيروس الزكام يحدث أن تقع البلاعم الجوّالة على بقايا خلية

(٢) التريليون هنا يساوي مليون مليون.
(٣) النقي (marrow) هو مخ العظام.
(٤) Phagocytes
(٥) Lymphocytes
(٦) Fibrin





ملتقمتان اخريان في مرحلتين لاحقتين أثناء الايقاع بالجراثيم وابتلاعها.

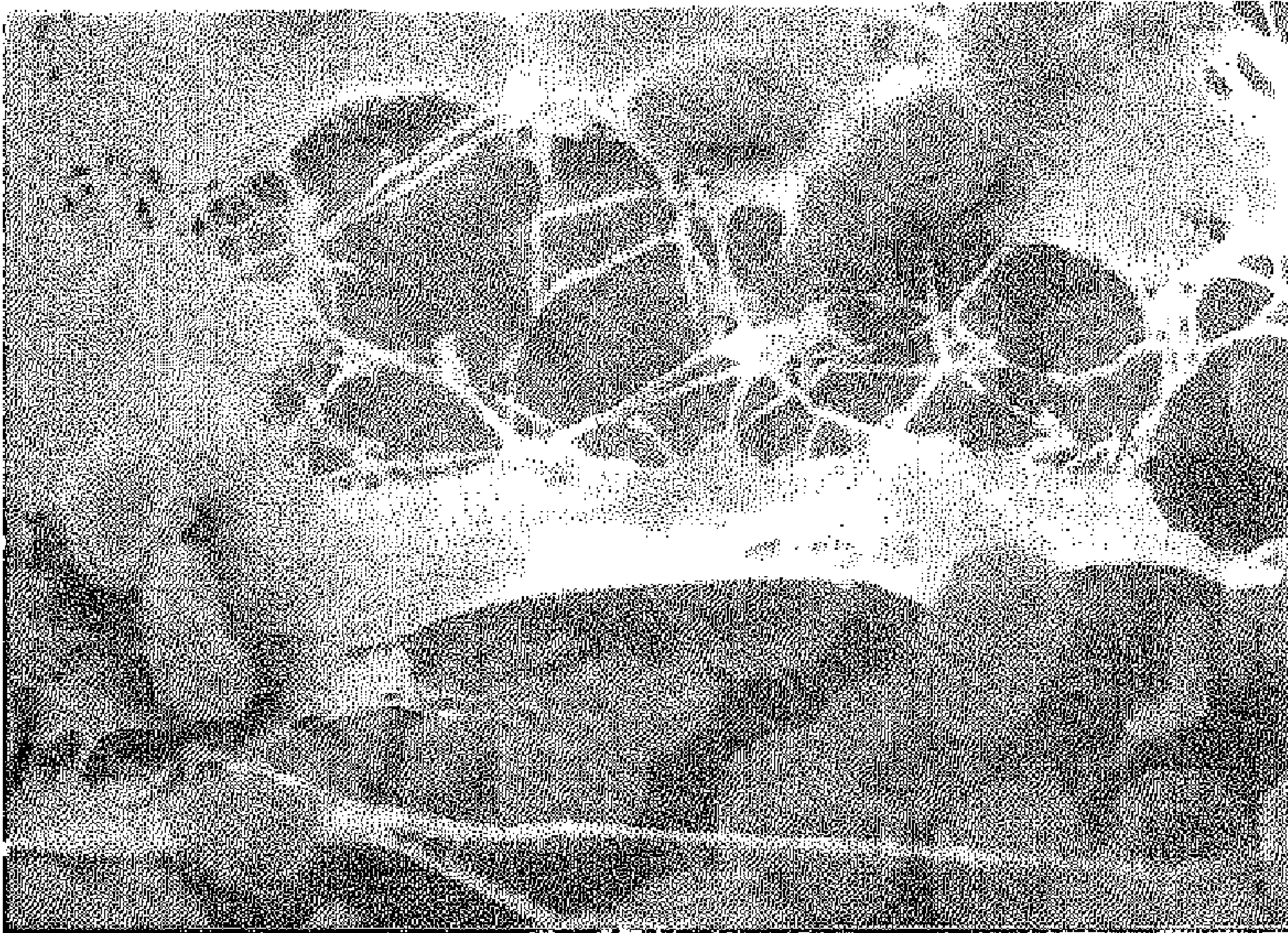
في جامعة برديو بولاية انديانا التقيت أحد أولئك الغزاة وجهاً لوجه. وشاءت المصادفات انني كنت أحس حكّة في حلقي وسال أنفي وبدأت أعطس. ولدى وصولي الى الجامعة التقيت العالم البيولوجي مايكل روسمان الذي شخّص ان العلة هي "رينوفيروس ١٤، أحد أسباب الزكام العادي." فناولني نموذجاً منه هو كرة تجعد سطحها بأخاديد بارزة.

خلايا اختصاصية - يخامر الباحثين شك في أن الفيروس يجوب جهاز التنفس

فجّرها "رينوفيروس ١٤" فتبتلعها وتلتهم معها بعضاً من الفيروسات. ولكن ليس في امكان البلاعم أن تقضي على الاعداء بالسرعة الكافية لمنعهم من عدوى الخلايا المجاورة.

وتصل ثانياً بلعمة كبيرة خاصة تدعى "ملتقمة" (٧). واذ تلتهم "رينوفيروس ١٤" تنتزع منه قطعة معينة تدعى "مولّد المضاد" (٨) وتحملها على سطحها عارضة اياها كأنها راية غنمتها في حرب.

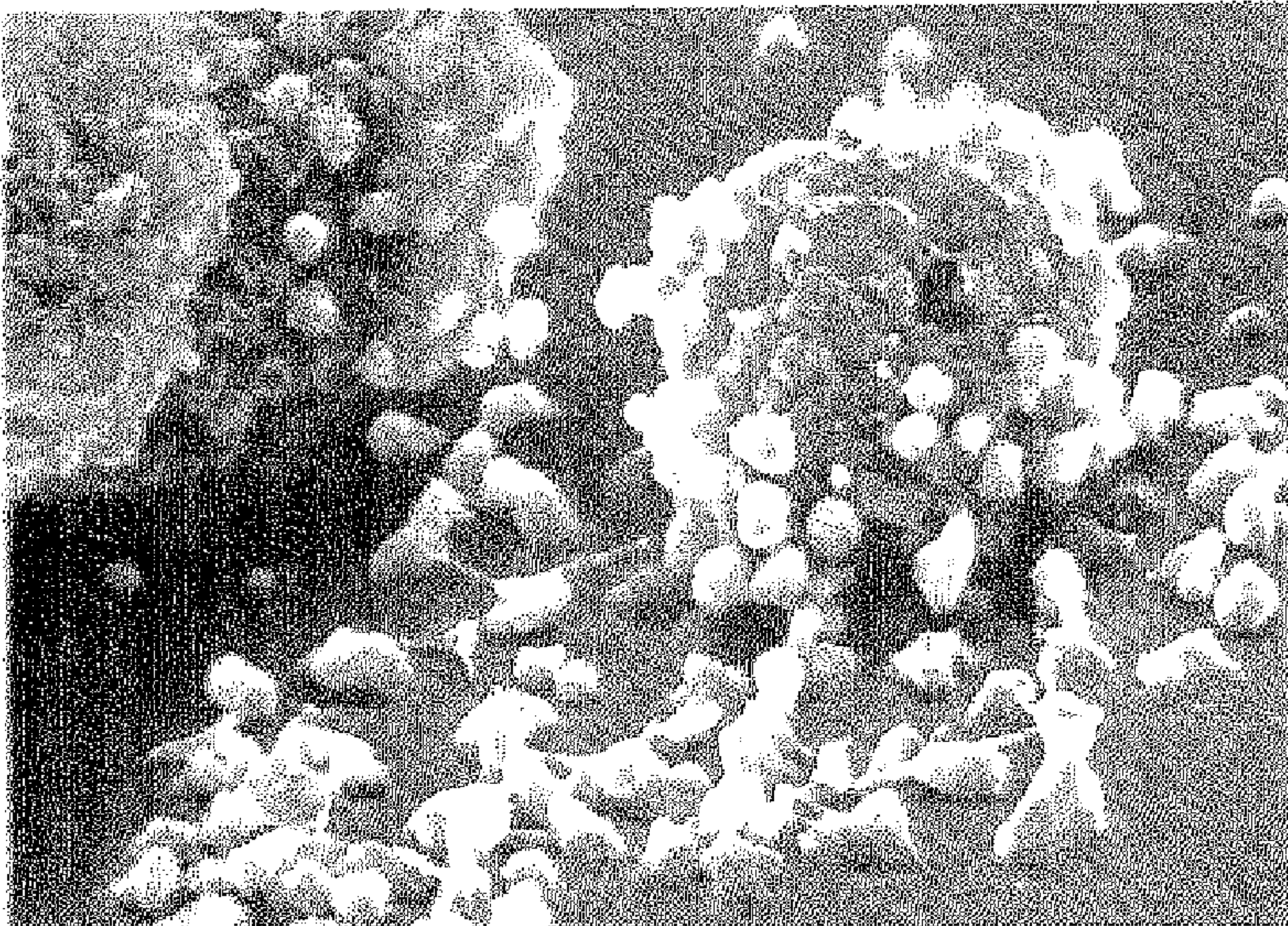
تؤدي الراية دوراً حاسماً في جهاز المناعة لانها تنبه خلايا «T» المنتشرة في الجسم والعالية "الاختصاص" اذ تعرف الفيروس بحسب شكله. ومولدات المضادات في الفيروس هدف يسهل على خلايا «T» اكتشافه.



خلايا المناعة تحض على انتاج الليفين وهو بروتيين يختم الجرح بشبكة ليفية. هنا، الليفين يغطي كريات الدم الحمراء.

حرب لا تنسى - الغدة الصعترية (٩) ذات اللون الرمادي الباهت والكائنة وراء عظم الصدر بالقرب من قاعدة العنق، تفرز عشرات الملايين من خلايا «T». وان يكن القليل من هذه الخلايا يستطيع التعرف الى جميع أنواع مولدات المضادات، ففي امكان مجموعة القوة المستكشفة أن تحدد الانواع التي لا حصر لها من مولدات المضادات التي تنتجها الطبيعة.

ان خلايا «T» المعروفة بالمساعِدَة (١٠) هي أول من يكتشف مولدات المضادات. وهي لا تحمل سلاحاً لكنها ترسل اشارات كيميائية ملحة الى كتيبة صغيرة من الحلفاء: خلايا «T» القاتلة (١١) المؤهلة لتحديد العدو وفحوى الرسالة: "تكاثري



لدى المصابين بالحمى الصفراء تتعلق الاجسام المضادة بسطوح الخلايا في الأغشية المخاطية. وعندما تتعلق المواد المثيرة للحساسية التي ينقلها اللقاح أو الغبار، بالاجسام المضادة تنفجر الخلايا مفرزة حبيبات مشبعة كيميائياً تسبب أنفاً راشحاً وعينين دامعتين.

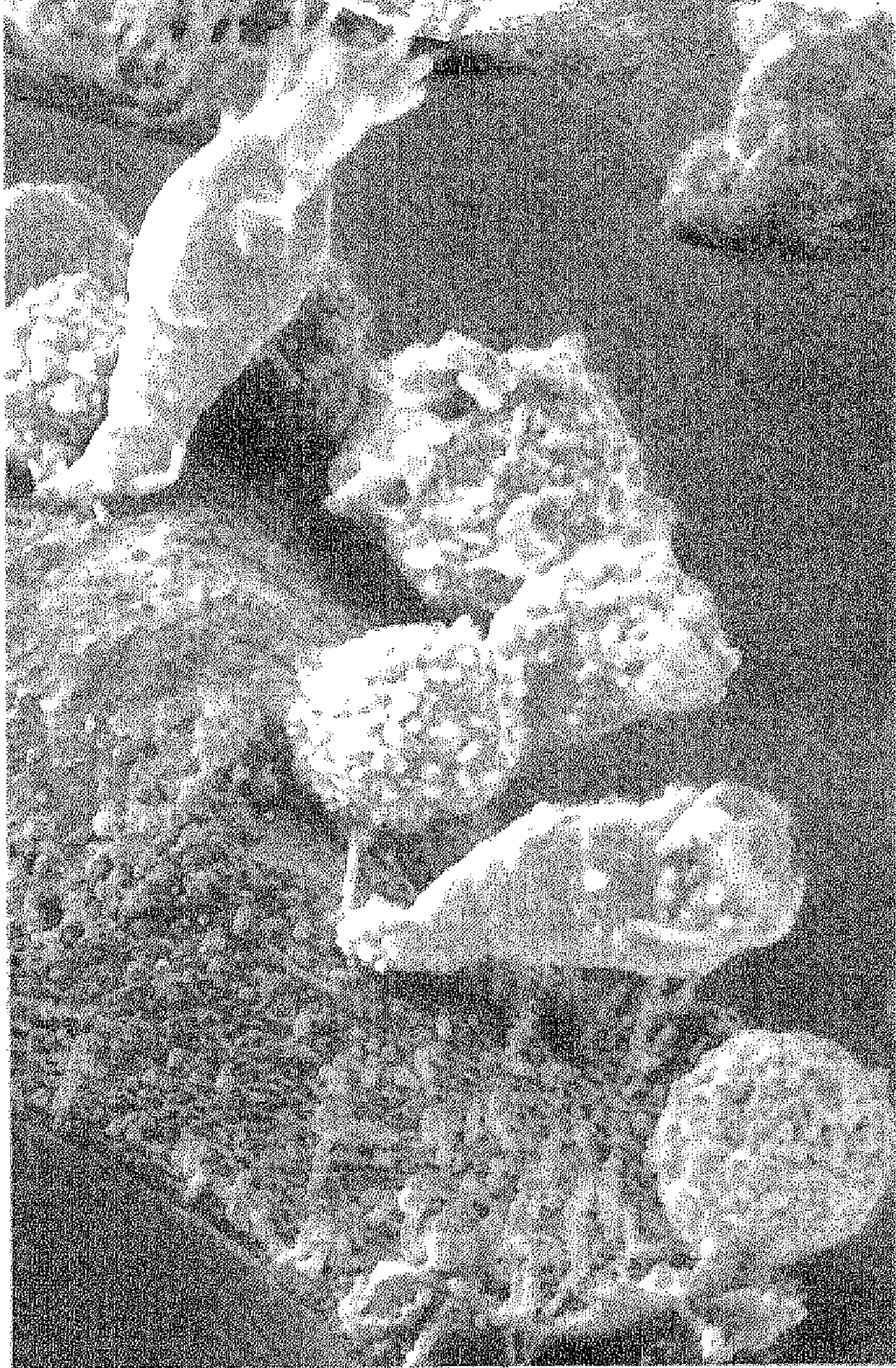
---

(٧) Macrophage
(٨) Antigen
(٩) Thymus gland
(١٠) Helper T cells
(١١) Killer T cells

الاخيرة الرئيسية في جهاز المناعة وهي خلايا «B». وهذه مركزة في العقد اللمفاوية التي يشبه شكلها حبة الفاصوليا والمنتشرة في كل الجهاز اللمفاوي. والعقد مصانع صغيرة للذخيرة حيث تنتج خلايا «B» أسلحة كيميائية تدعى الاجسام المضادة (١٢). وتلتصق جزيئات هذه الاجسام بسطوح الكائنات الغازية (سواء أكانت فيروسات أم جراثيم أم اوليات أم فطراً) وتبطىء حركتها مما يجعلها هدفاً أسهل للبلاعم.

وفي امكان الاجسام المضادة أن تقتل أيضاً، اذ تتشابك مع مضادات الاجسام في العدو فتجذب اليها مواد معينة في مجرى الدم تنفجر كقنبلة لدى اتحادها فتمزق غشاء الخلية الغازية. وفي ذروة انجازها تستطيع خلايا «B» انتاج ألوف من الاجسام المضادة في الثانية.

وفيما تحتشد دفاعات جهاز المناعة لدي تنقلب الحال فينهزم الغزاة خلال اسبوع



خلايا «T» القاتلة تهاجم خلية سرطانية. كثير من خلايا «T» الكروية بطبيعتها تأخذ شكلا قتاليا مستطيلا حين تركز هجومها الكيميائي على الهدف.

بسرعة!" عندئذ تتناسخ الكتيبة فتصبح جيشاً يخترق كيميائياً أغشية الخلايا المصابة قبل أن يتسنى للفيروسات داخلها أن تتكاثر. وتهلك هذه الخلايا خلال العملية.

والى الاستنجاد بخلايا «T» القاتلة تستنهض خلايا «T» المساعدة الفرقة

أسبوع ويتحقق لي النصر ضد الزكام.

لكن هذه الحرب لن تنسى. فبدلا من عدد قليل من الحراس أصبح لدي جيش من "خلايا الذاكرة" يضم خلايا «T» و«B» مدرّبة كي تكتشف مولد المضاد في "رينوفيروس - ١٤." فاذا عاد هذا

(١٢) Antibodies

الفيروس المعين سأهزمه من دون عطس او سيلان أنف. لقد أصبحت محصّناً ذا مناعة.

أعداء وهميون – الجراثيم التي تنقل العدوى تعج حولنا. فلماذا أصبت أنا بالزكام وسلم منه شخص كان بجانبي؟

لا أجوبة حتى الان عن هذا السؤال. لكن العلماء يشكون في أن الاجهاد المتزامن مع وجود الجراثيم يجعلنا اكثر تعرضاً للاصابة. وفضلا عن هذا التعرض، على العدو أن يغزو بأعداد كافية كي يتمكن من شن هجوم ناجح. حتى الطريق التي يتبعها الهجوم لها أهميتها. فبعض عوامل المرض، كفيروسات داء التهاب الكبد "ب" وعلة نقص المناعة المكتسبة "إيدز" (١٣)، يجب أن تدخل مجرى الدم بسرعة لانها تفقد فاعليتها في حال تعرضها للهواء. لهذا السبب تندر الاصابة بها الا من خلال تبادل سوائل الجسم. أما الفيروسات الاخرى، كفيروسات الانفلونزا والزكام، فانها تنتقل في الهواء وهي لذلك أشد قدرة واحتمالا.

وما يزيد الامر تعقيداً الاضطرابات المدمرة في جهاز الدفاع الذاتي الذي يتعذر عليه أثناءها التعرف الى بعض الخلايا التي هي خلايانا، فيهاجم الجسم الذي هو موكل الدفاع عنه وحمايته. ففي حال التهاب المفاصل الرثياني (١٤) مثلا يهاجم المفاصل، ولدى الاصابة بحمى الروماتيزم (١٥) يهاجم القلب، وفي حال التدرن الجلدي المخاطي (١٦) يهاجم الكليتين والجلد والمفاصل.

أحياناً يخوض جهاز الدفاع حرباً ضد أعداء وهميين. فألوف المواد، كاللقاح النباتي والغبار ووبر الحيوانات وقشور جلودها، كلها تثير حساسيات في الملايين من الناس. فلدى المصابين أجسام مضادة تخطىء في التمييز فتواجه المواد غير الضارة كأنها أعداء. كما أنها تتخطى هذا الاعتبار فتحمل الأنسجة على افراز مواد كيميائية قوية، كالهيستامين، تولد أعراض الحساسيات. لكن كثيرين من علماء المناعة يعتقدون أنه خلال مدة تراوح بين عشر سنين وخمس عشرة سنة ستتوافر لدينا الادوات التي تضبط الحساسيات.

محاربة السرطان – لجهاز الدفاع مهمة رئيسية غايتها انقاذ الحياة في محاربة داء السرطان. ومع أن لا سبيل لنا لمعرفة السبب الذي يجعل الخلية الطبيعية تنقلب خائنة وتصاب بالسرطان فان باحثين كثيرين يعتقدون أن خلايا السرطان المحتملة تولد باستمرار داخلنا، وعندما تصاب بالسرطان تتغير مولدات المضادات على سطحها الى حد ينبه اليها خلايا «T» المتيقظة. وجهاز المناعة يعمل من دون انقطاع في البحث عن هذه الخلايا المتمردة والقضاء عليها قبل ان تبدأ التكاثر. ومع ذلك تبقى المتمردات أحياناً قيد الحياة.

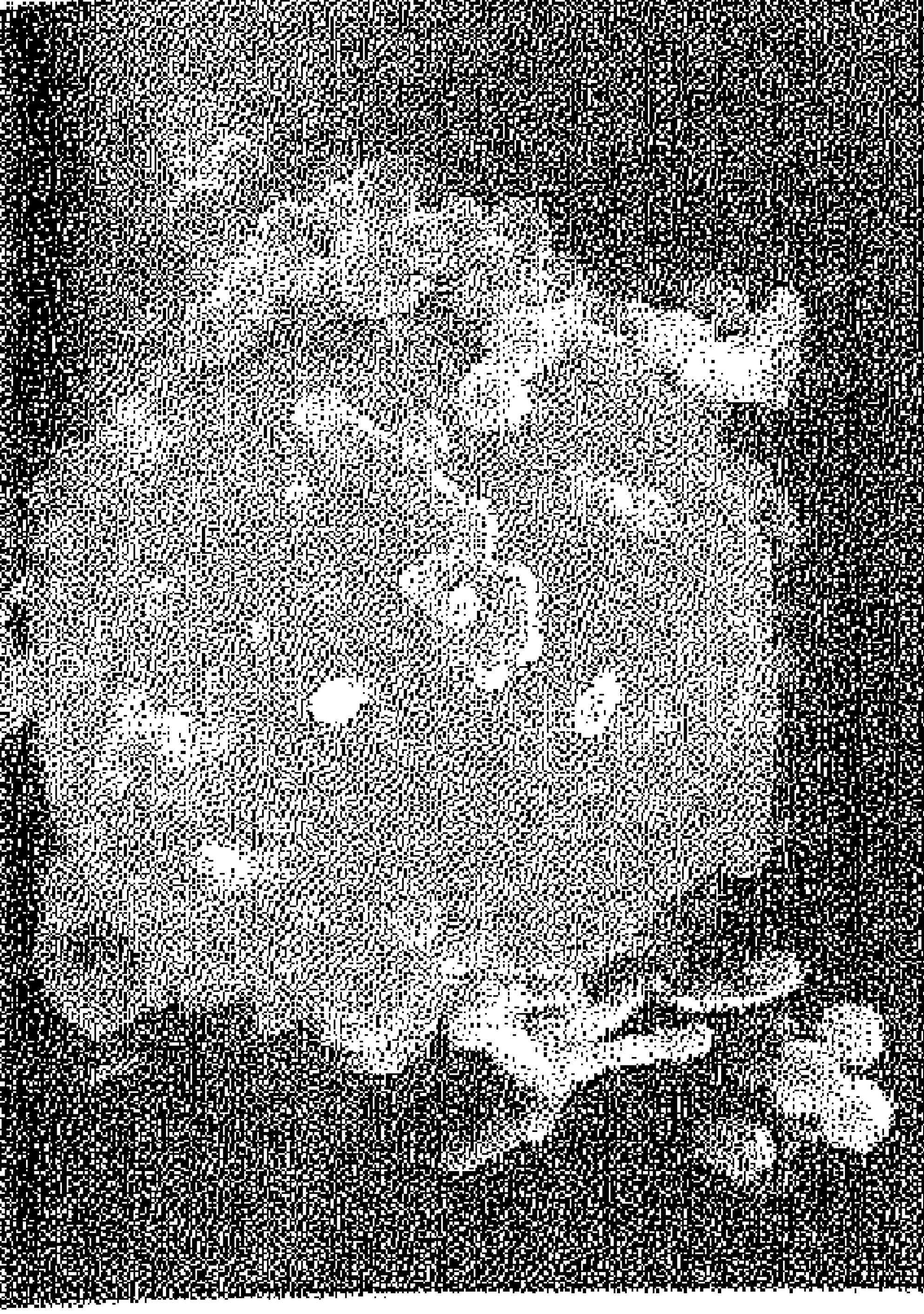
ولحسن الحظ بدأنا تطوير أسلحة ضد السرطان مقتبسة من جهاز المناعة ذاته.

(١٣) Hepatitis B; Acquired immune deficiency syndrome «AIDS»

(١٤) Rheumatoid arthritis

(١٥) Rheumatic fever

(١٦) Systemic lupus erythematosus



خلايا «B» كهذه النماذج المغلفة بالجراثيم تولد جيوشاً من الاجسام المضادة هدفها الاوحد مهاجمة الغزاة.

خلية «T» مساعدة تهاجمها فيروسات الايدز (الزرقاء).

اليوم نعرف مثلا كيف نصنع "قذائف" موجهة بيولوجياً. ففي استطاعة الباحثين تنمية خلايا في المختبر تنتج أجساماً مضادة منتقاة كي تتشابك مع خلايا السرطان. ويوضح جوناثان أوهر من كلية ساوثوسترن الطبية في دالاس بتكساس: "سلح تلك الاجسام المضادة بتكسين (١٧) قوي فتصبح قادرة على أن تتعقب خلايا السرطان وتقتلها، وفي الوقت ذاته يؤمل ألا تلحق الاذى بالخلايا السليمة المجاورة."

هذه الأجسام المضادة التي يولدها الانسان قد تستخدم يوماً للقضاء على

(١٧) التكسين (toxin) مادة سامة.

الخلايا التي تساهم في اثارة الحساسيات أو الاضطرابات في الجهاز الذاتي للمناعة.

في المعاهد الوطنية للصحة في بتيسدا بالولايات المتحدة أصاب الطبيب ستيفن روزنبرغ وفريقه بعض النجاح المبكر في معالجة السرطان بسلاح آخر يدعى "انترلوكن - ٢" (١٨). وهذه المادة هي جزء من جهاز الاتصال في الخلية المنيعة. وعندما تلتقي خلايا «T» المساعدة العدو تفرز دفعة من مادة "انترلوكن - ٢" تأمر خلايا «T» القاتلة بالتكاثر.

هل يمكن استخدام "انترلوكن - ٢" اصطناعياً لتجنيد جهاز المناعة ضد الخلايا الخبيثة؟

الجواب نعم. لقد نزع روزنبرغ كريات دم بيضاء غير ناشطة من فئران مصابة بالسرطان وزرعها في مرق مغذ يحتوي على "انترلوكن - ٢"، ثم عاد فحقن الفئران تلك الخلايا التي سارعت لدى اعادتها الى مهاجمة خلايا السرطان. فتقلص الورم وفي بعض الحالات زال تماماً.

يحذّر روزنبرغ من أن التجارب على البشر لا تزال في بدايتها، لكنه يضيف: "ان جميع المرضى الذين نعالجهم لم يستجيبوا للمعالجة العادية، لكننا لاحظنا أنهم استجابوا للمعالجة ضد الاورام."

العلاج الافضل - من دواعي السخرية أن نرى أنه مع استخدامنا أدوات متطورة مثل "انترلوكن - ٢" فلا نزال نجاهد كي نحقق ما حققه قبل ٢٠٠ سنة طبيب ريفي بريطاني هو الدكتور ادوارد جينير الذي سجل أحد أعظم الانتصارات الطبية. فقد لاحظ أن الأشخاص المصابين بجدري البقر بدوا محصنين ضد مرض الجدري الأشد خطراً. لذلك عمد جينير الى تلقيح الناس بفيروس جدري البقر. ونجحت الطريقة.

وبعد مضي ثمانين سنة اكتشف لوي باستور المبدأ العلمي في انتاج اللقاحات، وهو أنه اذا أمكن اضعاف الجرثومة الى حد ما فانها تفقد القدرة على التسبُّب في الاصابة بالمرض، لكنها تحتفظ بالقدرة على توفير المناعة. ومن خلال تجفيف كائنات مختلفة أو تسخينها أو تجزئتها توصل باستور وباحثون بعده الى ابتكار لقاحات ضد الكلَب والخناق (الدفتيريا) والسعال الديكي (الشهقة) والحمى الصفراء والكزاز وشلل الاطفال والتهاب الكبد والنكاف (أبو كعيب).

ربما كنا اليوم على عتبة عصر جديد في انتاج اللقاحات. فالاختصاصيون بعلم الوراثة يستطيعون حالياً أن يقتطعوا من جينات الجرثومة الجزء الذي ينسخ مولدات المضادات، ثم يدخلونه الجرثومة التي تتكاثر وتولد أعداداً كبيرة من مولدات المضادات التي هي في الجوهر لقاح خالص.

فإلى أي جديد آخر سيقودنا علم المناعة؟

يزداد علماء المناعة معرفة بالصلات بين الدماغ والجسم. ويقول الاختصاصي مايكل روف من المعاهد الوطنية للصحة:

(١٨) Interleukin — 2

"لقد اكتشفنا أن البلاعم الكبيرة، أو الملتقمات، قادرة على الاستجابة للسعاة الكيميائية التي تولدها خلايا الدماغ. وما يدهش أكثر هو أن في امكان الملتقمات توليد الكثير من تلك الكيميائيات. لذلك يبدو أن الدماغ وجهاز المناعة يتبادلان الرسائل."

قد لا يدعو ذلك الى العجب، اذ ان الاجهاد قد يمرضنا. فعندما نعاني الاجهاد يفرز الجسم هرمون كورتيزول الذي يمنع الملتقمات من الاستجابة طبيعياً للعدوى.

ويعتقد كثير من الباحثين أن التفاؤل والنظرة الايجابية يمكن أن يساعدانا في الشفاء من مرض خطير، ويعتقد آخرون أن التمرين الجسدي يزيد قدرة جهاز المناعة من خلال حض الدماغ على افراز مواد كيميائية تدعى إندورفين وانكيفالين (١٩). وهذه المواد قاتلة طبيعية للالم، تخفف القلق وتبعث في الجسم احساساً بالعافية. ويشير بعض الدراسات الى أنها تعزز نشاط الملتقمات وخلايا «T».

كل هذا يحملني على التساؤل هل ان الاجهاد والقلق بسبب اقتراب موعد انجاز مشروع كبير ساعدا فيروس الزكام على التسلل الى جسمي واختراق جهاز الدفاع فيه. ربما كان أفضل علاج أعرفه للاجهاد والقلق هرولة ممتعة في متنزه مجاور تفيدني اكثر من محاولة نسيان همومي.

بيتر جاريت ■

(١٩) Endorphins & enkephalins



حماقة رجل

تعب رجل من قيادة سيارته يومياً من المطار الى بيته في الريف. فجهز طائرته الصغيرة بعوامات تمكنه من الهبوط على سطح البحيرة أمام منزله.

وفي الرحلة التالية تأهب للهبوط على المدرج كالعادة. فصاحت به زوجته: "هل جننت؟ لا يمكنك أن تحطّ بالطائرة هنا من دون عجلات!" فسارع الزوج المرتاع الى توجيه مقدم الطائرة صعوداً متحاشياً الكارثة المحتمة، ثم هبط بها على البحيرة بسلام.

واذ جلس هناك والاضطراب باد على محياه قال لزوجته: "لا أدري ماذا دهاني. لم أفعل في حياتي شيئاً أكثر حماقة." وفيما هو يتفوه بهذه الكلمات فتح الباب لينزل من الطائرة فسقط في الماء.

ك.ج.

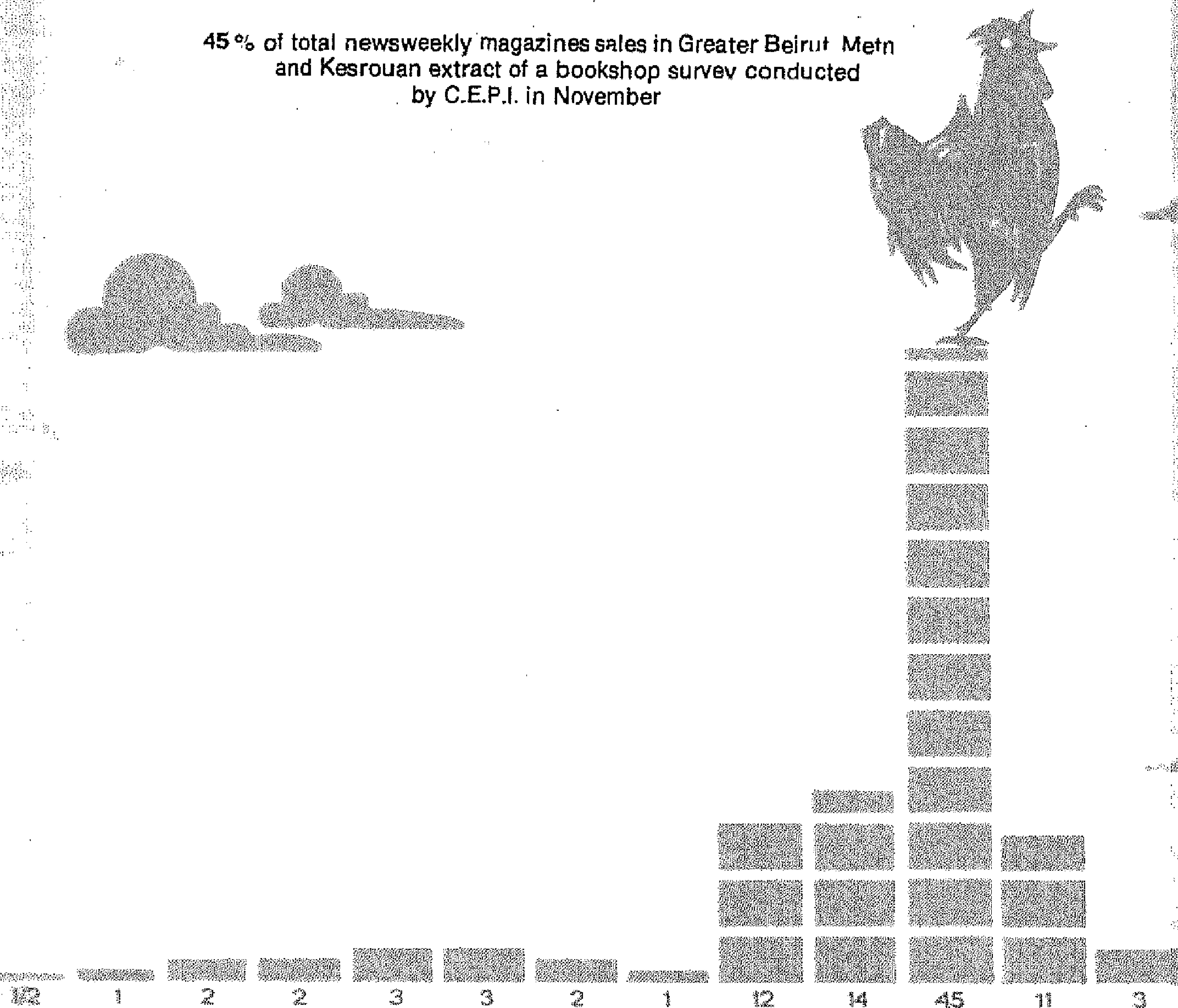
قطط وفئران

كتبت فتاة في الثانية عشرة من عمرها الى احدى شبكات التلفزيون حول اعلان تجاري لسُمّ مبيد زعم أنه أفعل من أي شيء آخر في القضاء على الفئران. فسألت الفتاة في رسالتها عما اذا كانت القطط أدرجت في الابحاث.

ف.س.

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn and Kesrouan extract of a bookshop survev conducted by C.E.P.I. in November



النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative TAMAM S.A.L

G.C.C.

BANKDATA

بنك المعلومات المصرفية
في دول مجلس التعاون الخليجي

هل تريدون أن تعرفوا أوضاع المصارف التي تتعاملون معها في دول مجلس التعاون الخليجي ؟

الجواب في BANKDATA G.C.C. أول مطبوعة باللغة الانكليزية تحلل ٢٥٢ ميزانية وتقريراً مالياً، وتوفر لكم أوسع التفاصيل عن المصارف في المنطقة اضافة الى دليل كامل للمصارف العاملة في المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة والكويت والبحرين وقطر وسلطنة عمان.



☐ أرجو ارسال .... نسخة من BANKDATA G.C.C. بسعر ٩٦ دولاراً أميركياً للنسخة الواحدة، يشمل السعر تعريفة البريد الجوي السريع.

☐ ارفق طيه شيكا مسحوباً على مصرف .... في نيويورك بقيمة ....

لأمر BANKDATA FINANCIAL SERVICES

NAME .... الاسم

JOB TITLE .... المهنة

COMPANY .... اسم الشركة

ADDRESS .... العنوان

COUNTRY .... الدولة

TELEX .... التلكس ــ TEL .... رقم الهاتف

SIGNATURE التوقيع

يرجى ارسال الشيك مع القسيمة الى العنوان الآتي :

Mrs. A. Meadows, Bankdata / Awair, P.o.Box 4271, Nicosia 163, Cyprus
Tel: (2) 461592 - Telex: 4812 Awair Cy

تعلّم كيف تكسب احترام الآخرين

اذا كنت مديراً سلساً يصعب عليك إصدار الاوامر، أو أماً لا يطيعها أولادها، أو شخصاً لا يقوى على الرفض، فاعرف كيف تنال الاحترام

تتسم العلاقات في أفضل العوالم بميزات أساسية أبرزها الاحترام الحقيقي وسهولة الاتصال وشدة التأثر بالآخرين. ولسوء الحظ ليس ذلك واقع الأمور في معظم الحالات. فبعض الأفراد يستمرون في الضغط على سواهم سائلين ومطالبين وجاسّين النبض حتى يواجهوا صدّاً. ويخفق آخرون في مقاومة هذا الامتحان الدقيق لكنهم ينجحون في ايجاد تبريرات عقلانية لوقوعهم ضحايا على الدوام.

ولنعالج الامثلة اليومية الآتية:

● "صديقة" أمل (*) تستعير منها باستمرار بعض الأغراض ولا تعيدها اليها إطلاقاً. ولا تطالب أمل بتلك الأغراض المستعارة، وتقول: "إذا واجهتها فسوف أجرح شعورها، وهي صديقتي."

● مع جابر في مكتبه زميل ذو لسان عذب وحجّة مقنعة غالباً ما استغلهما في دفع جابر الى القيام عنه ببعض الأعمال. ويتخيل جابر في قرارته أنه رجل طيب دائم الرغبة في إسداء الخدمات. لكنه يعرف أن طيبته تتيح لزميله وقتاً أطول لاقامة علاقات شخصية مع الآخرين. وعذره الدائم هو: "لا أجد أبداً الوقت المناسب أو الزمان المناسب لاثارة هذه المشكلة."

● اعتادت ندى أن تنفّذ معظم طلبات ولديها من شراء ألعاب وإطالة سهر أمام التلفزيون بدلا من كتابة الفروض المدرسية، وعذرها "أنهما مجرد ولدين ولا يبغيان استغلال ما نظهره من عطف."

الاشخاص أمثال أمل وجابر وندى تعلموا، غالباً في سن الطفولة، التضحية باحترامهم الذاتي من أجل كسب رضا الآخرين. فهم لا يعرفون كيف يقولون "لا" ويعانون الأمرين من جراء ذلك.

وتبقى لكل شخص القدرة على التغيير. فإذا أحسست نفسك مثل أمل أو جابر أو ندى، ففي وسعك أن تتعلّم كيف

(*) الأسماء في هذا النص مستعارة لتقريبها من ذهن القارىء العربي.

تتحكم بالمشاعر والتوقعات بحيث تحفظ استقامتك وتدفع الآخرين إلى احترامك.

وتكمن الخطوة الاولى في التعرّف الى عادات الاتصال السيئة لدى الانفعاليين المذعنين والسعي إلى تصحيحها. وهنا بضعة إرشادات:

لا تعط الشخص الآخر عذراً جاهزاً. فتقول مثلا: "أنت تصل متأخراً إلى المكتب، لكني أعرف أنك لا تحب الاستيقاظ باكراً وأنك تستصعب العمل في الصباح." فحين تقدّم عذراً كهذا يفهم الآخر أن ما فعله ليس خطأ فيفتح أمامه مجال الامعان في استغلال ذلك الواقع، فضلا عن أنه يعتبرك ضعيفاً.

لا تعتذر لدى طلبك تأدية عمل معقول. نذكر مثالا على ذلك: تقول أم بعد مضي ثلاث ساعات على مطالبتها إبنها بتنظيف غرفته: "آسفة إذا تحدثت اليك بهذه اللهجة يا بني، فإني لم أكن أعني ما قلت. وأنت حتماً كنت ستنظّفها لو لم أطلب منك ذلك." سخافة! فالعذر الذي يلي الأمر الواقع ليس سوى نتيجة شعور متراكم بالذنب أو الخوف. والتراجع عن حكم صارم بهذه الطريقة يفقد المرء الكثير من الاحترام.

تجنّب المغالاة في تعابيرك. كأن تقول مثلا: "أنا حقاً أحتاج الى التقرير جاهزاً يوم الجمعة. لكن قد استطيع الانتظار حتى الأسبوع المقبل. وربما لن أحتاج إليه إذا سارت الأمور على ما يرام." تجنب كلمتي "إذا" و"لكن" في ما تقوله. فالعبارة السهلة مع تحديد صريح لموعد إنجاز التقرير تمنع سوء الفهم وتوفّر فرصاً أفضل لانجازه في الموعد المحدد.

لا تحمّل سواك مسؤولية أعمالك. "المدير يشير عليك بأن..." و"قالت أمك أن..." هاتان العبارتان وأمثالهما، وإن خلصت مرددها من مسؤولية ما يقول، فإنها تَقْصُر دوره على إبلاغ الرسالة من دون أن يتمتع بالسلطة الفعلية. وتتحسن نظرة الناس الى المرء كثيراً اذا استعملت في مخاطبته الآخرين عبارات من نوع: "أريدك أن..."

ومع تشذيب العادات السيئة في الاتصالات لا بد من ابدالها بعادات أكثر فاعلية. وهنا ثماني تقنيات صالحة للتجربة. ولكن عليك أولا أن تمنح نفسك وقتاً كافياً لاختبارها. إبدأ بواحدة أو اثنتين ثم أضف البقية، الواحدة تلو الأخرى. وتذكّر دائماً أن التماسك والمثابرة لا بد من أن يعطيا الثمار المرجوة.

١. كن صريحاً وواضحاً. أفصح عن توقعاتك. الأفراد الانفعاليون المذعنون غالباً ما يعتبرون أن الآخرين يدركون ما هو مطلوب منهم دونما حاجة الى تذكيرهم. ومن شأن ذلك ابراز مشكلات هم في غنى عنها.

٢. فكّر ملياً في الأمور. حاول أن تحدّد أطر المسائل قبل عرضها. فالتفكير العميق السابق يفسح في المجال لتقديم عرض عقلاني ومقبول في آن.

٣. واجه المشكلات فوراً. إن تجنّب المشكلات يزيدها خطورة ويقطع خط الرجعة، في حين أن مواجهة مبكرة حتى للمشكلات الصغرى تفرض تحديد التوقعات منذ البداية فيدرك الشخص الآخر حقيقة أفكارنا في موضوع معيّن.

٤. حدّد المواضيع بعناية. الاشخاص الذين دأبوا منذ مدة قصيرة على اعتماد الجزم في مواقفهم يقعون غالباً في المغالاة وينهارون في النهاية. ولا شك في أن الانتقاء يخفض عدد المواضيع التي تقتضي مواجهة ويضاعف إحتمالات الوصول الى نتيجة إيجابية.

٥. أفصل الغضب عن الجزم. إنه لنوع من التهرب الجبان أن يجزم المرء أمراً وهو في حال من الغضب الشديد. فإذا كنت لا تستطيع تأكيد موقفك بهدوء، فإن ردودك ستتّسم بطابع المجومية. وإلى ذلك فإنك حين تكون غاضباً تجعل الشخص الآخر يتخذ موقفاً دفاعياً. وهكذا تبقى المسألة الأساسية بلا حل.

واللازمة الطبيعية لذلك هي أن يتجنّب المرء الاثارة من ردود الفعل الانفعالية الصادرة عن الشخص الآخر من خلال ما يقوله. وفي رفضه الإثارة يكشف، من طريق التباين، افتقار الآخر الى النضج. وعندئذ يفرض الهدوء الشخصي تأثيراً مهدئاً في الآخرين.

٦. واجه الآخرين على "أرضك". غالباً ما تربح الفرق الرياضية حين تلعب على أراضيها. وهذا أمر مؤكد إذ من الصعب مواجهة شخص آخر في مكتبه أو منزله. أن توكيد مواقفك، في عرينك، كلما أمكن ذلك، يمنحك أفضلية حاذقة قوية.

٧. إعتمد التعابير غير الكلامية. أنظر الى عيني من تخاطب واعتمد الصمت بديلا من تكرار لازمة معيّنة من حديثك، فهو بالتأكيد أبلغ. استخدم حركات اليدين، شرط ألّا تكون هجومية دعماً لما تقوله.

٨. تجنّب التهديدات الجوفاء. حتى الأولاد الصغار يكشفون أي تهديد خادع. وتأميناً للصدقية إجعل طلباتك معقولة، كذلك النتائج المترتبة في حال عدم تلبيتها. فاحترام الآخرين لك لا ينبع إلّا من علمهم الأكيد أنك تعني ما تقول.

وليس الطريق سهلا من الانفعالية الى الفاعلية. فقد نخسر بعض العلاقات من جراء ذلك، ولكن لا شيء يستأهل أن يحبنا امرؤ على حساب احترامنا الشخصي. وستنمو علاقات جديدة أصحّ وأفضل اذ نعلّم الآخرين كيف يتجاوبون معنا من خلال ردود فعلنا على تصرفاتهم. لأنك أنت المسؤول، في النهاية، عن نوعية علاقاتك بالآخرين.

بروس بالدوين ■



يمكنك أن تشتري المدح، أما الحسد فعليك أن تستحقه. ر.ف.

شجاعة تفعل أعاجيب



وجدت جوني دان نفسها فجأة في الفضاء تهوي من حافة جبل ستراتون في ولاية فيرمونت الامريكية الى أجمة في وادٍ مشجر شديد الانحدار. لحظة سقوطها شعرت المتزلجة الشابة بخوف لم تعرفه من قبل وأحسّت كأن الارض تسرع الى ملاقاتها. وحاولت الاستدارة بغية تجنّب شجرة كبيرة، فأحنت جسمها بعنف حتى انها سمعت صوت عظام ظهرها وهي تلتوي.

اصطدم جانبها الايمن بالشجرة ومن ثم ظهرها فرأسها الذي كاد يتحطم.

بعدما سقطت خيل اليها أنها في مكان جميل تحوطه ألوان زاهية. كان الهدوء السمة البارزة في المكان، وفي لحظات تراءى أمام عينيها كل شخص وكل شيء احتل أهمية في حياتها. لم تشعر بألم على الاطلاق، كما لم تتذكر أي مشكلة. لقد جذب نظرها ضوء أبيض ساطع أرادت الوصول إليه كما لم ترِد

Photo : David Epperson

شيئاً آخر من قبل. وبدأت جوني تتحرك في اتجاهه.

أحست أن المكان رائع بهدوئه وجماله لكن صورة ابنها برايان البالغ من العمر ثلاث سنوات تراءت لها وهو ينتظرها في المنزل. ليس ثمة أحد يرعى شؤونه، لذلك لا يمكن أن أموت! يجب أن أعود إليه.

"سوف أحيا" – أدارت جوني وجهها وفتحت عينيها على ثلج مخضب بالدم. عرفت أن إصابتها بالغة وخشيت أن تكون شُلّت، لكنها كانت قادرة على تحريك قدمها. بعد ذلك شعرت بألم حاد يزداد داخل صدرها. وعلى حافة الجبل حيث هوت، كان رفيقها في التزلج مايكل شريدر يصرخ طالباً النجدة.

وسرعان ما حضر أربعة منقذين نزلوا الى الوادي ورفعوا جوني على حمّالة وتوجهوا بها الى أحد المستشفيات. وأظهرت صور الأشعة كسرين، واحداً في جمجمتها وآخر في عمودها الفقري، فضلا عن كسور في الرقبة وفي ثلاث أضلاع وإصابة إحدى رئتيها وتضرّر ست فقرات في ظهرها. وأدت كِسَر العظم الى قطع بعض الشرايين والى الضغط على عمودها الفقري. وأخذت دقات قلبها في الابطاء وظن الطبيب أنها لن تقوى على العيش.

وبغية تخفيف آلامها أعطيت جرعة من المورفين الذي أراحها، لكنها قاومت النعاس ظناً منها أنها اذا نامت فلن تستيقظ من جديد. وهي لن تسمح لنفسها بالموت من أجل برايان.

طوال ليلة ٢٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣ التي أعقبت الحادث أخذت جوني تخاطب نفسها: "سوف أحيا حتى الصباح." وما أن بزغ الفجر حتى قالت لاحدى الممرضات: "أعلم الآن أنني سوف أحيا!"

لم يكن في وسع الأطباء إجراء أي شيء قبيل استقرار حالة جوني. كانت ممدّدة في سريرها، تغفو بين الفينة والأخرى على نحو لاإرادي، فتوقظ نفسها وتفكر في ابنها. قضت ساعات الليل وهي تتطلع الى الفجر وتصلي وتشكر الرب كلما لاح شعاع.

الخطوة الأصعب – بعدما انقضى أسبوع بدت جوني أقوى مما كانت. وعلى رغم أن أضلاعها المكسورة والألم الحاد في صدرها جعلت التنفس عملية صعبة فقد كان أملها في العيش يتعزز يوماً بعد يوم، لكنها قلقت حيال نوع الحياة الذي ينتظرها.

كانت جوني البالغة من العمر ٣٩ عاماً أتت الى شرق الولايات المتحدة عام ١٩٦٦ من ولاية انديانا، وعملت اختصاصية تقنية في المجال الطبي في مستشفى غرينيتش بولاية كونيتيكت. ولكن أين هي من العمل الآن؟ ومن تسديد الفواتير؟ ومن رعاية برايان؟ زوجها السابق كان يجهد في عمل جديد ولم يستطع مساعدتها مالياً.

سوزان وريني وارن، وهما الصديقان اللذان كانا يرعيان برايان، جاءا به لزيارة والدته. قالت له سوزان وهي ترفعه لرؤيتها: "ليس في امكانك لمسها." وخاطبته جوني: "أنا بخير يا برايان، وكل شيء سيكون على ما يرام."

بعد انقضاء ثلاثة أسابيع نقلت جوني الى مستشفى غرينيتش. وكان يؤتى بابنها من وقت الى آخر لزيارتها، وكان يكلمها يومياً عبر الهاتف. أما صديق جوني مايكل شريدر فأكد لها أن والديه يريدان الاعتناء بها اثر مغادرتها المستشفى.

وبعد انقضاء ستة أسابيع على الحادث وضعت جوني في قالب يمتد من رقبتها حتى أعلى فخذيها. وفي كل يوم كان سريرها يرفع قليلا من جهة رأسها حتى بات في امكانها الجلوس. وذات يوم سمح لها بأن تدلي رجليها من حافة السرير. وبعدئذ طلب منها الوقوف والخطو خطوة واحدة. فنظرت الى قدميها الواهنتين وبذلت جهداً هائلا أسفر عن تحريك قدمها اليمنى.

كانت جوني تخطو كل يوم خطوة اضافية، غير أن الألم بقي يحرق صدرها. أما الفقرات المصابة فبرئت كلها ما عدا فقرتين. وتعلمت فك القالب عن جسمها وتركيبه من دون مساعدة. وفي أيام الربيع الدافئة كانت تمشي خارج غرفتها لفترات قصيرة، الأمر الذي سمح لها بالخروج من المستشفى.

جراحة خطرة جداً – كان في امكان جوني، البالغ طولها ١٧٠ سنتيمتراً، أن تقف مستقيمة وهي في قالبها، ولكن ما ان تتخلى عنه حتى ينحني جسمها الى الأمام. وقصرت قامتها الى ١٦٠ سنتيمتراً.

أصر آل وارن على رعاية برايان حتى تشفى أمه. وفي غضون ذلك أمضت جوني وقتاً طويلا في بركة السباحة أمام منزل آل شريدر تمرن رجليها لبناء قوتها من جديد.

في يوليو (تموز) التقت جوني الدكتور هوغو كيم وهو جرّاح عظم ذائع الصيت ورئيس قسم العمود الفقري في مركز كولومبيا الطبي بمدينة نيويورك. ظن كيم أن في أستطاعته تقويم ظهر جوني، علماً أن ذلك يتطلب جراحة خطرة جداً قد تؤدي الى اصابتها بشلل تام، وربما الى وفاتها على طاولة الجراحة. اما اذا نجحت فعلى جوني البقاء سنة كاملة في قالب خاص. وشدد كيم على أنه "ليس ثمة ضمانات. انهبي الى بيتك وفكري في الأمر."

أجابت جوني: "لن أفكر. أريد اجراء الجراحة."

أجرى كيم الجراحة في سبتمبر (أيلول)، واستعمل سنّادات لتقويم الفقرات والعمود الفقري. ودامت الجراحة تسع ساعات وأستهلكت ١٢ وحدة دم أي ما يزيد على خمسة ليترات ونصف ليتر.

عندما استعادت جوني وعيها رأت الممرضات يبتسمن. ولاحظت أن آلام صدرها اختفت. وبعد أيام قليلة عندما اندملت جروحها وضعها الطبيب في قالب وأرسلها الى بيتها.

ظلت جوني في نقاهة لمدة شهرين. وكانت تساورها شكوك في احتمال اعتمادها على الآخرين في قضاء حاجاتها. وقد أدى الحادث الى خسارتها شقتها ومفروشاتها وسيارتها، وكانت تخشى أن تفقد رعاية برايان. لكنها صممت على استعادة استقلالها.

بقيت قدمها اليمنى ضعيفة قليلا،

لكنها كانت قادرة على المشي. ووجدت أن في استطاعتها العمل بدوام جزئي. وهكذا استخدمها مستشفى غرينيتش من جديد كتقنية في الحقل الطبي.

كلما مرّ شهر ازدادت جوني قوة وثقة. استأجرت شقة صغيرة لها ولابنها. وبعد مرور سنة على الجراحة أزال الدكتور كيم القالب. ووقفت جوني تنظر الى جسمها في مرآة طويلة بدهشة وسرور بالغين. لقد زاد طولها خمسة سنتيمترات فأصبح ١٦٥ سنتيمتراً، وبدا جسمها طبيعياً وزالت حدبتها.

الركض نحو الشهرة – ادى بقاء جوني في القالب لمدة سنة الى اضعاف عضلات ظهرها، فأخذت تشعر ببعض الالم. وبناء على نصيحة أطبائها انتسبت الى نادٍ رياضي وتعلمت السباحة الحرّة، فزالت آلام ظهرها وبدأت تشعر باستعادة عضلات يديها وأعلى جسمها.

وفي العام ١٩٧٦ حصلت على وظيفة في مدرسة غرينيتش حيث علّمت مادة العلوم وعملت مدربة على رياضة الهوكي. وهكذا اكتشفت أن الركض لا يؤذيها وسرعان ما أصبحت تمارسه مع الفتيات.

أرادت جوني أن تمارس الركض بجدية، فانطلقت تركض في ملعب مقفل. وشعرت بضيق في تنفسها لكنها ثابرت على تلك الرياضة وأجبرت نفسها على ركض مسافات أطول. وعندما تحسّن الطقس أخذت تركض في ملعب مكشوف. وهكذا باتت تقطع ثمانية كيلومترات كل مرة وتشعر بمزيد من الاعتزاز وبأن كتفيها تستقيمان.

اشتركت جوني في سباق غرينيتش (٨ كيلومترات) في العام ١٩٧٨ فكانت تشعر بتوتر في أعصابها لأنها بلغت الخامسة والثلاثين وقضت ست سنوات من عمرها في الاستشفاء من الحادث الاليم. ولم تشترك سابقا في حدث رياضي. لكن برايان كان ينتظرها في نقطة الوصول، لذا دخلت السباق عازمة على الفوز وحلّت أولى في الفئة التي تراوح أعمار المشتركات فيها بين ٣٠ و٣٩ عاماً. وفي حفلة توزيع الجوائز شعر برايان البالغ تسع سنوات بفخر واعتزاز. كانت تلك اللحظة أفضل دواء لجوني، فصممت على الاشتراك في سباقات أخرى.

بدأت جوني الركض مسافات أطول. وفي العام ١٩٧٩ اشتركت في سباق ماراثون يقام في مدينة نيويورك، كذلك في سباق السنة التالية. وفي العام ١٩٨٢ تأهلت لسباق الماراثون الذي يقام في بوسطن بولاية مساتشوستس.

ومن ممارسي الركض في شوارع ضاحية غرينيتش عام ١٩٨٣ مارك ماكنتير الذي حلّ سادساً في بطولة العالم الثلاثية لـ "الرجل الحديد" (*) في هاواي. وكان سباق البطولة يتضمن سباحة في المحيط لمسافة ٣،٩ كيلومترات وركوب دراجة هوائية مسافة ١٨٠ كيلومتراً والركض مسافة ٤٢،٢ كيلومتراً. وكانت جوني معجبة بما حققه ماكنتير لذا عزمت على التشبه به وبدأت تمارس ما يتطلبه سباق هاواي.

في ابريل (نيسان) ١٩٨٥ اشتركت

(*) The Iron Man Triathlon World Championship

جوني في سباق ثلاثي في تامبا بولاية فلوريدا حيث لا أصدقاء يعيّرونها في حال إخفاقها. وسبحت مسافة ١،٦ كيلومتر وركبت الدراجة الهوائية مسافة ٤٠،٣ كيلومتراً وركضت مسافة ١٠ كيلومترات. وللحظة خيل اليها انها لا تنتمي الى فئة المتسابقين لأن عمرها بلغ ٤٣ عاماً.

المرأة الحديد - عندما أطلقت إشارة بدء السباق قفزت جوني الى الماء وبدأت تسبح. لكن منافسيها عمدوا الى الركل بغية الاندفاع الى أمام. وأصابها ذعر فتوقفت عن السباحة وعادت الى الشاطىء. ولم تلبث أن خاطبت نفسها: "لكنك جاهدت كثيراً في سبيل النجاح. لا يجوز أن تستسلمي! فكري في ما يعنيه الاستسلام بالنسبة الى برايان."

عادت جوني الى الماء وشعرت بقوة لدى قطعها مسافة ٨٠٠ متر. وعندما خرجت الى اليابسة ذهلت اذ رأت خلفها عدداً من السابحين.

ركبت الدراجة مسافة ٤٠،٣ كيلومتراً ثم بدأت مرحلة الركض مسافة ١٠ كيلومترات. ونتيجة التعب من ركوب الدراجة بدأت تركض على مهل، ولكن بعد قطعها مسافة كيلومترين ونصف كيلومتر أحسّت أن في امكانها الركض طوال اليوم.

لدى بلوغها خط الوصول كانت تشعر بنشاط وحيوية. لقد نجحت في اجتياز المسافة. وارتفع صوت عبر المذياع: "الفائزة في فئة أربعين الى أربعة وأربعين عاماً جوني دان من غرينيتش بولاية كونيتيكت."

بعد تحقيق فوزها أرادت جوني اختبار قدرتها القصوى من خلال الاشتراك في سباق هاواي للعام ١٩٨٥. لذلك اتخذت مارك ماكنتير مدرباً لها. طلب مارك من جوني تطبيق حمية صارمة تمتنع فيها عن تناول المواد النشوية، واتباع تدريبات يومية قاسية.

وصلت جوني ومارك الى هاواي قبل ١٨ يوماً من موعد السباق بهدف التكيف مع الطرق الجبلية المعرّضة للرياح. وفي صباح ٢٦ أكتوبر (تشرين الاول) دوّى مدفع معلناً بدء السباق. فانطلق ١٠١٨ سابحاً في المياه قبالة ساحل كونا.

سبحت جوني بقوة، وكانت خططت أن تقطع المسافة المائية في ساعتين. لكنها عندما خرجت من المياه كانت متقدمة الوقت المحدد بـ٣٢ دقيقة.

بعدئذٍ انطلقت على دراجتها. كان مارك منتظراً على قمة أول هضبة، وكانت جوني تتشوق الى رؤية رد فعله على الوقت الذي حققته. وفاق سروره ما توقعت. فصاحت به: "انني أستمتع بالسباق!"

وكان مارك وجوني ظنا أن قطع مسافة ١٨٠ كيلومتراً على الدراجة يقتضي سبع ساعات ونصف ساعة. لكن جوني قطعت المسافة في ست ساعات وتسع عشرة دقيقة. إلّا انها أصيبت بتقلص في وتر كاحلها الايمن. وقال لها مارك قبيل بدء المرحلة الاخيرة: "أركضي ما استطعت ثم امشي."

انطلقت جوني على مهل غير عابئة بانشداد وتر كاحلها. كانت هناك مراكز اغاثة كل كيلومتر ونصف كيلومتر. ولم

تتوقف عن الركض حتى وصلت الى المركز الرابع عشر. فتوقفت هناك وشربت ماء وأيقنت أن كاحلها لا يؤلمها. وركضت حتى المركز التالي ومشت مسافة قصيرة ثم ركضت ثلاثة كيلومترات ثم مشت مجدداً.

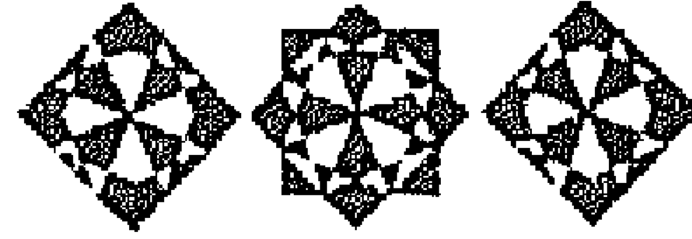
عندما بلغت الهضبة الاخيرة علمت أن خط الوصول بات أمامها. كان مارك يراقبها وهي تقترب مندهشاً للسرعة التي سجّلتها. وما ان اجتازت الخط حتى نودي: "٣٢٥، جوني دان، غرينيتش، كونيتيكت." ثم: "الفائزة الاولى في السباق!"

قطعت جوني المسافة في ١٢ ساعة و٣ دقائق و٢٦ ثانية. وهي لم تفز في السباق فحسب، بل حطمت الرقم القياسي العالمي لفئتها بنحو ٢٠ دقيقة.

مرّ وقت على الحادث الذي تعرّضت له جوني دان، وما فتئت تشترك في السباقات. وهي الى ذلك تحب أن تحدث الشباب حول استغلال كامل طاقاتهم، وحول الصبر والتخطيط والعزيمة: "لا تتركوا يوماً يمر من دون الافادة منه."

شيء واحد لا ضرورة الى أن تتكلم عليه هو الشجاعة التي تفعل الأعاجيب.

جون هابل ■



أسنان السيارة

تأخر والدي عن موعده لدى طبيب الأسنان. واذ وصل الى موقف السيارات أمام العيادة داس كابح سيارته فتوقفت امام المدخل بعد صرير حاد، ثم قادها داخل الموقف بسرعة جنونية وتركها هناك.

وفي العيادة فحص الطبيب أسنانه بصمت ثم قال له: "حسناً يا سيدي، ستخدمك أسنانك مدى الحياة."

فدهش والدي وسرّ ثم سأل الطبيب: "هي في حال جيدة اذاً يا دكتور؟"

فرد الطبيب: "لا، أبداً، لكني رأيتك كيف تقود سيارتك."

ج.و.

حماة ظريفة

كانت حماتي تعرف مجموعة كبيرة من القصص والطرائف وكانت مشغوفة برواياتها. وهي توفيت قبل مدة، وانتقلنا أنا وزوجي الى مدينة اخرى. وحدث أن كنا يوماً في حفلة عشاء مع أناس لا تربطنا بهم معرفة وثيقة، لاننا جدد في المنطقة. وروى أحدهم قصة لمست فيها الظرف عينه الذي كانت حماتي تتحلى به. فضحكت من أعماقي ثم قلت: "لم أضحك على هذا النحو منذ وفاة حماتي."

م.ه.

أطبّاء ... وَدجّالـُون

حقيقة علقم يصعب ابتلاعها. ملايين المواطنين يداويهم أطباء غير أكفياء لا يحملون تراخيص بالعمل. هنا أمثلة من أمريكا

• زاول الطبابة في مستشفى في لونغ أيلند بولاية نيويورك طوال ١٤ عاماً: وبين الآلاف من مرضاه مدير المستشفى وأسرته. لكن المحققين كشفوا عام ١٩٨٥ أن الطبيب "المرموق" دجال زوّر اجازته بعد رسوبه ٢٧ مرة في امتحان الولاية. وهو الآن هارب من العدالة.

• في سان دييغو بكاليفورنيا كان من المقرر أن يستأصل أحد جراحي التقويم ورماً سرطانياً من ورك مريض. وبدلا من ذلك عمد إلى سلخ نسيج عظمي معافى من دون أن يمس الورم... بعدما كسر ورك المريض.

• في أورلاندو بفلوريدا كان اختصاصي الجلد ما زال يمارس مهنة الطب عام ١٩٨٤ على رغم خسارته ٣٤ دعوى

لتقصيره في اداء واجبه. وسحبت منه الاجازة ذاك العام، ليس لعدم كفايته بل لبيعه كمية كبيرة من اقراص الـ"كوالود" (١) لتحر في الشرطة.

هذه الحالات - وهي عينة من ألوف - تبرز خطراً ذا حدين على نظام العناية الصحية في الولايات المتحدة، هو العدد المقلق للاشخاص الذين يزاولون الطب من دون تراخيص أو الحائزين رخصاً من غير أن يكونوا مؤهلين لممارسة المهنة. ولسوء الحظ فإن هاتين الفئتين تفسدان سمعة الاطباء المتفانين البارعين الذين لا يحصون.

يشكل الاطباء غير المرخص لهم قرابة ٥ في المئة من أطباء الولايات المتحدة، أي نحواً من ٣٥ ألف طبيب، وفقاً لتقديرات الدكتور براين غالوشا نائب رئيس اتحاد المجالس الطبية للولايات. وأحد هؤلاء هو جورج أشكر الذي لا يملك أي أدلة ثبوتية على مؤهلاته الطبية سوى آلة ترد على المكالمات الهاتفية في بايساید بولاية نيويورك تصفه بـ"الدكتور أشكر." ووفقاً لشهادة أدلى بها مريض في مركز سلون كيترنغ التذكاري للسرطان في نيويورك أن أشكر زاره وأقنعه بالامتناع عن اجراء جراحة والتخلي عن العلاج الكيميائي الذي أوصى به علماء الأورام. وعوض ذلك عالج أشكر المريض بتضميد ساقه بفص من الثوم. واذ تقرّح الجلد شق أشكر القروح ودلكها بحبة حمص!

اثر تسريب مدير المستشفى معلومات عن هذا الطبيب زاره تحر سري تابع لشرطة الولاية متشكياً من آلام في الصدر. فعمد الطبيب الى حلق شعر ساقه ووضع الثوم عليها وطلب أجرته ٣٠ دولاراً وقبض على أشكر الذي كان في الحقيقة سائق سيارة أجرة!

رخصة للقتل - الاطباء المرخص لهم وغير المؤهلين يتهددون الصحة العامة أيضاً. ويشير الدكتور ديفيد اكسلرود، مندوب الشعبة الصحية في نيويورك، إلى أنه في غضون سنة واحدة فقط تحرى عن أطباء محترفين ارتكبوا اعتداءات على مرضاهم، وعن طبيب أوصى باجراء جراحة السُّد (٢) لمرضى لم يصابوا به، وآخر كانت وصفاته لجرعات كبيرة من المضادات الحيوية (أنتيبيوتيك) تودي بحياة أحد المرضى، وآخرين عرّضوا مرضاهم لأجهزة الاشعة السينية القاتلة.

ومن الامثلة الاكثر فظاعة عن عدم أهلية الاطباء مثال الدكتور دونال بيليغ الجراح في البحرية الامريكية. فعلى رغم صرفه من الخدمة في أحد مستشفيات نيوجرزي، وكونه أعور، عُين رئيساً لقسم جراحة القلب في مستشفى البحرية في بتيسدا. وهو مثل آخر الأمر أمام المجلس العسكري عام ١٩٨٦ بتهمتي قتل عمداً، وبتهمة أخرى بالقتل الناجم عن التهاون، وذلك بعد وفاة ثلاثة من مرضاه على طاولة العمليات.

ويقدر أن نحو عشرة في المئة من الاطباء الامريكيين البالغ عددهم نصف مليون غير أكفياء، حسبما ورد في شهادة

---

(١) الكوالود (Qualude) عقار مخدر يسبب الوفاة في حال تناول المرء كمية كبيرة منه.

(٢) السد (cataract) هو إعتام عدسة العين.

أدلى بها الدكتور روبرت ديربيشاير الرئيس السابق لاتحاد المجالس الطبية في الولايات، أمام لجنة منبثقة من مجلس الشيوخ. واذ يرتاب الناطق بلسان الجمعية الطبية الامريكية في صحة هذه التقديرات، فإن خبراء في الطب بمن فيهم الدكتور أوتيس بوين وزير الصحة والخدمات الانسانية، يرون أن النسبة تراوح بين ٥ و١٥ في المئة، مما يعني أن ملايين الامريكيين يعالجون على أيدي أطباء غير اكفياء.

وورد في تقرير رفعه ريتشارد كوسيرو المفتش العام في وزارة الصحة والخدمات الانسانية، أن العقوبات التأديبية ازدادت بنسبة ثلثين في ١٩٨٥ عنها في ١٩٨٤. واستدرك: "لكن ما زال أمامنا درب طويل نسلكه."

بعض الاطباء يقضون حياتهم المهنية وهم يقتلون المرضى ويشوهونهم بسبب عدم اهليتهم، ونادراً ما يحاسبون على أفعالهم. أنظر في أمر الطبيب النسائي من ريتشموند بفرجينيا. أول تشخيص زعم أنه أجراه من دون احتراز عام ١٩٦١: كانت مريضته وعمرها ٢٣ عاماً أدخلت مستشفى ريتشموند التذكاري في ٢١ يونيو (حزيران)، وتوفيت في اليوم التالي. وانقضى ٢٢ عاماً قبل أن يتهم المجلس الطبي في فرجينيا ذاك الطبيب بأنه تسبب في وفاتها باخفاقه في تشخيص انسداد معوي لديها ومداواته.

ودعاه المجلس أيضاً إلى المثول أمام القضاء بتهمة الاهمال في علاج ستة مرضى آخرين. وهو، بحسب احدى التهم الموجهة اليه، استأصل رحم امرأة من غير أن يلحظ انسداداً في مجرى البول ومن غير أن يستشير اختصاصياً بالكلى كان في امكانه أن يشخص الاعتلال، فقضت المريضة.

على رغم هذا السجل الرهيب لم يعمد المجلس الطبي في فرجينيا الى معاقبة الطبيب، ووافق هذا على التقاعد.

مراتب الذنوب – كيف يتسنى للافراد غير المدربين أو غير المؤهلين ان يزاولوا الطب؟ الأمر لسوء الحظ سهل جداً. فالاطباء في الولايات المتحدة يرخص لهم ويعاقبون على مستوى الولاية. لذا حين يقبض على طبيب دجال أو غير كفي، فانه في الغالب ينتقل إلى ولاية أخرى ويحوز رخصة جديدة. وللمثال فان جراح عظم من ميشيغان حكم عليه بالسجن سابقاً لبيعه مخدرات، حاز رخصاً لممارسة الطب في ثماني ولايات قبل أن يقبض عليه ويسجن.

والمسألة الأخرى هي أن المجالس الطبية في الولايات تشكو نقصاً في الموظفين والمال. وهي لا تستطيع التدقيق في سير كل الذين يتقدمون بطلبات للحصول على أوراق ثبوتية طبية.

بعض المستشفيات الصغيرة والعيادات يبلغ تعطشها الى الاطباء حداً أنها تتجاهل النقص في المؤهلات كي تفوز بطبيب. واذا ما قبض على أحد المحتالين، تلكأ مدير المستشفى في الاقرار بالتوظيف الخاطىء. فيعمد الى صرف الطبيب بهدوء ولا يبلغ عن الحادث مطلقاً، فينتقل الطبيب المزيف الى مستشفى آخر.

من أين يفد كل هؤلاء المخادعين؟ منذ العام ١٩٧٠ افتتحت قرابة ١٣ كلية للطب في بلدان البحر الكاريبي وأمريكا اللاتينية، مجتذبة الأمريكيين الذين لا يقبلون في كليات الولايات المتحدة. ومعظم هذه الكليات تنقصه التجهيزات الأولية كآلات الاشعة ومكتبات الابحاث والجثث للتشريح.

الواقع أن معظم شهادات الطب يتم شراؤها من هذه المعاهد من دون أن يحضر الشاري صفوفاً قط. وفي السنة ١٩٨٤ - ١٩٨٥ اجتاز أقل من ٥ في المئة من المتخرجين الأمريكيين الذين عادوا إلى بلادهم اختباراً نموذجياً لحيازة الرخصة المطلوبة لاتمام دراستهم الطبية.

قبل أربع سنوات لبى تحر سري دعوة إعلان في احدى الصحف يعرض تقديم شهادات في الطب من معاهد اجنبية. ودفع ما يزيد على ٢٠ الف دولار إلى بيدرو دو ميسون ثمن شهادة من معهد "سيتيك" الطبي في سانتو دومينغو بجمهورية الدومينيكان. وكانت الزيارة الوحيدة التي ذهب فيها التحري الى المعهد في يونيو (حزيران) ١٩٨٣ لحضور تمارين حفلة التخرج.

وقبض على دو ميسون في ما بعد بتهم احتيال بريدي. وكشفت سجلات شركته أن ١٦٥ شخصاً دفعوا له ما بين ٣ آلاف و٣٠ ألف دولار في مقابل شهادات في الطب. وهو جمع ما يزيد على مليون ونصف مليون دولار لاعداد "أطباء" فوريين.

وثمة آخرون ينتحلون صفة طبيب من دون التورط في تمثيلية الشهادة الطبية الآتية من وراء البحار. هاك قصة جون لويد كلاي الذي قام عمله الطبي طوال أربعين عاماً على أوراق زورها بنفسه. غير أن سيرته التعريفية تدرج على نحو دقيق عدة وظائف حكومية مهمة تبوأها خلال ١٤ عاماً. في هذه المناصب عمد كلاي الذي درج على تسمية نفسه الدكتور كلاي، الى تسطير توصيات للسياسة الصحية أثرت في حياة ملايين الامريكيين. وللمثال فقد كان بين ١٩٦٩ و١٩٧٣ مدير الشؤون الصحية في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، ومن ١٩٧٣ الى ١٩٧٦ مدير البرنامج الاتحادي للمحافظة على صحة الموظفين.

في ١٩٧٦ ترك كلاي العمل الحكومي واتجه الى القطاع الخاص مدججاً بتزكيات من أساتذة طب في جامعة جورجتاون مرفقة بشهادات جامعية زائفة بما فيها شهادة في الطب من جامعة لندن. وقد انتهت حياته المهنية عندما تفحص أعضاء المجلس الطبي في مستشفى مونتغمري العمومي أوراقه الثبوتية فتبين لهم أن لا رخصة لديه لمزاولة الطب في مريلاند. اعتقل كلاي وكشفت سلسلة لافتة من المستندات الزائفة والمناصب الفعلية. وها هو الآن ينتظر المحاكمة.

تدابير ضرورية - ثمة حلول أولها زيادة يقظة السلطات التي تمنح التراخيص. ينبغي التدقيق في الاوراق الثبوتية لجميع الذين يلتمسون رخصة لممارسة الطب.

وثمة سبب آخر يسمح للاطباء غير

الاكفياء بالاستمرار في ممارسة الطب هو الذهنية التجارية التي تحول بينهم وبين ابلاغ واحدهم عن الآخر. ويقول ريتشارد كوسيرو: "يقع اللوم على الشعب وعلى الجسم الطبي معاً ان هما لزما الصمت الذي اكتنف هذا الموضوع فترة طويلة، فهما مدعوان الى الجهر حين يشهدان مزاولة طبية خاطئة. والتقاعس عن ذلك يسيء ليس الى المرضى فحسب بل الى المهنة الطبية أيضاً."

وعلى رغم ذلك يرى كيرك جونسون، المستشار العام للجمعية الطبية الامريكية، أن الاطباء يتمنعون عن الابلاغ عن زملائهم .أو اتخاذ اجراءات تأديبية ذات شأن مخافة النتائج القانونية."

وهناك مشروع قانون قدمه عدد من اعضاء الكونغرس لمعالجة هذه المعضلة، يقضي بمنح الاطباء الراغبين في افشاء معلومات عن زميل غير كفي حصانة من الدعاوى القضائية.

وتنظر ولاية نيويورك في اشتراط اجتياز كل الاطباء امتحانات دورية للاهلية كي يحافظوا على الرخص في حوزتهم.

ان التدقيق في الاوراق الثبوتية الطبية في المستشفيات والعيادات ولدى السلطات التي تمنح التراخيص من شأنه أن يقلص كثيراً خطر الاطباء الدجالين.

فريد فارشوفسكي ■



الحق سيد

كنت أتناول طعام الغداء مع ابني الصغير في أحد المطاعم حين ذكر لي مدينة بوسطن مدعياً أنها عاصمة ولاية مساتشوستس الامريكية.

فصححت معلوماته قائلا: "لا يا بنيّ، صحيح أن بوسطن هي أكبر مدينة في الولاية لكن العاصمة هي سبرنغفيلد." فأصرّ على موقفه الى أن غضبت وقررت وقف المناقشة.

وبعد لحظات تقدمت منا امرأة كانت تجلس الى الطاولة المجاورة وابتسمت لي ووضعت امامي ورقة مثنية ثم غادرت المطعم. فقرأت الآتي: "سيدي، بصفتي معلمة يمكنني أن أؤكد لك أن ابنك على حق. فبوسطن هي عاصمة مساتشوستس فعلا. لم أشأ ان أصحح الخطأ امام ابنك، لكن في نفسي من الاحترام للحقيقة ما لا يسمح لي بغضّ النظر عن الخطأ."

ل.غ.

حيلة عجوز

ابتكرت عجوز في التسعين حيلة تضمن لها الحصول على مقعد في حافلة تعج بالركاب. فهي تمد عصاها الى أقرب راكب جالس يبدو لها قوي البنية وتبتسم له سائلة: "هلاّ أمسكت لي بالعصا كي أتشبث بكلتا يدي؟"

هـ.ك.

الحديقة اليابانية

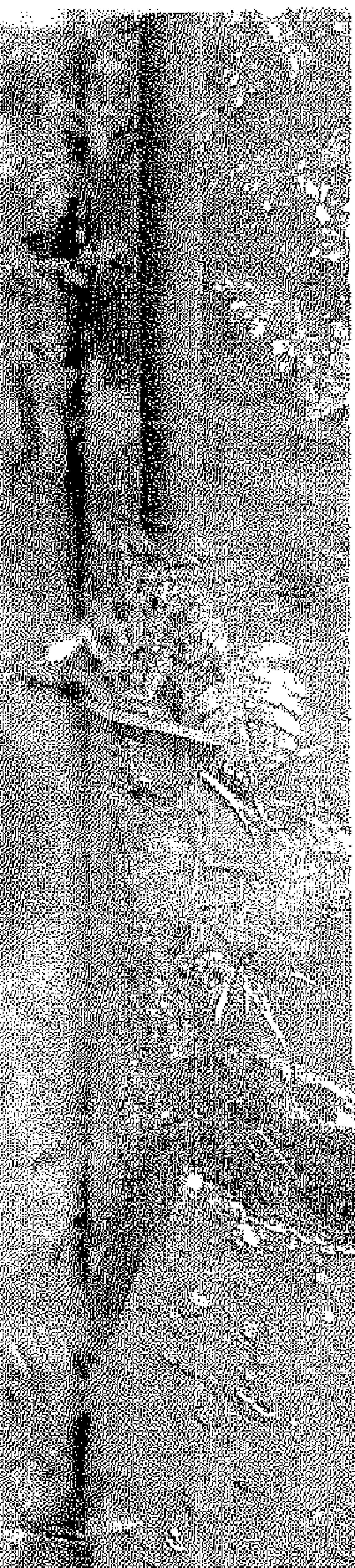
في هذا المعتزل النباتي أنجز الانسان بالتعاون مع الطبيعة منتجعاً من السكون والتناغم

لطالما قيل إن الاحساس بالتناغم بين الانسان والطبيعة هو أساس الثقافة اليابانية. ولا يتجلى هذا التعايش المسالم في أي مكان كما يتجلى في الجمال الهادىء للحديقة اليابانية.

بدأت الحديقة اليابانية الكلاسيكية كمكان للتأمل والانتعاش الروحي، واتبعت فيها الهندسة الرسمية للصين القديمة. وترمز تلة اصطناعية مقامة في بركة الى جزر بلست السعيدة. وفي ما بعد أدخلت المجموعات الحجرية وابتكرت الحديقة اليابانية الجافة حيث الرمال الملساء والحجار والحصباء مسوّاة بحيث توحي وجود الماء حيث لا يوجد. وكانت تلك الحدائق التي تثير خيالا جامحاً تحدق بالهياكل. وقد بقي كثير منها حتى يومنا. وشهدت حقبة موروماتشي (١٣٣٨ – ١٥٧٣) ازدهاراً للشعر والخط وغيرهما من الفنون. وازدهرت حفلات الشاي فشيدت صالات لارتشافه في حدائق كثيرة.

وما لبثت الحديقة اليابانية أن أصبحت أقل صرامة في هندستها فعجّت بالألوان. وخلال حقبة توكو غاوا (١٦٠٣ – ١٨٦٧) صممت حدائق حول القصور والقلاع الريفية وحوّل بعضها حدائق عامة.

توفّر الحديقة مكاناً مثالياً تعرض فيه الطبيعة فصولها المختلفة، وهي تتناغم مع طباع مالكها. فحديقة الشاعر أو المتنسك لا بدّ لها من أن تعبّر عن العزلة والفضيلة وإنكار الذات. أما حديقة



تخضع حديقة كنروكوين في كنزاوا لهندسة فنية شاعرية تعبّر عن مزاجي الانسان والطبيعة.

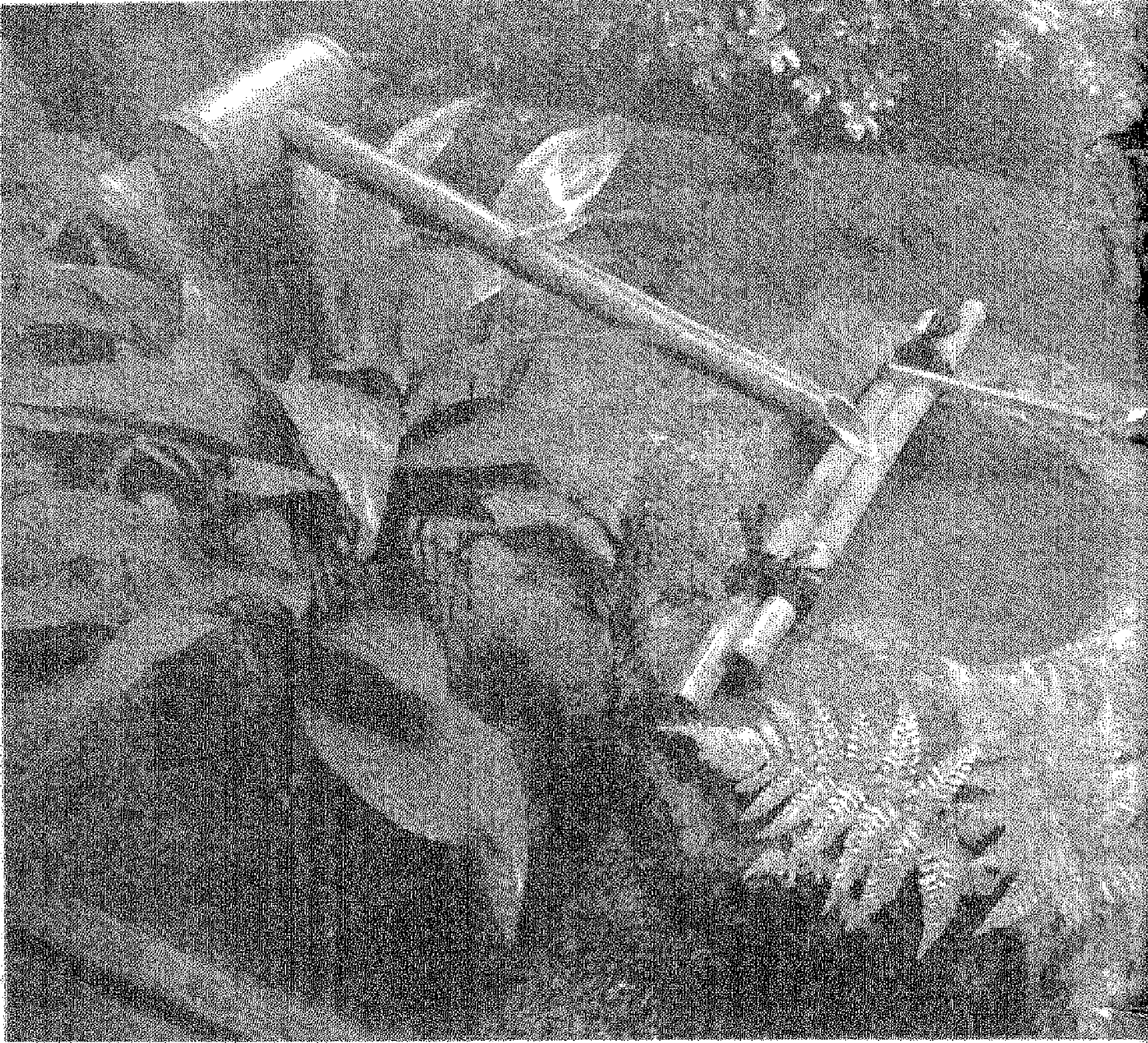
لبركة الماء أهمية خاصة في حديقة الشاي، حيث يتّضع المشتركون استعداداً لحفلة الشاي. هنا حديقة توارايا ريوكن في كيوتو.

الساموراي(★) فيجب أن تعبّر هندستها عن الجرأة والقوة.

قد تكون الحديقة اليابانية نموذجاً مصغّراً لمنظر طبيعي أو صورة رمزية له أو نسخة عن جزء منه. لكن المقصود ليس نسخة كربونية، بل الطبيعة كما يزيّنها العقل الياباني. وينزع مثال الجمال هذا الى عدم التناسق، لذا نشهد محاولات تهدف الى "تحسين" الطبيعة بترتيب مكوّنات الحديقة على نحو موافق. فتوجيه الأغصان وتشذيبها في أشكال غير طبيعية، وقص الاوراق، عمليات تهدف الى تقليد الأشكال المفضلة في الطبيعة، حتى وإن مثلت هذه الاشكال الشذوذ وليس القاعدة. وهكذا توفر شجرة صنوبر ملتوية في شكل غير عادي نموذجاً قديماً وموقّراً صاغت له السنون شكلا فنياً محبباً.

أحد أهم المبادىء مبدأ "شاكيه" وهي كلمة يابانية تعني "المنظر المستعار." فأسلوب "شاكيه" يدمج صنع الانسان

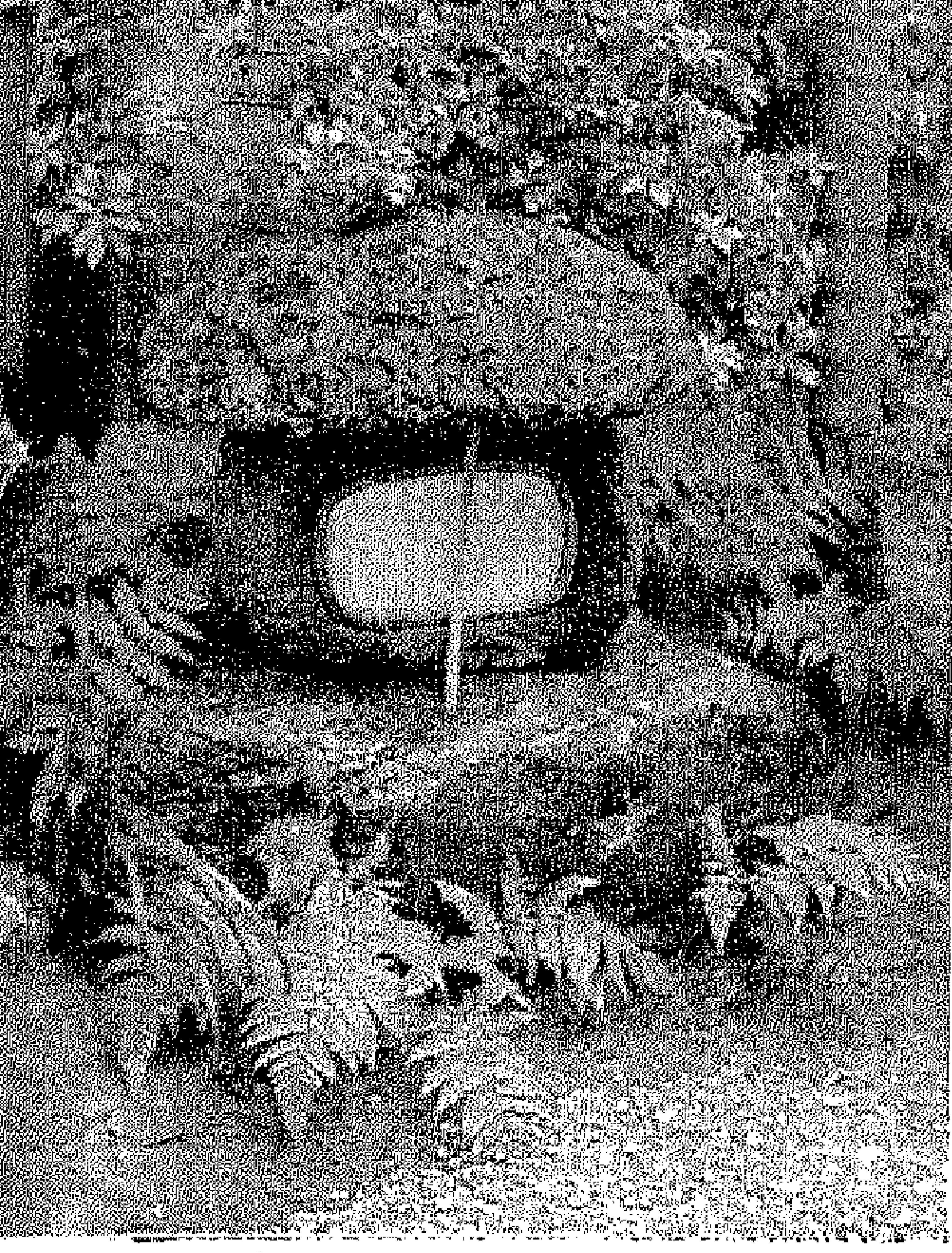
(★) الساموراي محاربون يابانيون.



بالمنظر الطبيعي على نحو موفق، حتى ليصعب على المرء تحديد نهاية عمل الانسان وبداية عمل الطبيعة.

ويعتبر الماء من أهم مكوّنات الحديقة اليابانية. فإذا به يتمثل في شكل ساقية أو بحيرة أو شلال. فلا بد للحديقة من أن تبدو باردة ومنعشة في قيظ الصيف. لذا نجد بركة في كل الحدائق اليابانية. وقد شيّدت البرك في البدء لأغراض عملية لكنها تهدف اليوم الى الزينة فحسب.

وجدير بالذكر أن صاحب الارض لا يلتفت الى المزروعات الّا بعد تحديد معالم حديقته واختيار مواضع الماء والصخور فيها. وغالباً ما تجمع الأشجار والجنبات بحيث يبدو أن لكل منها وظيفة معينة. فقد تزرع احداها لتوحي البعد وأخرى لتضلل أو تستخدم ستاراً وثالثة لتوفر انعكاساً حالماً في البركة. ولكي تحافظ الحديقة على سحرها حتى أيام الشتاء، نرى النبات الدائم الخضرة يهيمن عليها. أما النبتات التي تطرح أوراقها فلا يزرع منها سوى تلك التي



هذا القنديل الصخري
لا تقصد منه الاضاءة بل تزيين
جزء من الحديقة وزيادة إشراقه.

منظر أنيق مليء بما يثير الفضول،
صممه جنائني في حديقة راكوشو بكيوتو.

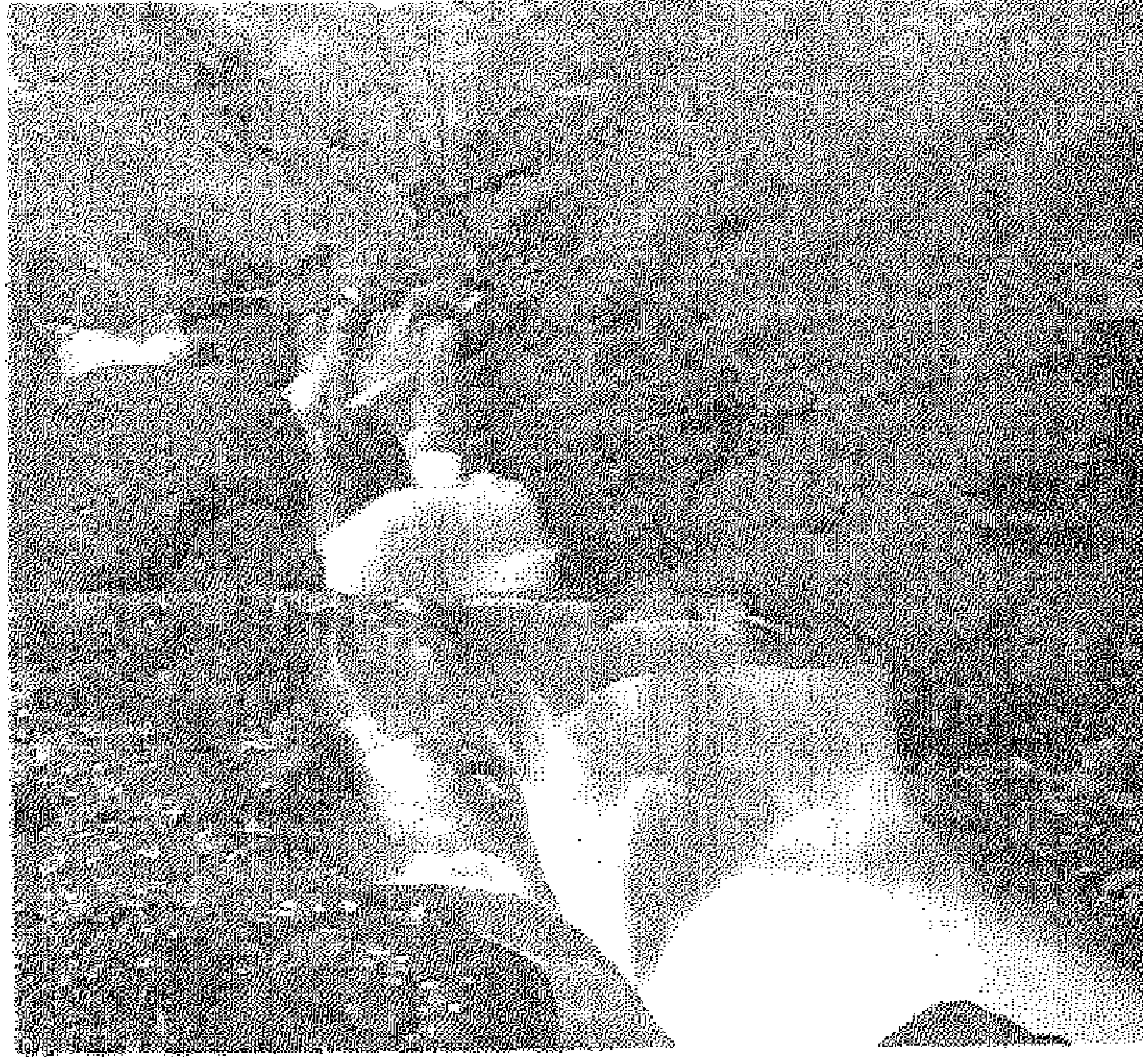
تمثل هذه الحديقة الجافة نسقاً متوازناً وجميلا
من الحجار المغطاة بالطحلب في بحر من الرمال البيضاء.



دثار من الأوراق الخريفية الملونة
يتباين مع الحجر الأسود
في حديقة شيمباشي العامة في طوكيو.



في نيجوجو بكيوتو، نسق غير اعتيادي
من القش والحجر.



شلال يشق سبيله بين الصخور المغطاة بالطحلب في حديقة تواداكو الوطنية.

تتمتع بسحر خاص إما ببراعمها الربيعية الخفيفة وإما بالألوان الخريفية التي تضفي على الحديقة رونقاً لا مثيل له.

وقد كتب المهندس الياباني ماساو هياكاوا: "تعتبر الحدائق اليابانية أمكنة تمنح القلب البشري اتصالا مباشراً ونقياً بعالم النبات والأزهار. ومن أهدافها الأساسية إيحاء شعور التمتع بكائنات الطبيعة هذه وبالانتعاش والتفتح مع انتعاش النبات وتفتح براعمه."

من يمضي فترة تأمل في حديقة يابانية لا يسعه إلّا أن يتأثر بسكونها. فلقد حقق الانسان مع الطبيعة ههنا تناغماً كاملا.

هيلين ايفنز ■

معاملة الاصائل

يقتني صهري جياداً أصيلة ويقضي معها معظم وقته مما نغّص عيش ابنتي. وهي خرجت يوماً الى السوق فلفت نظرها ملصق لسيارة كتب عليه: "عاملها كما لو كانت فرساً أصيلة كي لا تصبح كثيرة التذمّر." فاشترت الملصق وثبتته في مؤخر شاحنة زوجها.

وعندما رجع صهري في المساء قبّل زوجته وقدم اليها علبة صغيرة ملفوفة بعناية. وكانت في داخلها قطعتا سكر!

م٠و٠

التهذيب ملكة

توقف صحافي وصديقه أمام بائع صحف واشتريا جريدة. فشكر الصديق البائع بلطف، لكن هذا بقي ساكتاً متجهماً. فقال الصحافي: "الا ترى أنه شخص نكد عديم اللياقة؟"

أجاب الصديق: "اوه! انه دائماً على هذه الحال."

- اذاً لماذا تظل مهذباً معه الى هذا الحد؟

"ولماذا أدعه يملي علي كيف أتصرّف؟"

هـ٠م٠



الانترفيرون يوقف اللوكيميا

أخيراً وافقت ادارة الغذاء والدواء في الولايات المتحدة على استعمال مادة "ألفا - انترفيرون" ضد لوكيميا الخلايا الشعرية، وهو نوع نادر من سرطان الدم. وبات هذا العقار المضاد للفيروسات والمولد وراثياً، متوافراً في الولايات المتحدة بموجب وصفة طبية.
الانترفيرون مادة تشبه الهرمون يولدها الجسم كي ينبه جهاز المناعة ليقاوم الفيروسات. وقد طور العلماء تقنية تقرن بالبكتيريا جينات (مورثات) بشرية تولّد الانترفيرون. واذ تتكاثر البكتيريا فانها تنتج كميات كبيرة من هذه المادة.
وتسوّق العقار شركتان للأدوية هما "هوفمان - لاروش" في ناتلي بولاية نيوجرزي و"شيرنغ - بلو" في ماديسون في نيوجرزي. وقد طلبتا الموافقة على استعمال "ألفا - انترفيرون" ضد امراض مثل ورم كابوسي وهو السرطان الرئيسي الذي يفتك بضحايا الايدز (علة نقص المناعة المكتسبة) والورم النخاعي المضاعف وهو نوع من سرطان الدم يبتلي به عشرة آلاف امريكي.
لكن افضل النتائج الى الآن أحرزت في استعمال العقار لمقاومة لوكيميا الخلايا الشعرية. فبعد اختباره على ٢٠٠ مريض تبين ان ٩٠ في المئة منهم نالوا الشفاء وأن المرض جمّد لدى الباقين.

وكالة "أسوشييتد برس"

الكوكايين والموت المفاجيء

ان وفاة نجم كرة السلة الامريكي لين بياس في يونيو (حزيران) ١٩٨٦، التي كتب عنها الكثير، تثبت حقيقة أن الكوكايين يسبّب سكتات قلبية وموتاً مفاجئاً لأشخاص غير مصابين بعلل قلبية. ان ثلاث دراسات مختلفة في الولايات المتحدة تنسب المضاعفات القلبية الى الكوكايين.
ويشرح الامر الدكتور جيفري إسنير احد الباحثين في جامعة تافتس في بوسطن: "يعمل الكوكايين مثل الدكسادرين فيسرع النبض ويرفع ضغط الدم. نحن نخمن ان الكوكايين يسبّب افراز كميات كبيرة من هرمون الادرينالين فتزيد سرعة عمل القلب. لذلك لا ينال القلب كفايته من الدم مما يؤدي الى حالة كهربائية غير مستقرة داخل عضلة القلب."
ويعتقد إسنير وزملاؤه أن الكوكايين يسبب تشنجات في الشرايين التاجية تقطع جريان الدم الى عضلة القلب. وتنشق الكوكايين يؤدي الى تقلّص الاوعية الدموية في الانف. وانذاك ينقطع مدد الدم مما يسبب ضرراً فادحاً في أنسجة الأنف.
ويقدّر إسنير أن للكوكايين تأثيراً في شرايين القلب كتأثيره في الاوعية الدموية في الانف."

صحيفة "واشنطن بوست"

"ترميم" القلب

خريف ١٩٨٥ أجرى اطباء في مستشفى أليغني العمومي في بيتسبرغ بولاية بنسلفانيا جراحة رائدة، اذ نزعوا العضل من ظهر مريضة و"رمموا" به قلبها التالف.

لف الجراحون طرفاً من العضلة الظهرية العريضة حول البُطين الأيسر الواهن، وهو "الحجرة" الرئيسية لضخ الدم في القلب. ثم استعملوا ضابطة نبض كهربائية لتمرين العضلة على التقلص في تزامن مع البطين لدفع الدم الى أعضاء الجسم.

وأكد جورج ماغوفرن رئيس فريق جراحة القلب ان هذا الاجراء هو اختباري، لكنه يتوقعون له امكانات هائلة.

واوضح الدكتور لاري ستيفنسون من جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا ان استخدام عضل المريض ذاته يزيل مشكلتي نبذ الجسم للنسيج الدخيل وعدم توافر متبرعين بالعضو المطلوب. ويضيف: "ان كلفة الجراحة والخطر الذي تنطوي عليه ضئيلان بالمقارنة مع زرع الاعضاء البشرية والآلية." وفريق ستيفنسون هو الذي طوّر هذه التقنية بتطبيقها على الحيوانات.

وصرح ماغوفرن ان فكرة استعمال ضابطة النبض لتقوية العضل خطرت له عندما زلّت ضابطة أحد المرضى واستقرت على احدى عضلات صدره. واضاف: "إنها كانت ترسل تياراً كهربائياً خفيفاً الى العضل الذي أخذ ينتفض بمعدل ٧٠ مرة في الدقيقة، اي بمعدل نبض القلب."

وبما أن حاشية العضل تلصق خارجياً حول البطين فان حجم حجرة ضخ الدم يبقى على حاله.

ويؤكد الدكتور رايس كاو مدير الابحاث الجراحية في مستشفى أليغني العمومي ان "في وسع المريض ان يعيش، بعد الجراحة، حياة طبيعية."

صحيفة "بيتسبرغ برس"

عقار يمنع نبذ الكلى المزروعة

وافقت ادارة الغذاء والدواء في الولايات المتحدة على استعمال دواء يمكنه التغلب على نبذ الجسم للكلية المزروعة. ففي دراسة سريرية أجريت عام ١٩٨٥ نجح استعمال العقار "أورتوكلون OKT3» المضاد للمناعة في ٩٤ في المئة من حالات المرضى الذين رفضت أجسامهم الكلى المزروعة.

ويتم زرع نحو ٧٠٠٠ كلية سنوياً في الولايات المتحدة، ويعاني نحو ٦٠ في المئة من المرضى اضطرابات بسبب رفض جهاز المناعة في الجسم العضو المزروع.

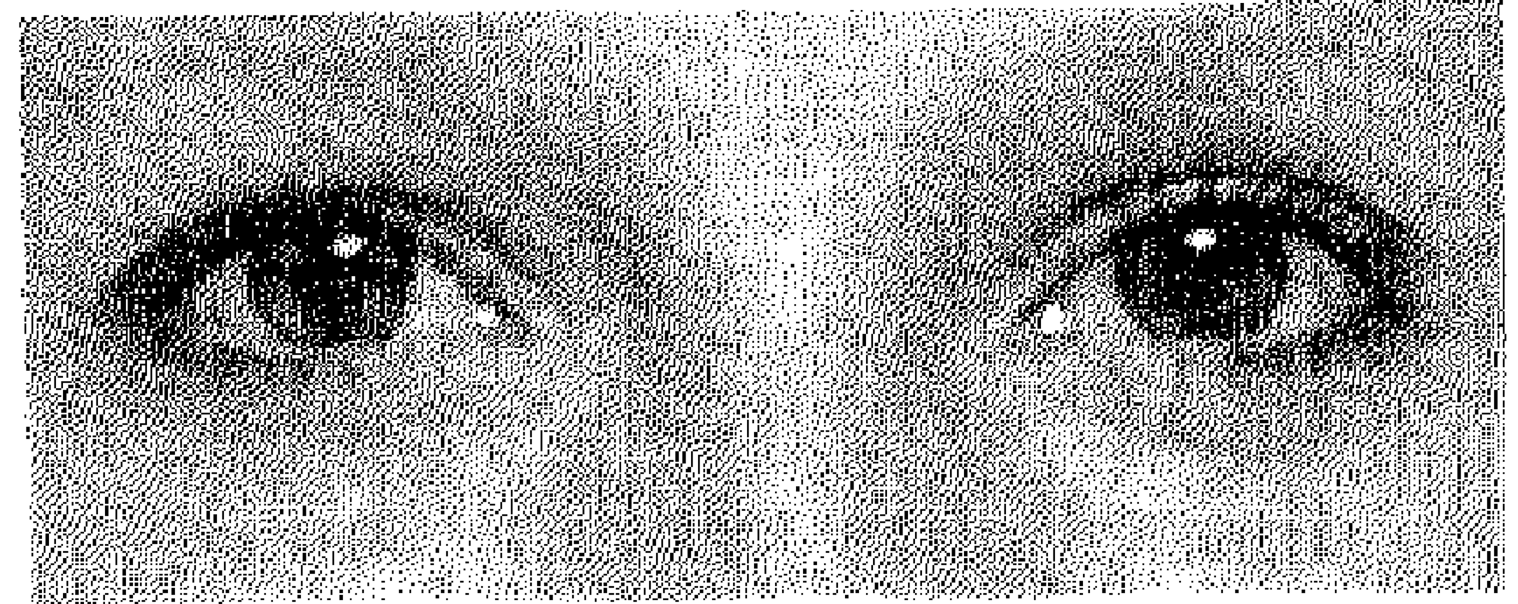
في الماضي كان كثير من المرضى الذين أجريت لهم جراحات الزرع يعالجون بدواء مضاد للمناعة يدعى "سيكلوسبورين". هذا الدواء يمنع نبذ العضو المزروع، لكن تعاطيه مدة طويلة قد يؤدي الى مضاعفات جانبية كتسمم الكليتين.

«OKT3» هو أول عقار من الاجسام المضادة يسمح رسمياً باستعماله كعلاج طبي. ومثل هذه المواد المولّدة بالهندسة الوراثية يمكن توجيهها الى هدف محدد كخلايا الدم البيضاء التي تهاجم الاعضاء المزروعة، بعدما اقتصر استعمالها في السابق على اغراض التشخيص والأبحاث.

صحيفة "وول ستريت جورنال"

أفكارٌ مفيدة

تقول ماري ايلين بنكهام وهي مؤلفة سبعة كتب في النصائح المفيدة: "من الناس من يجمع الاشياء، أما أنا فأجمع الافكار المفيدة، إذ ليس عليّ أن أنفض عنها الغبار. قبل سنوات كان معظم الافكار المفيدة يتعلق بالاشياء، فكان كل شيء في حياتي في حال جيدة. كل شيء الا أنا. عندذاك عزمت على وضع شوكة الحلوى جانباً وانتعال حذاء المشي، ففقدت ٣٢ كيلوغراماً. ولما تحسّنت صحتي أصبحت مهتمة بالافكار المفيدة التي تتعلق بالصحة. وهنا بعض من أفضل ما عندي من هذه الافكار."



جرِّب النظارة الشمسية وأنت تنظر الى المرآة. إن كنت لا تزال ترى عينيك وتنوي أن تستعمل النظارة في ضوء الشمس الساطع، فقد لا تكون العدستان قاتمتين بما فيه الكفاية.

ثلاث للعين

أرح العين من الجهد المتأتي عن العمل على مسافة قريبة، بالتوقف كل ٣٠ دقيقة والنظر الى البعيد لمدة دقيقة. فهذا يريح تشنّج عضلات التركيز. ثم اطرف عينيك لبضع ثوان، أغمضهما وأعد الكرّة مراراً ثم استرح. فهذه العملية "تزيِّت" العين بالدمع.

ان مشاهدة التلفزيون في الظلام لا تؤذي عينيك. هذه البدعة طلع بها موظف علاقات عامة من ولاية بنسلفانيا أراد أن يحسّن مبيعات زبونه الذي كان يعمل تاجر نظارات.

لبشرة نضرة

اليدان تلامسان الجراثيم أكثر مما تلامسها أجزاء الجسم الأخرى. أمن عادتك أن تنقل هذه الجراثيم الى وجهك؟ أقلع عن هذه العادة وسيخف احتمال اصابتك بالزكام.

هل تفكرين في اجراء عملية لشدّ جلد وجهك؟ تمددي على ظهرك وامسكي مرآة وانظري الى وجهك. فالجاذبية تشد الجلد المترهل الى الوراء مما يخولك رؤية النتائج التقريبية للعملية. ان لم يكن التغيير جذرياً فقد تمتنعين عن اجرائها وتودعين أموالك صندوق التقاعد.

أن تشرب بين ستة وثمانية أكواب ماء يومياً مفيد لبشرتك. والى ذلك فان النشاط الجسدي يدفع الدم الى السطح فتبدو بشرتك في حال أفضل.

أظفار نظيفة

أفرك أظفارك بلوح صابون قبل أن تباشر العمل في الحديقة أو السيارة. فهذا يحول دون تجمّع الاوساخ تحتها.

ان أردت نزع بقع التبغ والطعام ومستحضرات التجميل عن أظفارك، أفركي أطراف أصابعك في نصف ليمونة حامض ثم اغسليها بالماء الفاتر.



لشعر جميل

عندما يكون الشعر رطباً يصبح ضعيفاً. لذا فانه يغدو عرضة للتقصّف اذا جعلته يتشابك حين تغسلينه عشوائياً وبعنف وفي جميع الاتجاهات. عليك بدلا من ذلك أن تفركيه بلطف متبعة خط نموّه.

اغسليه بماء فاتر. فالماء الشديد الحرارة لن يزيد نظافة شعرك، بل انه قد يحرق فروة رأسك.

لكي تنظّفي مشطك ضعيه في الماء الساخن الممزوج ببضع قطرات من محلول النشادر (الأمونيا). ثم افركيه بفرشاة أسنان لتزيلي عنه الغبار والأوساخ.

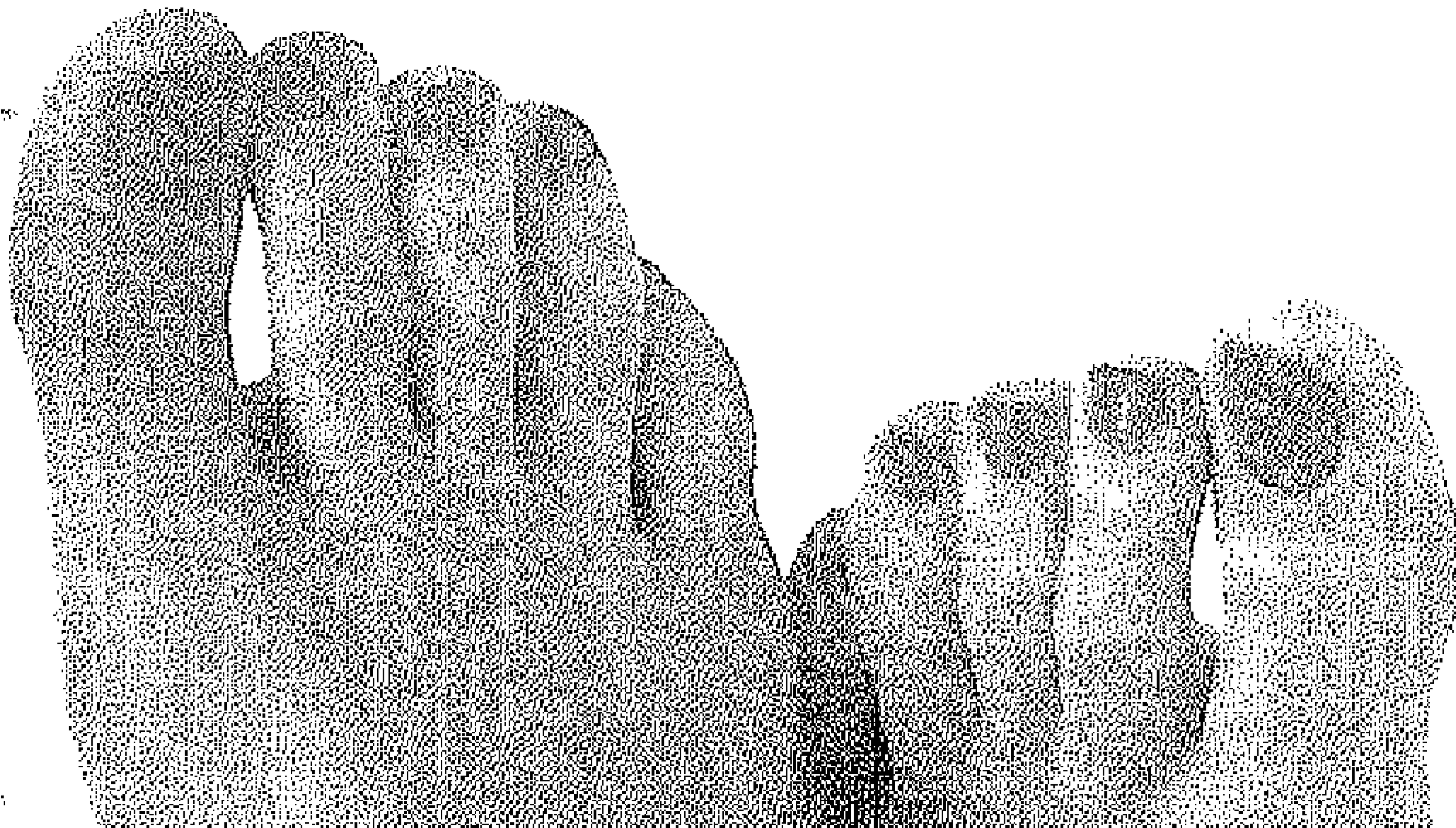
راحة القدمين

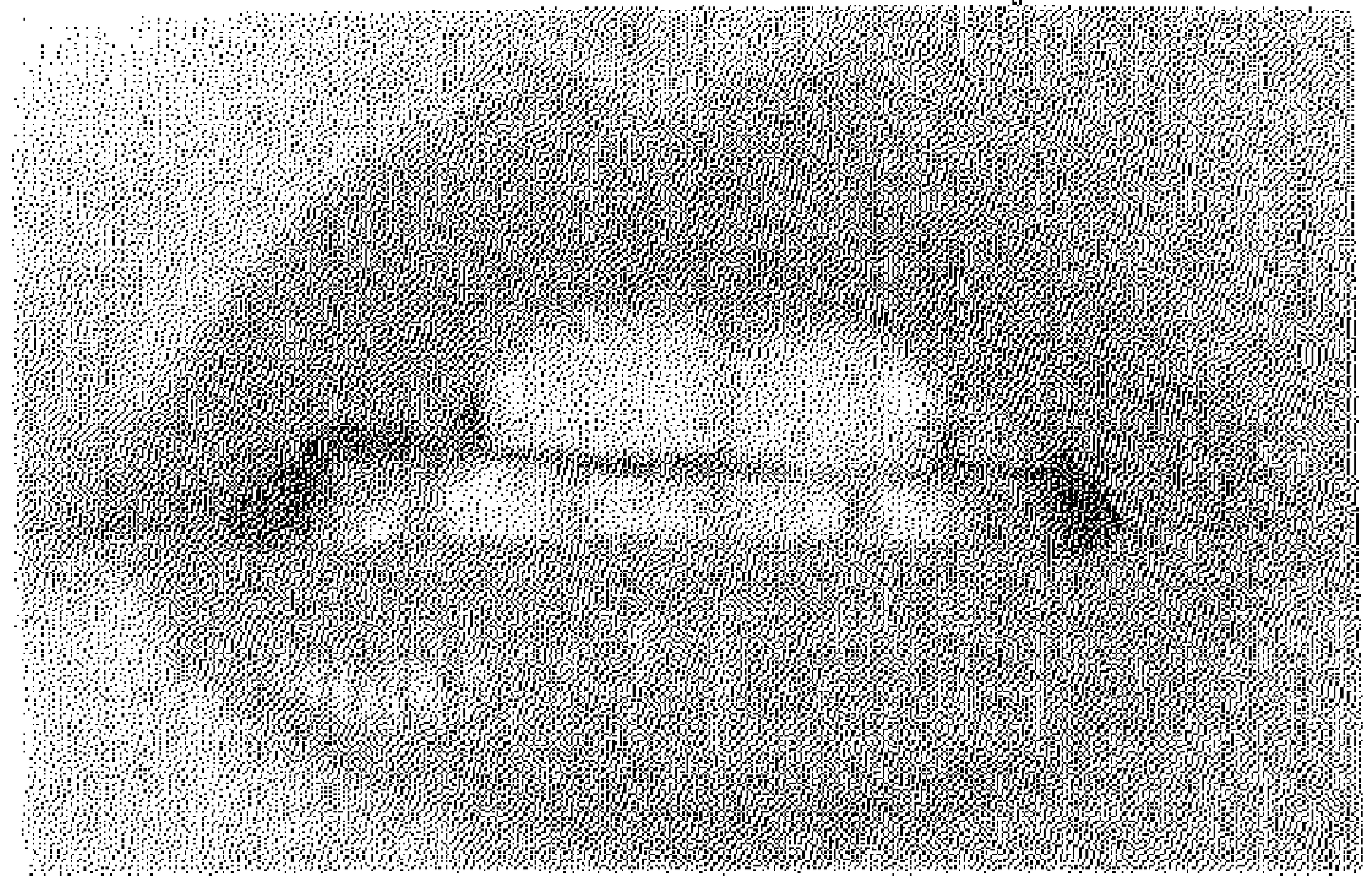
معظم الناس يسيرون في حياتهم حوالى ١٨٥ الف كيلومتر. فكأنهم يمشون خمس مرات حول الكرة الارضية. وفي هذه العملية تنضح القدمان ملء كوب من العرق يومياً، لذا تعتبر الجوارب الصوفية والقطنية أفضل لباس للقدمين اذ انها تمتص العرق. أما الجوارب المصنوعة من المواد الاصطناعية والقماش الذي لا يفسل وأحذية الفينيل فتساهم في نمو الفطر على القدمين.

ان كان ظهرك يؤلمك، افحص قدميك. فالمشاكل الصغيرة، كالمسامير والتوزيع الرديء للوزن، قد تؤثر في مشيتك وربما في ظهرك.

أما الأحذية التي لا تناسب قدميك فقد تسبب لك أوجاعاً. اشتر أحذيتك في نهاية النهار، فقدماك قد تنتفخان بمعدل نصف "نمرة" بين الصباح والمساء.

إن أردت أن تنعش قدميك الحارتين التعبتين، انقعهما في وعاء ماء بارد.





ابتسامة النجوم

المواد التي تستعمل لتبييض الاسنان تزيل بعض البقع، لكنها تقضي في الوقت نفسه على مينا الاسنان الذي لا يتجدد. اعمد بدلا من ذلك الى تنظيفها دورياً عند طبيب الاسنان.

قد يتجمع الطعام على سطح لسانك فيسبب لك نفساً كريهاً. نصيحتي اليك أن تفرك لسانك دوماً عندما تفرك أسنانك.

كثيرون من الذين يحملون في فمهم طقم أسنان اصطناعية لا يزورون طبيب الاسنان قبل سنوات. على أولئك أن يخضعوا لفحص طبي كل ستة أشهر ليتأكدوا من صحة لثتهم ومن أن طقم الاسنان ما زال يتلاءم وفمهم.

الحركة بركة

التمارين الرياضية لم تبتكر لأصحاب الوزن الزائد فقط. فإن لم تمارس الرياضة خسرت عضلاتك واكتسبت الشحم. ولمّا كان الشحم أقل ثقلا من العضل، فقد لا تلاحظ الفرق في ميزانك، لكنك ستشهد ظهور نتوءات جديدة في جسمك.

إصعد سلالم خمس طبقات إضافية كل يوم، فتحرق من الوحدات الحرارية ما يكفي لفقدان كيلوغرامين سنوياً.

بعض التمارين البسيطة يساهم في تحسين الصحة عموماً (بما فيها الدورة الدموية) أكثر مما يساهم الركض. فقطع ١٦٠٠ متر مشياً في ١٢ دقيقة يحرق كمية الوحدات الحرارية نفسها التي يحرقها الركض مسافة ١٦٠٠ متر في ثماني دقائق ونصف دقيقة. أضف إلى ذلك أن خطر الاصابة أقل في المشي منه في الركض.

الحب والضحك

الرجال الذين يقبّلون زوجاتهم قبل خروجهم الى العمل يتمتعون بصحة أفضل من الذين لا يفعلون، ويكسبون مالا أوفر.

إن أفضل الزيجات هي تلك التي يمارس فيها الشريكان الرياضة معاً. أما الزيجات الاقل حظاً فهي تلك التي تمارس فيها الزوجة وحدها الرياضة. لذا أنصحكما بان تلعبا معاً... وتبقيا معاً.

إذا أحسست برغبة في الشاعرية والحنان، ادعُ الحبيب الى حضور فيلم سينمائي هزلي. فعندما يثار الناس بالضحك يصبحون أكثر استجابة للاثارات الأخرى، بما فيها الجنس الآخر.

الضحك الصادر عن القلبِ يشغّل عضلات المعدة والصدر كما يشغّل القلب والرئتين. ومع أن ضغط الدم وكمية الادرنالين التي يفرزها الجسم يرتفعان، فانهما يعودان لينخفضا الى المستوى الطبيعي أو دونه، محررين بذلك التشنج العصبي. فالضحك اذاً خير دواء.


ماري ايلين بنكمام ■

أوسكار: حُلم وَرديّ لعمالقة السّينما

الشهر الماضي كان شهر الاوسكار. واحتفاله يستقطب سنوياً نحو مليار مشاهد من هواة السينما

أتعرفون ما هو الحدث التلفزيوني الذي يشاهده أكبر عدد من الناس في أرجاء العالم؟ إنه بلا شك الحفلة السنوية التي تقيمها الاكاديمية الامريكية للعلوم والفنون السينمائية لتسليم جوائز الاوسكار.

في الثلاثين من شهر مارس (آذار) من هذه السنة تابع أكثر من مليار مشاهد في ٨٦ بلدا هذه الحفلة منقولة مباشرة بكاملها أو بأحداثها الأساسية بواسطة



© A.M.P.A.S.

الأقمار الاصطناعية. وخفقت قلوب هؤلاء، مع قلوب نحو ١٦٠ مرشحاً للفوز بجائزة الاداء السينمائي الممتاز.

وتتساءلون عن سر نجاح الحفلة. انه عنصر التشويق الذي يحوط شيئاً يعرفه معظم الناس ألا وهو السينما.

أصبح سباق الاوسكار السنوي حدثاً يترقبه الجميع بفارغ صبر. وقبل انصرام السنة يشرع النقاد يتكهنون في صحفهم بالفائزين. فالممثل هاريسون فورد مثلاً، الذي رشح عام ١٩٨٥ لدوره في فيلم "الشاهد" (١) رشحته الناقدة التلفزيونية بيا لندستروم في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ للفوز عن دوره في فيلم "ساحل البعوض" (٢). أما أندرو ساريس فأذاع في "صوت القرية" أن كاثلين ترنر تستحق أوسكاراً لأدائها في فيلم "زواج بيغي سو" (٣). واما جاك كرول من "نيوزويك" فرشح الامريكية مارلي ماتلين للفوز عن دورها في فيلم "أولاد رب أصغر" (٤) وهو أول ترشيح لممثلة صماء.

في حفلة توزيع جوائز الاوسكار بعض من العرض المسرحي. فحين كان ديفيد نيفن على أهبة تقديم النجمة اليزابيث تايلور عام ١٩٧٤، اندفع رجل غريب الاطوار الى خشبة المسرح. فعلّق نيفن على الأمر بوجه خال من أي تعبير: "أليس مدهشاً أن يكون الحدث الوحيد الذي يضحك المرء مشاهدة رجل بكل عيوبه؟" ودهش المشاهدون لسرعة بديهة نيفن.

ولا يخلو الأمر من الظرف. فالممثل جاك ليمون ناشد الفائزين عام ١٩٨٥ أن يبقوا "متواضعين ويردوا على الهاتف كلما رن جرسه، كائناً من يكن الشخص الذي يرافقهم... في السيارة." وعام ١٩٧٩ أبدى جوني كارسون اثناء الحفلة ملاحظة ظريفة: "إني أرى الكثير من الوجوه الجديدة، خصوصاً على الوجوه القديمة."

ولطالما شعت حفلات الأوسكار بألق ساحر. فلما حاز كاري غرانت جائزة أوسكار فخرية عام ١٩٧٠ "لتفوّقه الفريد في فن التمثيل السينمائي" وقف له الحاضرون مصفقين بعدما شاهدوا مقتطفات من أفلامه خلال حياته المهنية التي دامت ٣٤ سنة. وأظهرت المقتطفات كيف تحول البهلوان السابق تجسيداً للأناقة والاطلالة المتألقة. وكان غرانت رشح للفوز بالاوسكار عام ١٩٤١ عن دور الاب المتبني في فيلم "بيني سيريناد" (٥) وعام ١٩٤٤ عن دور رجل من أحياء لندن الفقيرة في فيلم "القلب المستوحد" (٦). وهو لم يفز عن أي من الدورين، لكن دوره الأعظم في ٧٢ فيلماً تمثل بلا شك في شخصية كاري غرانت.

"كم يشبه خالي!" — تأسست أكاديمية العلوم والفنون السينمائية عام ١٩٢٧، بعد مأدبة عشاء جمعت شخصيات سينمائية بارزة في منزل لويس ماير رئيس استديوهات "مترو غولدوين ماير." وكان الهدف المعلن للاكاديمية آنذاك تمثيل الصناعة السينمائية ككل. لكنها أنشئت في الواقع لتحول، جزئياً،

(١) Witness
(٢) The Mosquito Coast
(٣) Peggy Sue Got Married
(٤) Children of a Lesser God
(٥) Penny Serenade
(٦) None But the Lonely Heart

Photo Courtesy Academy of Motion Picture Arts and Sciences

دون بروز اتحادات عمالية في هذه الصناعة. أما اليوم فترى أعضاء نقابات هوليوود واتحاداتها ممثلين بقوة في ادارة الأكاديمية.

قبل بدء تصوير حفلات توزيع الجوائز وبثها على التلفزيون في الخمسينات، كان معظم التكاليف يقع على الاستديوهات. وعرف عن هذه انها كانت تضغط على الموظفين ليصوّتوا للافلام التي أنتجتها. ولكن في العام ١٩٥٣، عندما رفضت عدة شركات سينمائية كبرى المساهمة في تحمل النفقات، عرضت شبكتا «NBC» و «RCA» (٧) دفع مبلغ ٠٠, ألف دولار عن حقوق بث الحفلة في الاذاعة والتلفزيون. وهكذا باتت شبكة تلفزيونية تموّل الحفلة، وهذه الشبكة هي «ABC» (٨) منذ العام ١٩٧٦.

تقسم الأكاديمية ١٣ فرعاً مصوّتاً. وعلى العضو أن يكون بارزاً في حقله قبل أن يدعى الى الانضمام. وتخصص جائزة لكل قسم، ويتولى هذا القسم ترشيح انجازات في حقله. ففي العام ١٩٨٦ مثلا رشح ١٠٧ مصوّرين سينمائيين لجائزة التصوير، و٢٤٣ عضواً من قسم الموسيقى لجائزة أفضل أغنية وأفضل مقطوعة موسيقية، و١٢٠٧ ممثلين لجوائز التمثيل الأربع. لكن أعضاء الأكاديمية المصوّتين جميعهم، البالغ عددهم ٤٢٤٤، رشحوا أفضل فيلم وكانوا مؤهلين للتصويت في معظم الفئات.

أعطي التمثال للمرة الاولى بعد سنتين من تأسيس الأكاديمية. فقد رسم المدير الفني سدريك غيبونز على شرشف طاولة الرجل الذي أصبح "أوسكار" في ما بعد ثم نحته جورج ستانلي. فولد التمثال الذي لم يكن مسمى بعد وطلي بالذهب من عيار ٢٤ قيراطاً. وبلغ طوله ٣٤ سنتيمتراً ووزنه ثلاثة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام. أما اليوم فتصنع من التمثال اعداد كبيرة وتبلغ كلفة الواحد منه ٤٠٠ دولار.

من أين أتى اسم أوسكار؟

عام ١٩٣١ كانت مرغريت هيريك أمينة مكتبة الأكاديمية بعدما شغلت لزمن طويل منصب المديرة التنفيذية فيها. فلما رأت التمثال للمرة الاولى صاحت: "كم يشبه خالي أوسكار!" وسمع المحرر سيدني سكولكي أعضاء الأكاديمية يدعون التمثال أوسكار، فبدأ يستعمل التسمية في كتاباته. وما لبثت الكلمة أن دخلت القاموس.

براعات تقنية — خلال عصر الأفلام الصامتة، عندما قدمت جوائز الأكاديمية الأولى، كان الفائزون يعرفون قبل أشهر. ولكن عام ١٩٤١ اعتمد المبدأ الحالي الذي يقضي بختم المغلفات.

ويتركز عنصر التشويق العالمي في المنافسة على جائزتي أفضل فيلم وأفضل مخرج وجوائز التمثيل الأربع لأفضل ممثل وممثلة وممثل ثانوي وممثلة ثانوية. لكن الجوائز التقنية والعلمية الاقل شعبية ليست أقل أهمية.

دنيال ماندل مثلا فاز عام ١٩٤٣ بجائزة أفضل تحرير سينمائي عن عمله

(٧) National Broadcasting Company & Radio Corporation of America

(٨) American Broadcasting Company

في فيلم "كبرياء اليانكي"(٩) الذي مثّل فيه غاري كوبر، الأيمن، دور لاعب البيسبول الأعسر الشهير لو غيريغ. ارتدى كوبر قميصاً خيط عليه الرقم معكوساً. وراح يضرب الكرة بيمناه. فما كان من ماندل إلا أن قلب الفيلم. واقتنع هواة السينما بأن كوبر كان أعسر على غرار غيريغ.

أما جوائز أفضل انجاز في الأفلام القصيرة للرسوم المتحركة فقدرت أعمال والت ديزني الذي فاز بأوسكار عن فيلم "الخنازير الثلاثة الصغار"(١٠) عام ١٩٣٣ إبّان الانهيار الاقتصادي الكبير في الولايات المتحدة. فهذه الخرافة المتفائلة جعلت ملايين الامريكيين ينشدون أغنية "من يخشى الذئب الشرير الكبير؟" وقد فاز ديزني بجوائز الأكاديمية أكثر من أي شخص آخر: ٢٦ جائزة قبل وفاته عام ١٩٦٦.

يقول الممثل غريغوري بيك المنتج المشارك لحفلة ١٩٨٥: "لا تنفك شبكات التلفزيون تمارس الضغوط لحذف الجوائز التقنية. وهذه بالطبع ليست مشوقة بالنسبة الى الجمهور مثل جوائز التمثيل.

(٩) Pride of the Yankees
(١٠) Three Little Pigs

من فوق: شيرلي تمبل، جيمي ستيوارت، جايمس كاغني وكاثرين هيبورن، جون وين.

لكننا لن نستخفّ بالتحرير والموسيقى والتصوير. فان فعلنا أصبحنا الى الابد تحت رحمة التلفزيون ومتطلباته."

كلمات شكر – معظم المشاهدين يعتبر الجوائز الست الأساسية إشراقة كل حفلة أوسكار. وغالباً ما وفّرت جائزة أفضل ممثل ثانوي أشدّ لحظات التأثر في العرض. ففي العام ١٩٨٥ لم يكن الدكتور هنغ نغور ممثلا ومع ذلك حاز جائزة أفضل ممثل ثانوي عن دور ديث بران في فيلم "أرض المعركة"(١١) الذي يروي قصة صحافي أمريكي وصديقه الكمبودي. كان الدكتور نغور طبيباً نسائياً في كمبوديا، وعاش عذابات شبيهة بالتي مثلها على الشاشة. وقال في ذلك وهو يرفع يداً بُترت إحدى أصابعها: "أشكر الله لأنه ساعدني على سرد حكايتي كي يعرف العالم ما عاناه وطني."

أما جائزة أفضل ممثل فغالباً ما تعكس الأحوال الراهنة. فابان الحرب العالمية الثانية كانت أمريكا تحتاج الى رمز للوطنية، فحاز جيمي كاغني جائزة أفضل ممثل للعام ١٩٤٣ عن دور جورج كوان في فيلم "الامريكي العابث"(١٢) وتدور القصة حول مغنّ راقص يفوز بوسام.

قبض كاغني على أوسكاره وقال: "لطالما أكدت أن المرء في هذه المهنة بارع بمقدار ما يحسبه الآخرون بارعاً. يطيب لي أنكم تعتقدون أني أديت عملا جيداً. ولا تنسوا أن الدور كان جيداً هو أيضاً. أمي تشكركم. أبي يشكركم. أختي تشكركم. وأنا أشكركم."

لم تستغرق كلمة كاغني هذه ١٥ ثانية. ولكن عندما فازت غرير غارسون في العام نفسه بجائزة أفضل ممثلة في فيلم "السيدة مينيفر"(١٣) ألقت كلمة دامت تسع دقائق ونصف دقيقة. وأصبحت كلمات الشكر تطول وتطول الى أن قررت الأكاديمية عام ١٩٨٥ أن المدة المقبولة للخطاب هي ٤٥ ثانية.

ويروى أن أحد المرشحين لجائزة أفضل ممثل وجد الخطابات طويلة الى حد انه استسلم للنوم في انتظار اعلان الفائز. فالممثل جاكي كوبر، المرشح لدوره في فيلم "النطناط"(١٤) سنة ١٩٣٠ – ١٩٣١، لم يكن يتجاوز العاشرة من عمره. وهو غفا على كتف ماري درسلر المرشحة لاوسكار أفضل ممثلة، وظل غافياً لدى إعلان فوز ليونيل باريمور عليه. ولما استدعيت درسلر لتتسلم جائزتها نقل جاكي الى حضن أمه من غير أن يستيقظ.

أما شيرلي تمبل (٦ أعوام) فبقيت مستيقظة في حفلة ١٩٣٤ لتتسلم تمثالها الصغير تقديراً "لمساهمتها البارزة في توفير التسلية على الشاشة." وما إن تسلمت الاوسكار حتى سُمعت تسأل أمها بصوت عال: "أمي، أيمكنني أن أذهب الى البيت الآن؟"

عندما فاز جون هيوستن عام ١٩٤٨ بجائزتي أفضل مخرج وأفضل سيناريو عن فيلم "كنز سييرا مادري"(١٥) فاز والده والتر هيوستن أيضاً بجائزة أفضل ممثل

(١١) The Killing Fields
(١٢) Yankee Doodle Dandy
(١٣) Mrs. Miniver
(١٤) Skippy
(١٥) The Treasure of Sierra Madre

ثانوي. فلقد طلب هيوستن الابن من والده أن يمثل دور منقب عجوز أشيب. وأضفى هيوستن الأب على الدور صدقية مروّعة عندما قرر أن يمثله من دون أسنان. ولما تسلم الجائزة قال: "قبل سنين ربيت ابناً وأوصيته: إن أصبحت يوماً كاتباً أو مخرجاً فدبّر دوراً جيداً لوالدك العجوز. وهذا ما فعله بحق السماء!"

وعام ١٩٨٦ فازت أنجليكا، ابنة جون هيوستن، بجائزة أفضل ممثلة ثانوية عن دورها في "شرف بريتزي"(١٦). وكان والدها مخرج الفيلم.

الدوق وأوسكار — الأفلام الثمانية والخمسون التي فازت بجائزة أفضل فيلم بين ١٩٢٧ و١٩٨٦ شملت عدداً من الافلام المفضلة لدى الجمهور حتى الآن: "ذهب مع الريح" و"كزابلانكا" و"بن هور" و"صوت الموسيقى"(١٧). واندرج في اللائحة أيضاً عدد من القصص السينمائية التي تروي معاناة حقيقية. ففيلم "صياد الأيل"(١٨) الذي تدور أحداثه حول حرب فيتنام فاز بجائزة أفضل فيلم للعام ١٩٧٨. وقدّم الاوسكار رجل فاز من قبل بجائزة أفضل ممثل وعانى هو أيضاً ظروفاً رهيبة.

قبل سنة كان جون وين في مستشفى مساتشوستس يخضع لجراحة في القلب عندما أقيمت حفلة توزيع جوائز الأوسكار. فأوقف بوب هوب، مقدم الحفلة، العرض ليتمنى لو يستطيع "الدوق" أن "يأتي الى هنا شخصياً في العام المقبل."

وهكذا في التاسع من أبريل (نيسان) ١٩٧٩، بعد ثلاثة أشهر من خضوع وين لجراحة دامت تسع ساعات لاستئصال ورم خبيث من معدته، مشى الممثل الكبير على خشبة المسرح. ولما هدأ صخب التصفيق تكلم "الدوق": "هذا هو الدواء الوحيد الذي يحتاج اليه المرء فعلاً. أتى أوسكار الى هوليوود للمرة الاولى عام ١٩٢٨. وأنا أيضاً. كلانا سفعته الشمس. لكننا ما زلنا ههنا وننوي البقاء بعض الوقت."

وللأسف، توفي جون وين بعد شهرين.

أحلام وردية — لطالما عمد النقاد الى الطعن في جوائز الاوسكار. فقد كتب ريمون تشاندلر مرة أن الأوسكار يعبر عن "رغبة هوليوود الشديدة في تقبيل مؤخر عنقها."

لكن جايمس ستيوارت الذي فاز بجائزة أفضل ممثل عام ١٩٤٠ لدوره في فيلم "قصة فيلادلفيا"(١٩) وبجائزة الأكاديمية الخاصة عام ١٩٨٥ لما قدمه من إنجاز سينمائي على مدى ٥٠ عاماً، أضفى على النقد وجهة أخرى: "يساوي الاوسكار في الواقع تربيتة على الكتف من زملائك، لأن الجميع يصوّت له. انه لا يأتي من قسم الانتاج."

خلال الحرب العالمية الثانية حالت الخدمة العسكرية دون ظهور ستيوارت على الشاشة لمدة أربع سنوات. وفي العام ١٩٤٦ رشح لجائزة أوسكار عن دوره في أول فيلم له بعد الحرب، وهو فيلم

(١٦) Prizzi's Honor

(١٧) Gone With the Wind, Casablanca, Ben Hur, Sound of Music

(١٨) The Deer Hunter

(١٩) The Philadelphia Story

"انها لحياة رائعة"(٤٠) للمخرج فرانك كابرا. ومع أن جائزة أفضل ممثل ذهبت الى فردريك مارش لدوره في فيلم "أفضل سنوات حياتنا"(٤١) فقد كسب ستيوارت ثقة بالنفس من ترشيحه. قال: "بعد غيابي أربع سنوات لم أعد أعرف ان كنت ما زلت أجيد التمثيل."

لم يفز فيلم "انها لحياة رائعة" بأي أوسكار مع أنه رشح لخمس جوائز. لذلك لم يلقَ اقبالا جماهيرياً كبيراً. وتظهر التجربة أن جوائز الاوسكار الأساسية قد تضيف الملايين الى أرباح الفيلم والى دخل الممثل. لكن تحفة فرانك كابرا التي ترجع الى ٤٠ عاماً تعتبر اليوم من أحب الأفلام الى قلوب المشاهدين الامريكيين.

تحمل جوائز الاوسكار، والسينما عموماً، أحلاماً حقيقيةً. ولم تتجلَّ هذه الفكرة من قبل كما تجلّت في حفلة تقديم جوائز الاوسكار عام ١٩٧٦. فعندما حازت لويز فلتشر جائزة أفضل ممثلة عن دورها في فيلم "طيران فوق عش الكوكو"(٤٢) ألقت كلمتها بلغة الايماء كي "يسمعها" والداها الأصمان اللذان كانا يشاهدان العرض في منزلهما بولاية ألاباما.

قالت لهما: "أريد أن أشكركما لأنكما علمتماني أن يكون لي حلم. وها أنتما تريان حلمي يتحقق."

جون كالهين ■

(٤٠) It's a Wonderful Life
(٤١) The Best Years of Our Lives
(٤٢) One Flew Over the Cuckoo's Nest

صيد الزبائن

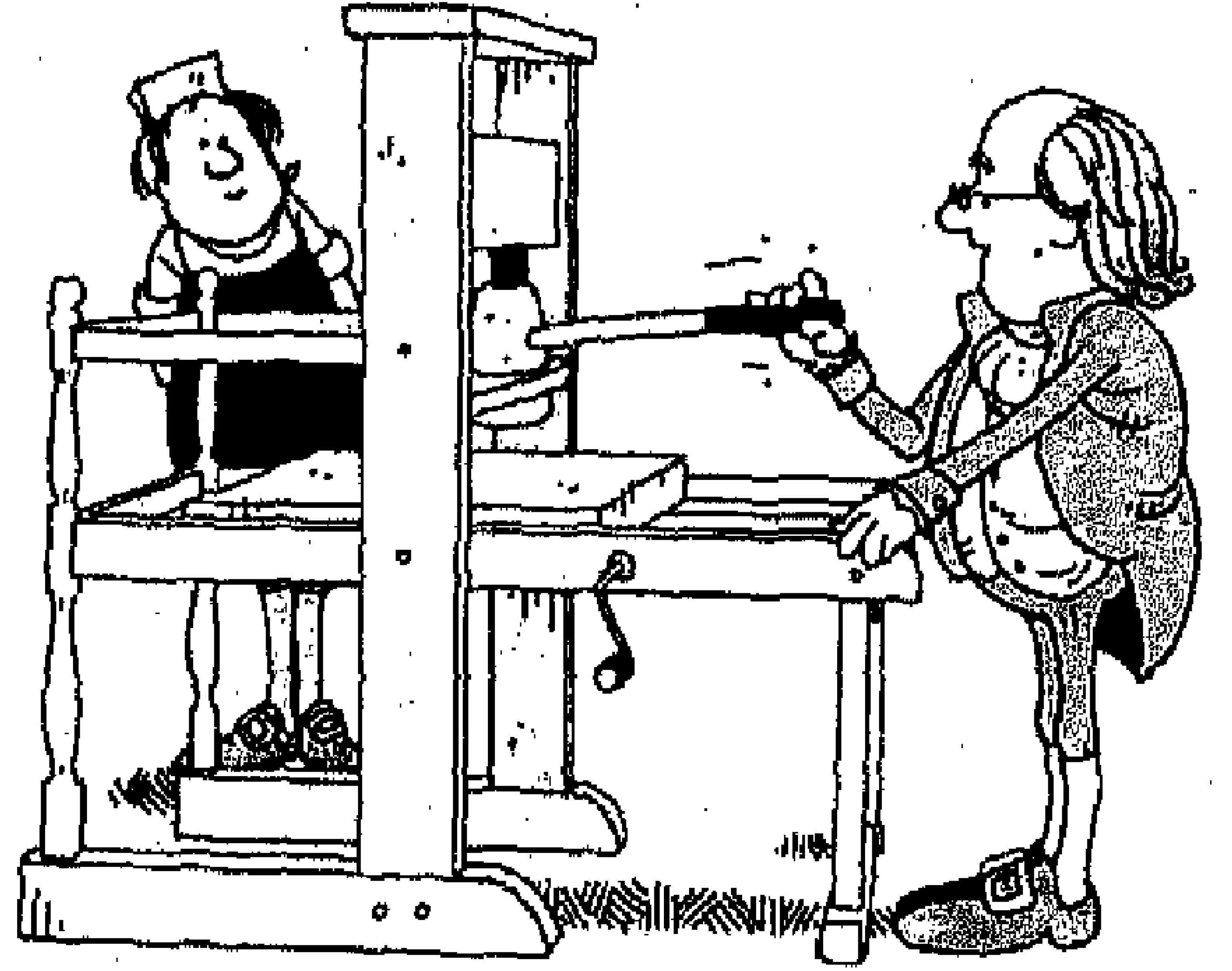
ان تحضير قوائم بالزبائن المحتملين لحملات الدعاية بالبريد المباشر يتطلب حدساً وفكراً ثاقباً وموهبة غريزية. وقد حققت احدى شركات التأمين أحسن النتائج باعتماد أسماء وعناوين لأشخاص يشترون جوالب الحظ لأنهم عادة قلقون. وتعتمد شركة أخرى عناوين أشخاص يشترون طاولات البلياردو وكرة الطاولة لتبيعهم جزازات للعشب، لأنها رأت أن من يملك طاولة بلياردو يملك حتماً منزلا كبيراً. ووجهت مجلة للمتقاعدين قسائم اشتراك الى أشخاص يحملون أسماء قديمة كانت شائعة قبل ستين سنة.

ف.ج.

طبيب مطّلع!

اثر اصطدام سيارتي بشاحنة نقلت الى المستشفى حيث وضع الطبيب رجلي في قالب جصّي وطمأنني الى أن في امكاني مغادرة المستشفى في اليوم التالي. لكنه عاد في الصباح وبادرني: "أنا أرتأي أن تبقى في المستشفى يوما آخر لانني لم أكن على علم بمبلغ اصابتك حتى قرأت عنها مفصلا في الصحف."

ب.ك.

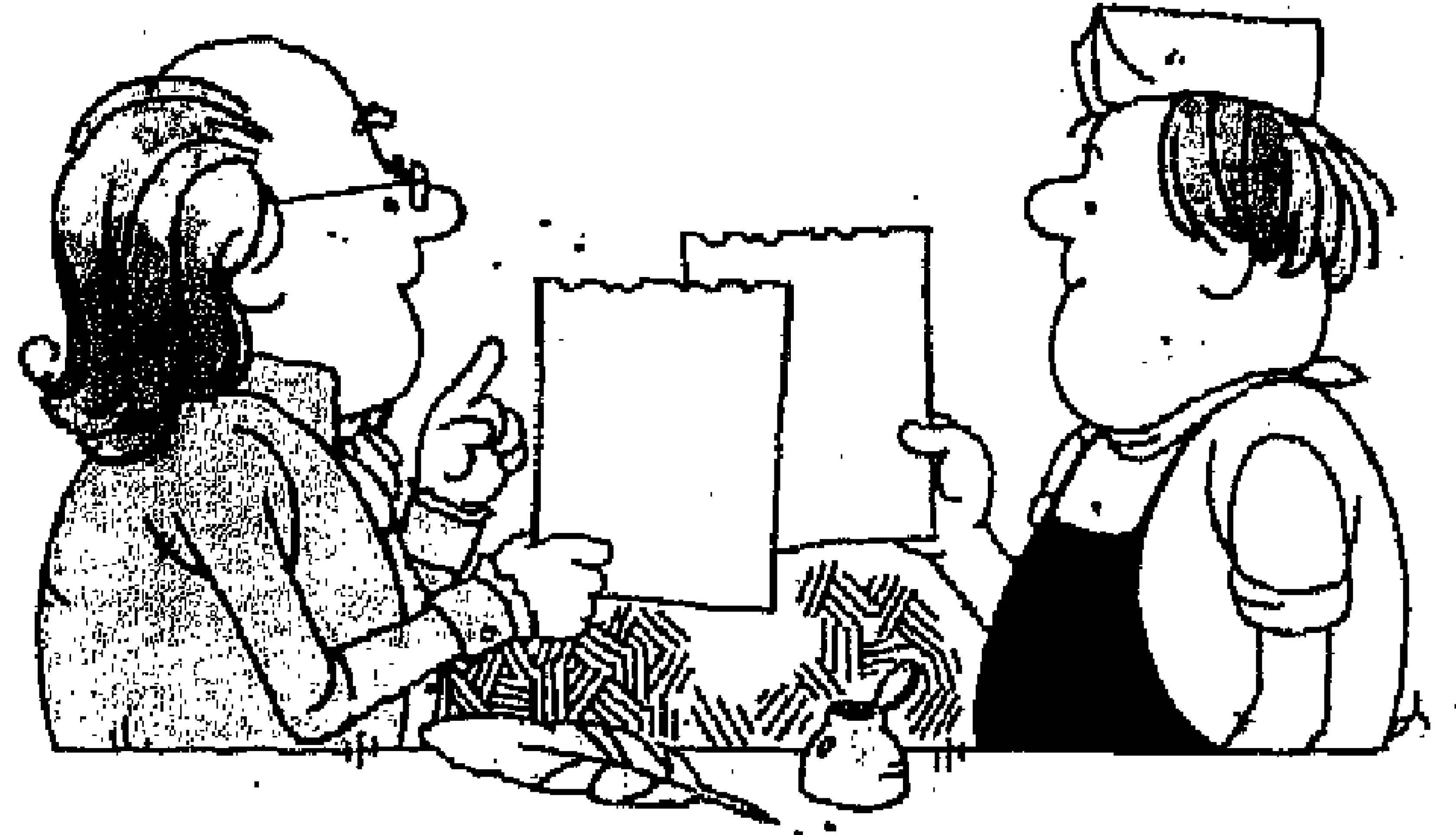


دائرة المعارف

كانت حياة ابن الرومي (٨٣٦ - ٨٩٦) سلسلة من الارزاء. فهو نكب في أسرته ولم ينل حظوة لدى العظماء واندفع وراء أهوائه فهدّت جسمه. ونظم الشعر في كل أحواله، واذا شعره مرآة صادقة لتلك الاحوال.

هنا كلمات منتقاة من ديوان ابن الرومي. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. الحِجى: اللثام - العقل - الالغاز - الشعر العامي.
٢. الغُلواء: الحر الشديد - أنثى الغول - الظلم - تجاوز الحد.
٣. الرَّند: الخيزران - حب الرمان - الغار - الخد الطري.
٤. القَيْنة: الجارية المغنية - الزوجة - القصبة - العين.
٥. الهامة: القامة - الرأس - الضياع - مطر الصباح.
٦. الورقاء: الصبيّة - الشجرة المورقة - الحمامة - الواحة.
٧. رَئِم: أكل الكلأ - شفي - حلم في اليقظة - عطف.
٨. القِرْن: الكفء والنظير - الجبل - العدوّ - الانف الكبير.
٩. الحباء: الزغردة - العطاء - التفضيل - نبتة عطرة.
١٠. الطَّبّ: الطبيب - الحاذق العارف - القبر - حيوان كالجرذ.
١١. شامَ: قصد الشام - لطخ - قدر وخمَّن - عاب.
١٢. العَفَر: صغير الاولاد - رأس الديك - البيت - التراب.
١٣. الفواقر: الدواهي - عظام الظهر - الحسّاد - الزوجات.
١٤. الجِيد: الفضة - الشعر الفاحم - العنق - الجبين العريض.
١٥. مُنْصَب: محتال - متعب - محظوظ - شديد العداء.
١٦. ساجَلَ: بارى وفاخر - غنى - غازل - عاتب.
١٧. عَوْصاء: منحرفة - عالية - قاسية - غريبة صعبة.
١٨. لَحاه: ألحّ عليه - مدحه - أنعم عليه - سبّه.
١٩. الخَوْد: غطاء الرأس - العباءة - المرأة الشابة - البحر.
٢٠. انفطر: سال - انشقّ - ضحك كثيراً - تفرّق.
٢١. الاكناف: الوسائد - الملاءات البيض - القوائم - الجوانب.
٢٢. الجليد: الصبور - المتشائم - اللئيم - السليط اللسان.
٢٣. القفا: مؤخر العنق - الباطن - الصحراء - الغياب.
٢٤. خَوَّر: جاع - سقط على ركبتيه - ضعف - مات.
٢٥. صُروف الدهر: أفراحه - نوائبه - سنواته - خفاياه.



الأجوبة الصحيحة

١. الحِجى: العقل والفطنة. الأحجية: الكلام المغلق كاللغز.
٢. الغُلواء: الغُلُوّ وتجاوز الحد.
٣. الرَّند: شجرة صغيرة طيبة الرائحة من فصيلة الغار جعل منها الاقدمون رمزاً للنصر.
٤. القَيْنة: الجارية المغنية. جمعها قِيان.
٥. الهامة: الرأس. هوَّم: هز رأسه من النعاس.
٦. الوَرْقاء: حمامة يضرب لونها الى الخضرة وتشبَّه بها النفس.
٧. رَئِم الشيء: أحبه وألفه. رئمت الناقة ولدها: عطفت عليه فهي رائم ورؤوم.
٨. القِرْن: الكُفء والنظير في الشجاعة أو العلم وسواهما.
٩. حَباه: أعطاه بلا مَنّ أو جزاء. الحِباء: العطاء. حاباه: اختصه من دون سواه ومال اليه منحرفاً عن العدل.
١٠. الطَّبّ: الحاذق الماهر بعمله. يقال: هو طَبّ بهذا الامر.
١١. شامَ الشيء: تطلَّع نحوه منتظراً اياه. أيضاً: قدَّر وخمَّن.
١٢. العَفر: التراب. عفَّره في التراب: مرّغه ودسه فيه.
١٣. الفواقر: الدواهي الشديدة فكأنها تكسر فِقَر الظهر. واحدتها فاقرة.
١٤. الجِيد: العنق.
١٥. مُنْصَب: متعَب. ناصبه الحرب أو العداوة: أظهرها له.
١٦. ساجله مساجلة وسِجالا: باراه وفاخره وعارضه في جري أو قول شعر.
١٧. عَوِص الشيء: اشتد وامتنع وصعب فهمه. كلمة عوصاء: غريبة.
١٨. لَحاه: لامه وسبَّه وعابه.
١٩. الخَوْد: المرأة الحسنة الخَلق الشابة الناعمة.
٢٠ تفطَّر وانفطر: انشقّ. الفَطور: ما يُفطر عليه من طعام وغيره.
٢١. الكَنَف: الجانب والناحية والظل وجناح الطائر. كَنَف الانسان: حضنه أو العضدان والصدر. جمعها أكناف.
٢٢. الجليد: ذو القوة والصبر وضد البليد. الجَلَد والجلادة: الصلابة والصبر.
٢٣. القَفا: مؤخر العنق.
٢٤. خوَّر: ضعف وارتخى. الخوار: صوت البقر.
٢٥. صُروف الدهر: نوائبه.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول

كتاب الشهر

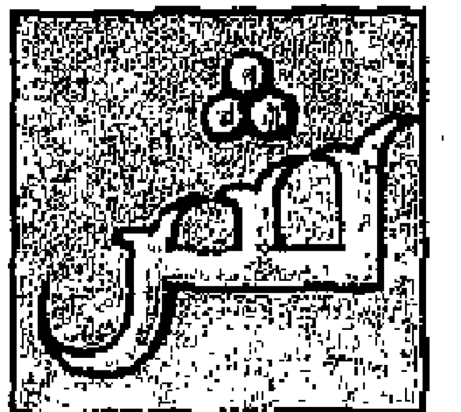
حمى الذهب

ملخص من كتاب
بقلم بيار برتون



حمى الذهب

ما ان شاع نبأ اكتشاف الذهب
قرب نهر يوكن في شمال كندا حتى سرت
بين الناس حمّى ظلت تستعر طوال سنتين،
بدءاً بمنتصف صيف ١٨٩٧ مع وصول الخبر الى العالم الخارجي.
وتلك الفترة الوجيزة اختصرت حياة ألوف من الناس
وقعوا في أشراك أحلام جامحة استبدت بهم
حالما وطئت أقدامهم كلونديك، تلك البقعة من الأرض
التي اقتضى الوصول اليها أن يقطعوا القفار والبراري
ويتكبدوا المشقات ويقاسوا الاحزان



"شيء ما" كان في الجو ذلك الصباح من شهر يوليو (تموز) من العام ١٨٩٧. شيء شعرت به الجموع المنتظرة على رصيف ميناء سان فرنسيسكو. ولكن ماذا كان ذلك؟ هل للهمسات المثيرة المتناهية من الشمال أساس من الصحة؟ هل ان تلك الباخرة الصغيرة اللاهثة في اتجاه رصيف التفريغ، تحمل حقاً كنوزاً ونفائس؟ وكانت "اكسلسيور" أبحرت قبل تسعة أيام من ميناء بعيد على بحر بيرنغ قرب مصبّ نهر يدعى يوكن. ولمّحت الاشاعات آنذاك الى أن أمراً مثيراً حصل في مكان من ذلك النهر.

ومع اقتراب الباخرة ارتفعت بين الحشود المتجمعة على الرصيف همهمة مسموعة. وظهر على حافة الباخرة صف طويل من الرجال اعتمروا قبعات واقية خاصة بالمناجم. ولمّا اقتربوا اكثر وتبيّن الناس ملامحهم بدوا رجالا هزيلين غير حليقي الذقون أهرمتهم الايام قبل الاوان، ينظرون بعيون محمومة في وجوه غضنتها الشمس.

وطالع الجمع بعد ذلك منظر غريب. كان الرجال يعبرون الى البر مترنحين وهم يصارعون حقائب جلديّة بالية تكاد تتفتق حول مفاصلها وصناديق مُقفّلة ضاقت بما فيها وبطانيات مربوطة بغير إحكام ناؤوا

بحملها فتعاونوا على رفعها الى الرصيف. وسرعان ما تجلّى للأعين المفتونة أن تلك الامتعة لم تكن عادية. فالحقائب والصناديق والاكياس كانت محشوّة بالذهب.

في تلك اللحظة من التجلي بدأت حمى الزحف في اتجاه كلونددايك. وقبل إبحار "اكسلسيور" الى الشمال مجدداً كان عدد الراغبين في بطاقات سفر ممن خيّبت الباخرة آمالهم عشرة أضعاف استيعابها الفعلي من الركاب. ففي ذلك العقد المظلم وسنواته العجاف التي أطلق عليها التاريخ خطأً اسم "التسعينات المرحة" وقضى فيها الناس جوعاً في الأزقة، كان لكلمة "ذهب" رنين سحري. فتزاحم الناس للحصول على المعدن الثمين واكتنازه في الجوارب والسكّريات بعدما فقدوا الثقة بالعملة الورق. وتراءى لهم أنه في مكان ما وراء الضباب القطبي كانت الثروة ملقاة على الأرض.

وبعد يومين وصلت "سفينة كنز" أخرى الى ميناء سياتل في ولاية واشنطن، وسرى في القارّة نوع من الهوس الجماعي. وكان في استقبال السفينة "بورتلاند" على الرصيف في السادسة من صباح ١٧ يوليو (تموز) ما يزيد على خمسة آلاف شخص. وما ان بلغت الساعة التاسعة والنصف حتى كانت جميع الطرق والمنافذ المؤدية الى الميناء تعجّ بألوف الاشخاص الذين توافدوا الى المكان مع حيواناتهم وعرباتهم وكرّاجاتهم. ففي مكان ما وراء الافق كانت الثروة والمغامرة والخلاص.

عمّال القطارات هجروا عرباتهم، ورجال الشرطة مراكزهم وبذلاتهم، والرعاة قطعانهم، والكتبة والصحافيون مكاتبهم، والباعة مراكزهم، حتى ان رئيس بلدية سياتل أبرق استقالته من سان فرنسيسكو حيث كان يحضر مؤتمراً وانضم الى القطيع.

قيل ان من أصل مليون شخص خطّطوا للذهاب الى كلونددايك لم يحالف الحظ سوى مئة ألف. وهكذا فإن قصص البطولة في كلونددايك تروي حكاية الانسانية جمعاء. حكاية ألوف الرجال والنساء مع خيولهم وكلابهم، اكتظت بهم سفن ناءت بحمولتها. حكاية شواطىء عجّت بالمنقبين عن الذهب زحفوا اليها مع قطعانهم. حكاية جبال غطت منحدراتها صفوف مرصوصة من الباحثين عن الذهب. حكاية أنهر وبحيرات ملأت صفحاتِها الزوارق والسفن. حكاية قرى متداعية تفجرت مدناً. وخلال الاشهر الثمانية عشر التي تلت تحوّل سهل يوكن الداخلي قفير نحل بشرياً.

وعجّت مدن سان فرنسيسكو وسياتل وبورتلاند وفيكتوريا بالرجال وضاقت الفنادق بالنزلاء. وبالقرب من أرصفة الموانىء كانت الكتل البشرية تتحرك بتثاقل بين اكياس المؤن، وغصّت الطرق بأناس حرصوا على الظهور في الزي الرائج آنذاك: بذلة من الجوخ الماكيناوي المبهرج وقبعة ذات حافة عريضة وجزمة قوّي نعلها بالحديد لوقايتها من البري. واستغلّ النصابون والمقامرون الغشاشون الناس المتسكعين في انتظار سفن تنقلهم شمالاً، واستنزفوا مدخراتهم. اما الحديث عن الذهب فلم ينقطع. والكلام

على الذهب تضمن رقة ومناجاة، وابدعت لوصفه تعابير وكلمات كأنه غاية في ذاته وليس وسيلة لحياة أفضل. وانتقلت العدوى الى الصحف فراحت تطلق عليه اوصافاً مستحدثة، فهو "الذهب النفيس الاصفر" و"الذهب الاصفر النقي" و"الذهب اللماع."

ذلك الذهب كان في مكان ما على الارض بين الطحالب.

طالبو الاثارة

لم يكن لدى الوافدين الجدد الذين أعمتهم صورة الذهب المرسومة في أذهانهم أي فكرة عمّا كان ينتظرهم. فجميع الذين كافحوا في سبيل الحصول على بطاقات سفر زخرت صدورهم بأمل العودة بالثروة، حتى ان البعض منهم حملوا أكياساً من الخيش لالتقاط كتل الذهب التي توقعوا أن يغرفوها من حصى الجداول في بونانزا وإلدورادو.

والخريف في يوكن حمل عبيراً ملأ الجو. واكتست المنحدرات بأشجار البتولا المصفرّة وأعالي الجبال بالجنبات الارجوانية. وعلى صفحات البرك الضحلة خلّف الصباح طبقةً رقيقة من الجليد. والصور الفوتوغرافية الملتقطة للساعين الى كلونذايك، أظهرتهم ملتفّين بالفراء. فلا بد اذاً أنه كانت لديهم فكرة وان بسيطة عن الظروف التي كانت في انتظارهم: البرد القارس على الشواطىء والريح التي تصفر بين الشعب والمجازات والضباب المخيف في مواسم الشتاء الشمالية. ومع ذلك أطلقوا لمخيلاتهم العنان كأن لمعان الذهب وحده كفيل ببعث الدفء في أجسادهم. وطغى هدير الزحف على كل أصوات التحذير.

ولقد عُرفت التسعينات بزمن الانسان الواثق بنفسه. وكل من إنضمّ الى الجموع الزاحفة ذلك الشتاء فعل ذلك مدفوعاً بالايمان بأنه حتماً حاصل على ما سعى اليه، وإلا لما أقدم وهو بكامل وعيه على التخلي عن عمله وعائلته وموطنه من أجل نزوة عابرة.

ما لم يكن وارداً على الاطلاق هو عدم الذهاب الى كلونذايك، وليس العكس. ففي تلك الفترة التي تميزت بعدم الاستقرار، بات لزاماً على كل من انضمّ الى الصفوف الزاحفة ان يؤمن ليس فقط بالمستقبل، بل بنفسه كذلك. ثم أتت حمّى الزحف الى كلونذايك لتمحو أزمة الثقة التي سفّهت قارة بكاملها. وكانت الهتافات تنطلق من الجموع كلما غادرت سفينة المرفأ وكأنها صيحات حرب أو صلاة جماعية تحمل الأمل بغد أفضل.

هؤلاء الساعون الى الاثارة كانوا يترجحون بين التصديق والتكذيب. وبينهم من انطلق في رحلته الى أرض الذهب الغامضة ببهجة ومرح وكأنه في الطريق الى باريس أو بومباي. فأخذوا معهم عصافير الكناري والببغاوات. ومنهم من حمل غيتاراً أو بيانو أو مجازاً خشبياً للعبة البولنغ أو عدّة كاملة لكرة المضرب أو فانوساً سحرياً. والطريف أن بعض هذه الامتعة وصلت الى مدينة الذهب حيث لا تزال الى اليوم.

وفي المدن الساحلية استماتت الحشود المنتظرة للحصول على مضاجع في أي سفينة متجهة شمالاً، الى حد أن

بعض المنتظرين رفضوا مغادرة أمكنتهم في الطابور حتى للاكل أو النوم. وفي سبيل الحصول على بطاقات سفر لم يتورع ألوف عن القتال والسطو والرشوة، وارتضوا السفر على متون سفن محطمة حملتهم عبر الساحل المسنن لكولومبيا البريطانية والازقة البحرية(١) والانهار الجليدية في آلاسكا.

في هذه السفن التي رمّمت على عجل بعدما كانت معدّة للكسر، امتلأت المقصورات بالعشرات. منهم من افترش الارض المكشوفة أو لزم العنابر والمخازن الخانقة. كانوا ينامون في ثيابهم وينتظرون أكثر من سبع ساعات للحصول على وجبة هزيلة. وهم صمدوا في وجه العواصف وأمام تمرّد البحارة على ربابنة السفن، ونجوا من كوارث غرق كثيرة. وتعين عليهم ان يتحملوا رائحة الروث والقيء ونباح الكلاب المستمر ورهاب الاحتجاز والصرير المنبعث من بدن السفينة الراشح، الى رائحة العرق المنبعثة من الركاب الذين انحشروا كالسردين المحفوظ. تحملوا كل ذلك لان شواطىء سكاغواي وديا كانت تناديهم. وخلف الشواطىء كانت الجبال، وخلف الجبال المجازات، وخلف المجازات البحيرات المجلدة، وخلف هذه النهر العظيم. وفي آخر النهر العظيم يقبع الذهب!

تقع شواطىء سكاغواي وديا عند انتهاء أحد أروع الازقة البحرية في العالم ويدعى قناة لين. في هذه الربوع تعكس مياه البحر الصافية صورة المنحدرات الجبلية التي ترتفع عمودياً فوق الزرقة الفيروزية فتبدو السفن العابرة بقربها كالاقزام.

ولم يكن لدى الناس على متون تلك السفن أي استعداد لتذوّق الجمال الطبيعي، فهم أدركوا أخيراً ان رحلتهم لن تكون تلك النزهة الخفيفة. فهم رأوا سوراً هائلا من الجليد والصوّان يسدّ الطريق امامهم، وكان هدير الشلالات المتفجرة من قممه يصم الآذان ومنظر الكتل الجليدية المتدلية منه يرهب النفس. وهذا المشهد بدّد الى الابد الاحلام الجميلة التي دغدغت مخيّلات المتفائلين، فأدركوا أن عليهم اجتياز تلك المتاريس المخيفة، راجلين أو على صهوات الجياد، عبر احدى فتحتين ضيقتين عُرفتا بممري وايت وتشيلكوت.

قاصدون وعائدون

الوصول الى الممرين كان عبر احدى مدينتين ازدهرتا بسرعة وهما ديا الواقعة عند مدخل ممر تشيلكوت وسكاغواي في اسفل ممر وايت. ولكن قبل ذلك كانت صدمة ثانية في الانتظار. فعلى المسافرين ان يغادروا السفن حاملين أمتعتهم ومصطحبين حيواناتهم. ومن تجمّع منهم على المتن قرب الحافة سمع صوت المرساة وهي تلقى و"سعال" المحركات قبل أن تتوقف. لكن اليابسة كانت على بعد كيلومترين، ولم يكن هناك معبر خشبي أو رصيف أو حمالون. ولم ير أولئك الاوائل امامهم سوى منبطحات

(١) هذه الازقة (Fjords) هي معابر بحرية تحوطها اجراف صخرية. وهي تكثر في البلدان الاسكندينافية وفي المناطق القطبية.

الجَزْر وشواطىء مخضلة تتخللها جداول جليدية كالشرايين.

أفرغت السفن حمولتها من رجال وحيوانات وأمتعة في الأزقّة البحريّة المتجمدةً أو في قوارب مسطحة راحت تعبر الى الشاطىء جيئة وذهاباً، ومن متون السفن دليت صناديق تفتح قيعانها فتظهر الخيول وهي تصهل برعب قبل أن تهوي الى المياه التي تعجّ بالمعزى والبغال والكلاب والثيران. أما صناديق الامتعة فكانت تقذف الى القوارب بعنف فتنفتح وتتبعثر محتوياتها. وما سلم منها بالتحميل لم يسلم في التفريغ، إذ كانت الامتعة تقذف الى اليابسة من دون اكتراث حتى امتلأت الشواطىء باكوام الصناديق وأكياس الطحين والمقالي والافران والاطواف المقلوبة والعربات وأكياس التبن. وتدافع الرجال يبحثون عن أمتعتهم. وتسلق بعضهم اكوام الامتعة والمؤن التي ارتفعت كالجبال وراحوا يقرأون أسماء أصحابها قبل قذفها.

ولم ينتهِ العذاب هنا. فالمدّ لم يكن ليرحم. وما ان تفرغ السفن حمولتها حتى تضج الشواطىء بمختلف الاصوات من نباح الكلاب الى صرير المركبات وصريف المناشير وقرقعة النار وصهيل الخيل وشتائم الرجال وهم يكافحون لينقلوا أمتعتهم قبل أن يدهمهم المدّ. وعندما غمرت المياه المالحة اكياس الطحين والسكر والشوفان والملح والخميرة والبطاطا المجفّفة والحساء المجفف التي انفقوا لشرائها مدخراتهم، ارتمى كثيرون فوق الرمل وهم ينتحبون.

وكان بين الوافدين من أدرك بسرعة أن الثروة الحقيقية لم تكن بين الطحالب المجلّدة في أجوان إلدورادو وخلجانها بل في جيوب من آمن بها. وأقيمت مكاتب زائفة لنشر معلومات زائفة، وانتحل بعض الاشخاص صفة عمال برق وبريد وراحوا يرسلون برقيات زائفة في مقابل مبالغ معينة، علماً أن الاسكا لم تكن مربوطة بالعالم الخارجي بأي خط أو سلك.

والذين قاوموا هذه الاغراءات لم ينجوا من مطاردة طلاب المال، وسرعان ما وجدوا محافظهم اقل انتفاخاً إذ تعين عليهم ان يدفعوا اجرة الانتقال بالقوارب واجرة الأرض التي نصبوا عليها خيمهم وأجرة استحمامهم وغسل ثيابهم وقصّ شعورهم وتصويريهم في اوضاع مختلفة. وهنا حوار ألِف الناس سماعه آنذاك:

"هل التقط لك صورة يا سيدي؟"

– بالطبع!

– "الدفع نقداً من فضلك!"

إن لم يعجبك الوضع يمكنك ان تختار وضعاً آخر ولكن في مقابل مزيد من المال. وتؤثر أن تظهر باناقتك الكاملة أمام خلفيّة زائفة أو أمام كوخ في البرية وعلى وجهك ابتسامة متفائلة. انها صورة ترسلها الى من خلفت وراءك لترفع معنوياتهم. ولم لا؟ الذهب موجود والجميع يردد ذلك.

لكن الامر اختلف بالنسبة الى "ذوي الاقدام الجليدية" الذين استنفد الانتظار طاقتهم على الاحتمال ولم يعد في حوزتهم سوى نصف البضائع التي حملوها معهم. فافتتحوا لتصريفها مطاعم موقتة داخل خيم ممزقة أو أكشاك من خشب

أقاموها لبيع ما يملكون من لحوم وحبوب وشاي. ومع نفاد بضاعتهم اشتروا تذاكر سفر واجتازوا للمرة الاخيرة الشواطىء الملأى بالركام المبعثر متجهين الى عرض البحر ليلقوا باجسادهم التعبة في القوارب المنتظرة لتعيدهم من حيث اتوا.

وفيما هم راجعون كان مئات الوافدين الجدد يشقون طريقهم بإصرار وعناد للانضمام الى السلسلة اللامتناهية من الرجال والنساء الجادين نحو الشمال عبر رمال مبتلة بالمياه ووحول دبقة صفراء وأحراج كثيفة ليحطوا رحالهم في أودية تجري فيها أنهار وجداول.

خيول نافقة

للوهلة الاولى بدت الطريق الجبلية بين سكاغواي وممر وايت سهلة وممتعة. انها مجرد طريق للعربات تلتف صعوداً بين أشجار الصنوبر، يقطعها المرء بيسر ومتعة على صهوة جواد يحمله الى أرض الاحلام. لكن الأهوال ما كانت لتبدأ قبل الوصول الى "تلّة الشيطان." هنا لم تعد الطريق طريقاً بالمعنى الصحيح، بل درب لولبي ضيق يمتد ٧٥ كيلومتراً عبر سلسلة رهيبة من الحواجز الجبلية. وأي زلّة قدم معناها الهلاك المحتّم. وعلى جنبات الجبال تسابقت أنهر الوحل. وكانت الطريق تمزق الاقدام بصخورها الحادة كالنصال. وظهرت فيها حفر قادرة على ابتلاع حصان. وكان على الآتين ان يقطعوا حقولا واسعة تغطيها جلاميد أدمت أقدامهم.

عبر المستنقعات والوحول والاودية ومجاري الانهار والمنحدرات والقمم، تقدّم ذلك القطار البشري الغريب من دون انتظام تحت سماء غائمة تمطر رذاذاً. انها كتلة متشابكة من البشر والبهائم غرزت اطرافها في الوحل حتى الكواحل. وكانت شتائم الرجال وأنّاتهم تسمع وهم يسوقون قطعانهم.

التصق الناس بجدران المنحدرات التي غطتها الجلاميد. ومن تجرأ منهم ونظر الى أسفل رأى منظراً اقشعر له بدنه: مئات الجيف المهترئة لأحصنة نافقة غطّت الحصى في قعر النهر. وكان قد نفق ثلاثة آلاف حصان في ممّر وايت ذلك الشتاء.

بعض البهائم قضت بوحشية. فبسبب سوء توزيع الحمولة على ظهورها اختل توازنها وهوت من أعلى الجرف الى المياه. وبعضها قضت من الحمى الناجمة عن جروح مقرّحة في حوافرها، وبعضها سقطت ارهاقاً بعدما ظلت منتصبة وحمولتها على ظهورها ٢٠ ساعة متواصلة في انتظار تحرّك الركب. وقليلة هي البهائم التي أطلق عليها اصحابها رصاصات الرحمة تخليصاً لها من عذابها. فالرحمة لم تعد تعرف طريقاً الى قلوب اولئك الرجال الكادحين في اتجاه ممر وايت. "فقلوبهم تحوّلت حجاراً صماء، وتحولوا هم حيوانات ضارية،" هذا ما قاله فيهم جاك لندن وكان شاهداً حيّاً على ما جرى ذلك الخريف في تلك الاصقاع.

مع حلول شهر سبتمبر (أيلول) أصبح واضحاً للجميع أن بلوغ كلونديايك قبل الربيع أمر متعذر. فانكفأ الالوف الى سكاغواي.

وفي سكاغواي اكتشفوا أن الطيور أتت على كل ذرة من الطعام، وأن كل انسان لم يحمل معه طناً من المؤن سيقضي جوعاً وبرداً في بقاع مقفرة خلت من محلات السمانة ومن الحرفيين ووسائل النقل. ووجد رجال المدن أنفسهم عالقين في رحلة مكوكية بطيئة، بعدما ظنوا ان الرحلة الى كلونديك كانت خطاً مستقيماً الى الثروة. فقطعوا المستنقعات والانهار باندفاع وحماسة من أجل بلوغها. ولأن قلّة منهم استطاعت أن تحمل اكثر من ٣٠ كيلوغراماً كل مرّة، فقد تحتم على معظمهم أن ينقلوا أمتعتهم على مراحل.

عيون غائرة

تحت وطء ألوف الاقدام تحوّل الثلج الذي ما فتىء يتساقط، جلاميد بيضاء صلبة أضفت شكلا خاصاً على الطريق الجبليّة التي راحت تعلو كبناء من اسمنت. وزاد ارتفاعها على ثلاثة أمتار في بعض الاماكن. وعلى الذرى والقمم في تلك الطريق الجبلية البيضاء انتظم الناس في صفوف متراصة لم تظهر فيها ثغرة واحدة طوال خمس ساعات، وكأنهم سجناء موثقون بسلسلة. وكانت أقدامهم تارة تزل وتارة تنزلق. وراحوا يتقدمون بظهور منحنية ووجوه مزرقة من فرط العناء، وكأن ذلك السلك الهائل الملتف صعوداً الى القمة أذاب شخصياتهم. وتابعوا زحفهم مترنحين يجرّون مزالجهم لاهثين ويحملون أثقالهم متأففين ويسوقون قطعانهم شاتمين. واختلطت الاصوات المكتومة التي حملتها الريح بالأنين المتصاعد من الجموع.

وفي مقابل كل شخص بلغ القمّة واحد عاد أدراجه. بعضهم ارتمى على الارض مرهقاً قبل أن يستسلم، أو فتك به المرض من جراء أكل اللحم الفاسد في المقاهي المنتشرة على جنبات الطريق، أو قضى بالحمى الوافدة أو بذات الرئة أو بالتهاب السحايا، أو نفد طعامه فتعذر عليه أن يتابع، وبعضهم ردّته خيّالة الشرطة في الشمال الغربي التي نيطت بها حراسة الحدود بين آلاسكا وكندا، وذلك لعدم مقدرته على إعالة نفسه.

كثيرون أبوا الهزيمة وصمدوا في وجه التحديات حتى ان واحداً استخدم قطيعاً من الايائل لنقل مؤنه.

ونجح رجل وامرأته في نقل زورقين الى القمة بعد تفكيكهما اجزاء. واستطاع أحد المصورين أن يجني قوته متنقلا في عربة جليد تجرها معزى طويلة الشعر، وهو راح يلتقط صوراً لرجال غارت عيونهم واشتد هزالهم ولحيوانات نافقة. وأحدثت هذه الصور ضجة صحافية عندما عُرضت لاحقاً في أحد المراكز التجارية الكبرى في برودواي بنيويورك.

وبين الزاحفين من واجه الصعاب بتحد وثقة معتبراً تجربة كلونديك مغامرة جديرة بأن يتذوقها المرء. ومن هؤلاء فريق الاسكوتلنديين الذين وفدوا ذلك الشتاء بفرائهم وقلنسواتهم الصوفية، يتقدمهم نافخ بوق راح يعزف أنغاماً رددّت أصداءها القمم والمنحدرات وصولا الى شواطىء بحيرة بينيت حيث كان بناة السفن يستعدون للانطلاق في المرحلة الاخيرة من تلك الرحلة الشاقّة الى حقول الذهب.

كان هناك خياران امام الجموع الزاحفة التي وجدت نفسها متروكة على الشواطىء عند مدخل قناة لين. فإما أن تسلك طريق سكاغواي الجبلية بانهارها الموحلة ورائحة الجيف المنتنة، واما أن تبدأ الرحلة في محاذاة نهر ديا الملتف صعوداً الى مرتفعات تشيلكوت الشاهقة.

مستشفى للمجانين!

كان مظهر الطريق الجبليّة خادعاً شتاء ١٨٩٧ - ١٨٩٨. فممر تشيلكوت، خصوصاً المرتقى الاخير فيه الذي يزيد ارتفاعه ٣٠٠ متر على ارتفاع ممر وايت، استعصى تسلّقه على جميع البهائم المحمّلة. فهو في الخريف كتلة من الجلاميد الزلقة وفي الشتاء منحدر رهيب من الجليد الصرف. ومع ذلك وعلى رغم الانهيالات الثلجية الهادرة والعواصف المزمجرة، ثبت بالبرهان أنه كان المنفذ الأفعل الى حقول الذهب. ولقد نجح نحو ٢٢ ألف شخص من الذين تصدّوا له في العبور الى الجهة المقابلة مع أطنان المؤن التي حملوها في عرباتهم وكراجاتهم.

السيول البشرية المتدفقة من ديا ملأت السهول والغابات المحيطة بنهر دلتا حيث نعم الآتون بهدوء موقت بعد صخب المدينة والفوضى التي عمّتها. فعلى جانبي الطريق الجبليّة انتشرت أشجار الحور والبتولا والصفصاف مضفية على النفوس سكينة وراحة.

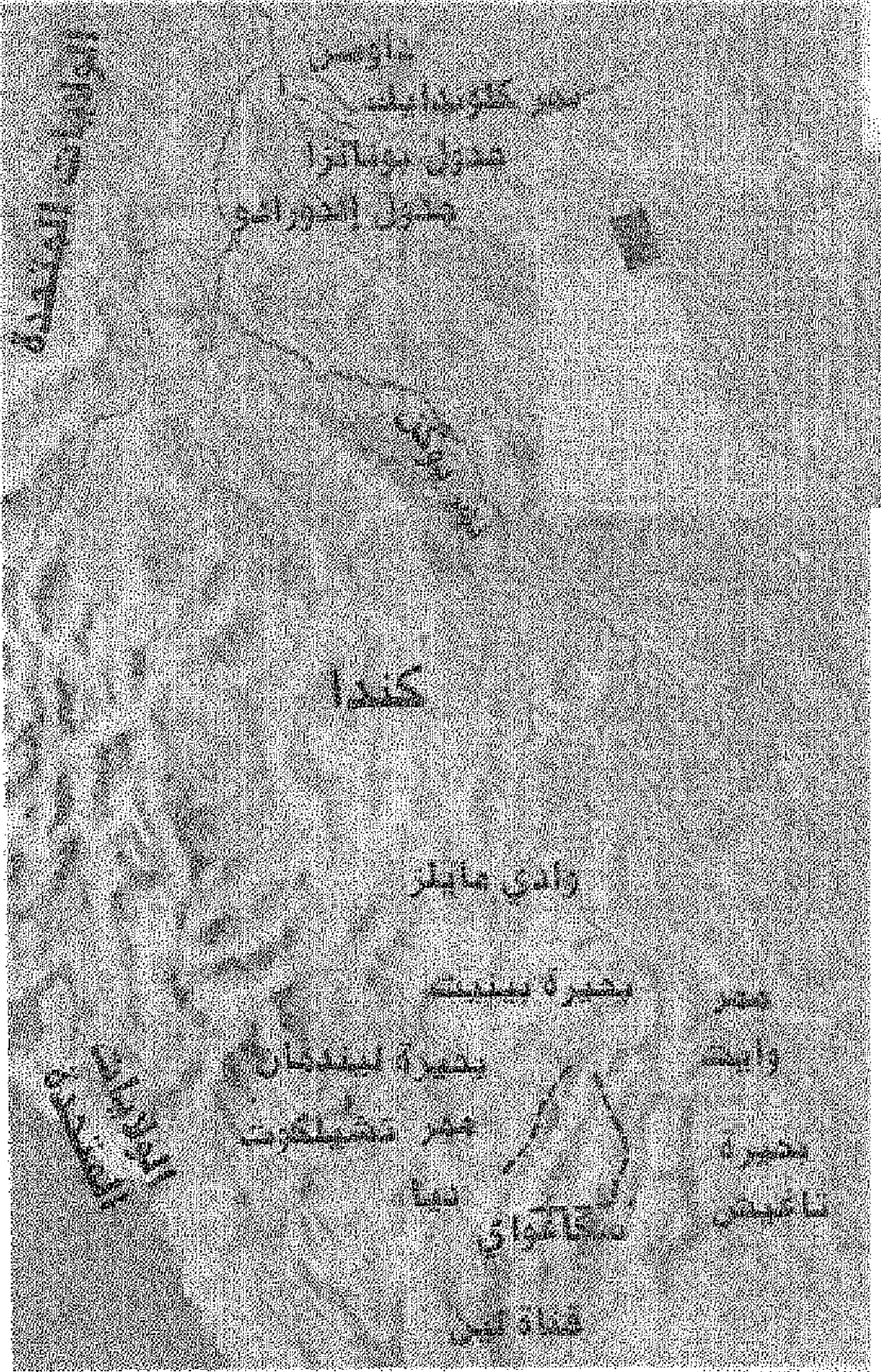
لكن الجميع ما لبثوا أن أدركوا أن واقع طريق ديا لم يكن مثل ظاهرها. فعلى جانبيها تكدّست عشرات الصناديق، فالصندوق غير عملي كمحمل لامتعة السفر. وبعضها كان مليئاً بالحلى الرخيصة والتذكارات وأدوات الزينة والصور المؤطرة التي لم تعد لها قيمة في نظر مَنْ أخذ عقله بغنائم أنفس.

ومع اشتداد الانحدار انحشر النهر في واد كئيب شعر كل من وطئه بقوة الجاذبية. وسدّت الطريق سلسلة من الجبال الساحلية المنحوتة في الصخر. وبان مخيّم "شيب" في قعر الوادي عند الحدّ الذي لم يكن لينمو بعده شجر.

هنا في حوض عميق كأنه أحدث بواسطة مغرفة، شاهد الوافدون منظراً لم ينسوه طوال حياتهم: أمامهم حشد من الخيم والاكواخ المبنية على عجل، ووراءهم صف طويل من المتسلقين بدا فوق المنحدرات البيضاء كشريط مدلّى من ثلم في القمة.

عندئذ أدرك كل واحد فيهم حجم الجهد المطلوب وأبعاده. صحيح أن سبعة كيلومترات مستقيمة فقط كانت تفصلهم عن القمّة، لكن هذه الكيلومترات ارتفعت ١٠٠٠ متر فوق بلدة ديا. ولن يمضي وقت طويل قبل أن يتحوّل هو أيضاً لطخة على جدار الجليد ذاك.

أما مخيّم شيب فلم يعرف الهدوء، وكان يتمدّد ويتقلص مع ذلك المدّ البشري الذي تألف من رجال يتصببون عرقاً وكلاب تنبح وخيول تخلى عنها أصحابها. هرج ومرج في كل مكان كأن الجميع في مستشفى للمجانين. وهنا أيضاً تحوّلت حاجات الناس الاساسية كماليات. واضطر الرجال الذين نهكهم التعب الى دفع أجرة يومي عمل لتناول



وجبة طعام هزيلة، وثروة صغيرة لقضاء ليلة على الأرض في واحد من ١٥ فندقاً لم يكن بينها مستحق لهذه التسمية. وكان في وسع أي شخص أن يبتاع ما شاء من سكاكر وجوز وبندق وحطب وأدوات مطبخ ما دام قادراً على الدفع.

وسرعان ما اتضح لكل من انطلق من مخيّم شيب أنه لم يكن أمامه سوى مكان من اثنين ينال فيه قسطاً من الراحة، الأول تحت جلمود ضخم عُرف باسم "البيت الحجري" والثاني رفّ صخري مسطّح عُرف باسم "الميزان" يقع في قعر مرتقى شديد الانحدار. هنا كان عمال النقل يزنون حمولتهم مرّة ثانية ويزيدون التعريفة الى دولارين لكل كيلوغرام.

وإذ شعر أحد الوافدين الجدد بعجزه عن المتابعة بسبب الارهاق الشديد فانه كان يواجه بفاتورة تبلغ قيمتها ٢٠٠٠ دولار. فإما الدفع واما العودة. أما البهائم فعجزت عن عبور موقع الميزان وهي محمّلة، وعدد قليل من الاحصنة نجح في تسلّق ذلك المرتقى ولكن من دون حمولة. وتعيّن على الرجال أن ينقلوا كل شيء على ظهورهم بما في ذلك الكلاب والمزالج. وفيما الثلج يتساقط من دون توقف ظهرت فوق الميزان جبال من المؤن نقلها أصحابها على دفعات في رحلات مكوكية.

الموت ولا السرقة

جدّ الرجال في تسلق "السلّم الذهبية" التي تألفت من ١٥٠٠ درجة من الجليد الصرف، وليس لديهم سوى حبل مغلّف بطبقة من الجليد يتمسكون به. وكانوا في فرائهم وثيابهم الصوفية التي التقطت لهم الصور وهم يرتدونها تارة يتصببون عرقاً وأخرى يتجلدون من شدّة البرد. وتقدموا بأجسادهم المطويّة بفعل الجاذبية وبطونهم شبه الخاوية التي لم تعرف سوى الفاصولياء الباردة والكعك المبلل والقهوة الرديئة. مضوا وهم يستجمعون قواهم الخائرة التي استنزفتها الديزنطاريا والتقلصات

المعوية. ولم يعادل خوفهم من الرياح المزمجرة سوى خوفهم من الانهيالات الثلجية المدمرة.

كانوا على استعداد لتحمّل التأخير الطويل بسبب العواصف الثلجية والحوادث الطارئة، لكنهم ما ان بلغوا القمّة ورياحها العاصفة وألقوا بامتعتهم بين أهرام الامتعة المغمورة بالثلج التي حملها من سبقهم، حتى اكتشفوا الحقيقة المرّة. تلك كانت الخطوة الاولى، وعليهم أن يعودوا ادراجهم غير مرة ليتأكدوا من أن كل أمتعتهم من لحم وشاي وعدّة وخيمة وفرن ومزلجة مرّت على مركز للشرطة الخيالة على الحدود الدولية. ففي الجهة المقابلة حيث كانت البحيرات تنتظر انقضاض المنقبين عن الذهب، لم تكن هناك مخازن لبيع الادوات المعدنية والخردة ممّا فرض على كل متسلق أن يحمل معه عدّته الكاملة لبناء قارب: سكّين ومشحذ وبلطة ومنشار سوطي ومسحاج وفأرة نجار ومسامير، الى لفائف الحبال ودلاء القار. وأهم من ذلك كلّه المقلاة لفصل الذهب عن التراب. فكيف يخوض المرء في الكلونددايك ويعود ليحرر ثروته من الشوائب من دون مقلاته الخاصة؟

تكدّست المؤن والذخائر على القمة وبدت كبنايات تفصلها ممرات ضيّقة. وظهرت غابة من الرفوش ذات الاذرع الطويلة رسم بها أصحابها حدوداً في الثلج تفصل أمتعتهم عن أمتعة سواهم. لكن الوقت لم يطل قبل أن يغطي الثلج هذه العلامات ويدفنها مع كل شيء آخر، من بيانوهات وبراميل شراب وأدوات خشبية وأوان زجاجية وأقفاص وحرير فاخر وبراميل تحوي ديوكاً رومية محشوة وحتى محراث يزن ٥٠ كيلوغراماً حمله مزارع من آيوا.

هنا أدرك البعض مرّة أخرى أن الذهب الحقيقي كان أقرب الى متناولهم من الكلونددايك، وهم استغلوا مبدأ العرض والطلب ليجنوا ثروات طائلة. فتلك الكماليات، مثل أكياس الصحف القديمة وحجار الشحذ و١٠ آلاف زجاجة من مستحضر لطرد البعوض، تحول أصحابها لاحقاً مقاولين وتجاراً وملأوا بها الطرق والسلالم، وسرعان ما أصبحت قيمتها تساوي ثقلها ذهباً. ونجحت احدى النساء في جمع مبلغ من المال غطّت به مصاريف رحلتها، من طريق اقامة حفلات عزف على آلة البانجو، وراحت أخرى تبيع الشراب في "حانة" متنقلة وجعلت سعره يرتفع مع اشتداد الانحدار. على أنه لم يكن للكلفة أي اعتبار في نظر الذين توقعوا ان يغرفوا الثروة من حقول الذهب.

وعلى طول طريق تشيلكوت قبع "الواثقون" في انتظار السذّج واضرموا النار لتدفئتهم وبنوا المزالج لتخفيف ثقل احمالهم وأقاموا الخيم لتقيهم العواصف. وأمعنوا في التمويه والتظاهر فحملوا مزالج مزيّفة واكياساً مملوءة بالريش واقفاصاً جوفاء ظهرت منها أذرع المعاول. ونجحوا في الظهور بمظهر الصالح الذي يمدّ يد المساعدة الى اخوانه المحتاجين. وظلّت تلك الحقيقة محجوبة عن أعين الساعين الى الثروة الذين خرجوا بخسارة بعد كل لقاء.

ولكن ما من مشعوذ أو دجّال استطاع

نقلون المؤن في ممر تشيلكوت.



في الطريق الجبلية من سكاغواي
الى ممر وايت، كومة من
الصخور الهاوية والاشراك القاتلة.



نساء في داوسن.



صورة أخذت عشية الانطلاق وفي خلفيتها منظر ثلجي زائف.

ان يكبح اندفاعهم لمدّة طويلة. فتابعوا طريقهم بكدّ وتصميم وأعادوا الكرة ثانية وثالثة. ومع اشتداد الانحدار راحوا يتسلقون ركوعاً.

وما كانت الصعوبات إلا لتشحذ خيالهم والمآسي الفردية إلا لتحجّر قلوبهم. وانهار أحدهم من شدّة الارهاق وبسبب كسر في ساقه، فارتمى على حافة الطريق أياماً من دون ان يأبه له أحد، الى أن نقله أحد الحمالين في مقابل اجر.

لم تكن المصائب أو الامراض أو الموت او حتى جرائم القتل لتهزّهم. السرقة فقط كانت في نظرهم جريمة شائنة. وكل واحد سُرقت منه عدّته فقد حظّه في الثروة، إذ كان رجال الخيّالة على الحدود يجبرونه على العودة. لذلك كان الشخص الذي يضبط وهو يسرق يربط الى عمود ويجلد أمام الجميع. وتجنباً لمواجهة ذلك العذاب المهين فضّل احد اللصوص أن يطلق النار على نفسه.

نهاية الحلم

بلغ ارتفاع الثلج على القمّة ٢٠ متراً وأصبح الممر خندقاً عرضه ١٠٠ متر تعصف داخله الريح، وبدا الرجال يتحركون فيه كأشباح ضبابية. وكان عليهم أن ينتظروا شمس الربيع لتذيب القشرة التي غلفته كالمعطف قبل أن يحزموا أمتعتهم وينطلقوا نحو البرك الداخلية في الجهة المقابلة من الجبل والتي انبعثت منها أصوات المطارق والمناشير وكأن أسطولا ضخماً قيد البناء.

استمر تدفق النهر البشري من الجبال الساحلية حتى ضجّت البرك التي تغذي نهر يوكن بالحركة والنشاط. وفي ربيع ١٨٩٨ نصب اكثر من ٣٠ ألف شخص خيامهم في محاذاة شواطئ لندمان وبينيت وتاغيش. وهناك، بطريقة بدائية منزلية وباستخدام الخشب الغضّ، بنوا اسطولا من المراكب الصغيرة لرحلة بحرية واحدة تحملهم ٨٠٠ كيلومتر الى سهول كلونذايك الذهبية.

يوم ٢٩ مايو (أيار) بدأ الجليد يتفسخ وظهرت فيه بعض الشقوق. ثم سمع دوي كهزيم الرعد وتفجرت البرك وتحوّلت خلال ٤٨ ساعة دروباً مائية ذات لون أخضر جليدي صاف. وعلى صفحات المياه الزجاجية انزلق ٧١٢٤ مركبا من جميع الاوصاف: زوارق خفيفة ضيّقة، صنادل، قوارب مسطحة، زوارق مفدّفة، أفلكة، رموث، مراكب شراعية ذات صار واحد، قوارب خفيفة في شكل صدفة الكوكل، وجميعها محملة أطناناً من الاطعمة والمؤن.

المتلهفون لأن يكونوا أوائل الواصلين كانوا في المقدم. وفي لمح البصر وجدوا أنفسهم داخل ممر وادي مايلز المظلم، وهو شق في جدار من البازلت(٢) تتوسطه دوامة ووراءها مجموعة شلالات صاخبة لا ترحم، تسببت في تحطم مئة وخمسين قارباً وفقد خمسة رجال. ومع وصول الاسطول الى ذلك المخنق توقف الزحف.

حرص الخيالة حتى ذلك التاريخ على التردد على الزاحفين وتأمين بحارة مدربين لكي يرشدوهم.

وسرعان ما انفرط عقد الاسطول الصغير وتفرقت القوارب في كل اتجاه

(٢) البازلت حجر بركاني قاس قاتم اللون.

وظهرت كالبقع على صفحة النهر. وكانت أشعة الشمس الحارقة تلذع وجوه الرجال ٢٤ ساعة يومياً فيما دفعتهم جحافل البعوض والذباب الى حافة الجنون. واستحال النوم على الذين أهملوا احضار ناموسية، ولم تلبث حال التوتر التي همدت عند بلوغهم البرك أن عادت تستعر. والرفقاء الذين تمكنوا من تجاوز خلافاتهم في الماضي تحولوا أعداء في مواجهة بعضهم بعضاً. وكتب أحدهم: "كان الأخ في حرب مع أخيه والأب في حرب مع ابنه. وانتفت روح التسامح والصفح بين الزاحفين على تلك الدروب." وفي جزيرة سبليت أپ بلغ بهم الامر اقتسام المقالي والقوارب بعد شقها أنصافاً كي لا يتنازل أحد للآخر. وهم برروا سلوكهم بالقول ان داوسن لم تعد تبعد سوى بضع ساعات وان حقول الذهب أصبحت في متناولهم وانهم في أي حال لم يكونوا في حاجة الى شركاء.

خلال الساعات القليلة الاخيرة تابع الرجال رحلتهم من دون توقف. وكانوا كلما تقدموا ازدادت أعصابهم توتراً. وها هي غايتهم أخيراً أمامهم: منبسط من الأرض انتشرت عليه الخيام والاكواخ الخشبية والمخازن التجارية من دون نظام أو اتساق وعلى امتداد ثلاثة كيلومترات في محاذاة ضفة النهر وصولا الى المستنقعات والتلال المحيطة. ومع اقتراب الزوارق الى الشاطىء لا بد من أن كل رجل قرص جسمه ليتأكد من انه في علم وليس في حلم. والمشهد أمامه، هل كان حقيقياً؟ ومنظر السديم المتبخر من المستنقعات كما بدا تحت ضوء شمس يونيو (حزيران) أضفى على المكان طابعاً غريباً. تلك كانت داوسن، مدينة الذهب، نهاية الحلم.

انحسار الحمى

وصل الاسطول الصغير الى مصب نهر كلونديك في ٨ يونيو (حزيران) ١٨٩٨. ومنذ وصوله ظلت الزوارق تتدفق الى داوسن ليلا ونهاراً لمدة شهر كامل حتى لم يبق على الشاطىء متسع، مما اضطر الذين وصلوا لاحقاً الى ربط زوارقهم بزوارق سواهم مشكلين صفاً بلغ عرضه ستة زوارق وامتد على طول الواجهة المائية.

ومع تدفق الرجال بالألوف حاملين خيامهم البالية المتسخة، أخذت المدينة تتمدد صوب التلال وفي اتجاه النهرين حتى بدت كزهرة كبيرة بيضاء. وفي شارع فرونت المحاذي للنهر اختلطت الواح الخشب بالمنازل غير المنجزة وجذوع الشجر والسلالم في بحر من الوحل. وكان على الرجال والجياد اما أن يشقوا طريقهم عبر جداول من الاقذار والوحول واما ان يترجحوا على ألواح خشبية غير ثابتة ونصف مغمورة بالوحل الدبق تترنح تحت اقدامهم. واكتظ الممشى الخشبي الرئيسي بالعابرين ولم يبق فيه متسع يتحرك فيه انسان.

الوافدون الجدد لم يتمالكوا أعصابهم ونزلوا من المراكب مهرولين كأن بهم مساً من الكهرباء. لكن امراً غريباً حصل لهم وقت وطئت أقدامهم الارض. فجميع الشواهد والبيّنات أنبأتهم بأنهم سيندفعون الى جداول الذهب. والحقيقة

أن الالوف منهم لم يفعلوا ذلك، بل جمدوا في أمكنتهم يحدقون الى نشارة الخشب التي غطت شارع فرونت والى الجدول والوحل. وسمعوا مرة أخرى صرير المناشير وقرع المطارق، ورفعوا أبصارهم الى التلال التي بيّضتها الخيام المصطفقة في الريح. ورأوا الناس الذين سبقوهم يروحون ويجيئون كالنيام وقد أصبحوا جزءاً من جمع بشري لا هدف له، قال فيه أحد الكتّاب المعاصرين انه "جمع غريب، مبهور، فاتر الهمة، يجر الناس فيه أقدامهم المتلكئة."

وبين كل الشعوذات التي ابدعتها ظاهرة الكلونودايك، تلك كانت الأغرب. فهؤلاء الناس حفروا طريقهم "بأظفارهم" وتحدوا أفظع الأخطار وصرفوا على الطريق نحو سنة من عمرهم وتغلبوا على جميع العقبات التي اعترضتهم لكي يصلوا الى هدفهم. وها هم الآن هنا. ماذا كان هدفهم؟ لم يتكبّد احد منهم عناء زيارة واحدة لتلك الجداول الاسطورية أو حتى عناء تقديم طلب رسمي يعطيه حق التنقيب. ومنْ فعل ذلك فانما من باب "رفع العتب" ومن دون مبالاة ولا حماسة. وهم عرفوا في أعماقهم أن الأرض الحقيقية أخذت منذ زمن. ومنهم مَنْ لم يكلّف نفسه عناء ضرب معول واحد في الارض التي أصبحت ملكاً له. أما الذين تشبثوا بايمانهم بأن كتل الذهب مطروحة على الارض في انتظار من يغرفها، فقد خاب أملهم أخيراً بعدما أدركوا أن الذهب مدفون في أسفل الوادي على عمق لا يقل عن عشرة امتار وأن غيرهم سبقهم اليه.

على أن الخيبة لم تكن الميزة الرئيسية للجموع التي احتشدت في شارع فرونت ذلك الصيف. فبعد التوتر الذي ساد الرحلة، انقطع شيء ما فجأة. فهؤلاء الرجال كانوا مدفوعين بهدف واحد: الوصول الى أرض الذهب. وهم وصلوا اليها الآن وانتهى الامر ولم تعد أمامهم حواجز يتحدونها واصبحوا "مستنفدين" على حد التعبير الذي ساد العصر.

ذاك كان السبب في انحسار حمى الذهب. والرجال الذين أمضوا اشهراً يتحدثون عن الذهب كانوا في الحقيقة ينشدون المغامرة، وذلك ما حققوه بالفعل. والنجاح لم يكن ليقاس بأكياس الذهب، بل بالشعور بالرضا بالنجاح في الوصول الى تلك الارض. وهم حققوا ما قصّر عنه سواهم. وهم كتبة وباعة وعمال ورجال لم يحملوا رزمة واحدة طوال حياتهم أو يتسلقوا جبلا او يبنوا قارباً أو يعبروا نهراً جارفاً. لقد قهروا القفار. والآن، مثل قدامى المحاربين، في وسعهم أن يشاركوا في العرض.

راحوا، بوجوه مغبرة ولحى شعثاء ودثائر خبا لونها وسراويل مرقعة وجزمات عالية، يذرعون شارع فرونت جيئة وذهاباً، يسيرون بظهور منحنية وهم يجرون أقدامهم.

أما صيادو الثروة الحقيقيون فكانوا أبعد نظراً. ولم يكن همهم اكتشاف منجم للذهب بل العثور على شخص يملك واحداً. وفي موسم الشتاء السابق كانت داوسن تعج بأصحاب الملايين من الوافدين الأول الذين حظيوا بالارض الغنية بالتبر. على

أن ثرواتهم لم تكن لتشتري لهم شيئاً. أما الآن فإن قانون العرض والطلب أتاح للذين لم يكلفوا أنفسهم عناء التنقيب ان يحققوا أرباحاً جيدة. ووجد أحد الرجال سوقاً لحمولة قارب من القطط تحمَّل من اجلها تهكمات رفاقه ونكاتهم، فاشتراها منه عشرات من اصحاب المناجم الذين تاقوا الى رفقة بعد طول حرمان. وهم دفعوا له أونصة(٣) من الذهب في كل قطة. وباع آخر حليباً معلباً بدولار لكل علبة. ونجح ثالث في جمع ٥٠٠٠ دولار بصنع قبعات وأثواب نسائية.

مدينة متغيرة

بدأت معالم الحشود المختلطة تتضح فوق المرتفع الرملي في محاذاة الواجهة المائية حيث راح الرجال يحاولون تصريف البضائع التي حملوها. وهناك بات في وسع المرء ان يبتاع ما يستهويه من المعروضات، كعقد من اللؤلؤ أو خفّ من الساتان أو ناب فيل أو فستق أو ليموناضة.

ولأن الجميع حرصوا على احضار ميازين لتثمين ثرواتهم فقد كانت ميازين الذهب سلعة كاسدة في تلك السوق. كذلك الطحين الذي أحضر كل قادم منه ما لا يقل عن ٢٠٠ كيلوغرام. إلا أن قلة اهتمت لنقل مكنسة، فأصبح سعر الواحدة ١٧ دولاراً. والمسامير كانت نادرة مما رفع سعرها فبيع نصف الكيلوغرام منها بثمانية دولارات، خصوصاً أن حركة البناء في داوسن كانت في ازدهار. وبيعت قطعة الأرض في الشارع الرئيسي بعشرين ألف دولار. وبلغ اقل ايجار شهري لغرفة في المدينة ١٠٠ دولار أي مئة مرة أكثر من ايجار غرفة أفضل في أي مكان آخر.

ومع بداية الصيف عج النهر بالسفن التجارية بمداخنها الصفراء التي تنفث دخاناً ابيض وعجلات التفديف التي لا تكف عن الدوران، والبيارق المرفرفة فوق الصواري. واكتظت المراكب بالبشر من كل لون: رجال اعمال ومقامرين ومنقبين ساعين الى الذهب وحتى سيّاح. ومع نهاية شهر أغسطس (آب) كانت ٥٦ باخرة مغذّفة و٨ زوارق قطر و٢٠ مركباً ضخماً أفرغت ٦٧٠٠ طن من البضائع على الأرصفة التي بُنيت حديثاً وغدت المطاعم تقدم ألوانها من الطعام الفاخر: المحار اللذيذ والكركند مع صلصة "نيوبرغ" ولحم الموظ المشوي.

على أن هذا العزّ وذلك الترف اقتصرا على "ملوك الدورادو" وهو الاسم الذي عُرف به حديثو النعمة آنذاك. أما الفرد العادي الذي افترش الارصفة في شارع فرونت، فلم يحظ بأكثر من التحديق ببله وانشداه الى المشاهير العابرين امامه مثل تشارلي اندرسون الذي عُرف باسم "الاسوجي المحظوظ" لانه نال مليون دولار بصك تمليك خُدع به ولم تكن له قيمة سابقة، وبيل غيتس المعروف باسم "الهلّال" أحد أصحاب صالة "مونتي كارلو" للتسلية.

وما ان بلغ الصيف منتصفه حتى أصبحت داوسن اكبر مدينة كندية غرب

---

(٣) الاونصة وحدة وزن للحجار والمعادن الكريمة وتساوي ٣١،١٠٣٤٧٦٨ غراماً. وفي ما عدا ذلك فهي تساوي ٢٨،٣٤٩٥٢٣١٢٥ غراماً.

وينيبيغ، وكأنها نمت فجأة كنبتة فطر. وكان عدد سكانها يزيد أو ينقص مع كل سفينة آتية او مغادرة ومع تحركات الرجال الى التلال المحيطة ومنها. وفي إحدى الرحلات التي انطلقت من البرك، عبرَ نقطة التفتيش في تاغيش ٢٨ الف شخص فيما وصل ٥٠٠٠ غيرهم في مراكب نقلتهم من آلاسكا من طريق النهر. وبعدد سكان جاوز الثلاثين ألفاً، حق لداوسن ان تتباهى بمصرفين وصحيفتين يوميتين وخطوط هاتفية ودار للسينما.

موجة صقيع

انتقلت الفوضى التي عمت طريق الرحلة الى شوارع المدينة التي كان شكلها يتغير كل يوم، لا بل كل ساعة. لا خرائط ولا عناوين ثابتة، فالرجال والخيام والاكواخ في حركة دائمة وتغيّر مستمر. وفي ذلك المزيج من الاخشاب وقماش القنب راح الرجال يسيرون في دوائر يفتشون بخجل وارتباك عن شركاء الماضي ليصلحوا ما بينهم من خصام. ولم يكن الحظ حليفهم في غالب الاحيان، فالذي ينتقل من مكانه كان عادة يفقد الصلة بمعارفه وأصدقائه. وبدأ الناس يعلّقون رسائل وإعلانات على لوحة النشرات في "شركة آلاسكا التجارية" يعلنون فيها تقديم مكافآت الى من يرشدهم الى أصدقائهم القدماء. ولم يخلُ شارع فرونت أبداً من أناس يبحثون عن آخرين أو من أشخاص التقوا بعد طول فراق فجلسوا على الرصيف وغرقوا في الحديث.

في شهر أغسطس (آب) عرف شارع فرونت عزاً كبيراً، وغصّ بالاعلام واللافتات التي كتب عليها بأحرف عريضة "ذهب! ذهب! نشتري ونبيع ذهباً!" والسعر الرائج للذهب كان ١٦ دولاراً للأونصة.

مرة اخرى اختلفت حقائق الامور عن ظواهرها. فنادراً ما كان الذهب صافياً، بل كان مشوباً بالنحاس والحديد والرمل، وقاعات الرقص التي صدحت منها الموسيقى وأنغام البيانو لم تكن سوى زرائب مكشوفة جُملت بواجهات زائفة. والشقيقتان أوتلي اللتان قدمتا عرضاً غنائياً على مسرح غير منجز كانتا في الواقع أما وابنتها.

لم يكن ذلك مهماً. فعندما غنت المرأتان باصوات رنانة كالجرس، وأنشدتا الأغاني العاطفية الرائجة، خيّم على الحشود المجتمعة صمت عميق. فالزاحفون الى حقول الذهب كانوا بعيدين جداً عن موطنهم، وأحدث رسائل تسلموها كتبت قبل أشهر. لقد حملتهم الاغاني الى البعيد.

في اواخر شهر اغسطس (آب) ضربت موجة صقيع المدينة وذبلت أشجار البتولا والحور في اعالي التلال. وواجه الجميع القرار الحاسم. اكثر من ثلث الذين تدفقوا الى داوسن في شهري يونيو (حزيران) ويوليو (تموز) ابتاعوا تذاكر سفر على متن احدى البواخر وغادروا المدينة الى الأبد. أما الباقون فكانوا من الذين لم يستهلكوا كل مؤنهم، وهم شرعوا للحال في بناء اكواخ استعداداً للشتاء. وأخذ بعضهم يقوم بأعمال موقتة

لن يجازف أحد ويخبركم عن أحلامه بعد اليوم...



هل صحيح أن الأحلام ظروف مختومة لكشف أسرار الشخصية أم هي إشارات مبطنة تنبىء بالمستقبل؟ لأول مرة، وبالأسلوب العلمي:

* إكتشف الغامض في شخصيتك وشخصيات الذين من حولك.
* كتاب «أحلامك كما يفسرها علم النفس» لرمزي النجار ليس ترفيهياً وهدفه ليس المرح الخفيف: بل هو معجم موسوعي وقاموس كامل، دقيق ومبسّط، هدفه دعوة القارىء والقارئة لإتقان تحليل الحلم وإكتشاف اللاوعي لجعله كتاباً مفتوحاً.
* هذا الكتاب هو طريقكم نفتح طريق اللاوعي حسب علماء النفس أمثال "Freud" و"Yung" و"Adler" وغيرهم.
* تحليلات نفسيّة، فوريّة للأحلام في دقيقة واحدة أو أقل.
* الأحلام الفرديّة والجماعيّة كلها مفسّرة في لحظات.
* الأحلام كلّها مفهرسة مثل القاموس وهي الأكمل في أول معجم سيكولوجي موضوع باللغة العربية.
* كلنا يحلم حتى الذين ينسون أحلامهم يجدون في هذا الكتاب الطريقة المثالية ليتذكروا أحلامهم.

تفاصيل حجز نسختك كلها مفصّلة في القسيمة أدناه...
أسرع في الحصول على الكتاب الآن، وإبداء سؤال الأهل والأصدقاء: ماذ تحلمون: عادة ؟ ؟ ؟



قسيمة الشراء (إملاء بخط واضح وبالعربية أو الإنكليزية):

الإسم: ______________ العمر ______________

العنوان الكامل. ______________

إرسل بالبريد الجوّي المسجّل (المضمون) القسيمة مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بإسم رمزي النجار بقيمة ١٠ (عشر) دولارات أميركية إلى أحد العناوين التاليين:
مجلة المختار: ص.ب: 8707-11 بيروت – لبنان أو – مجلة المختار: ص.ب: 55228 المتن الشمالي – لبنان أو
بالتلكس: 44615 MOKTAR LE،
الرجاء وضع العبارة التالية على المغلّف: «أحلامك كما يفسّرها علم النفس»

في يانصيبنا

انت من يحصل على الملايين !

لا الوكلا،

اليانصيب الحكومي الألماني الجنوبي المشهور عالمياً (Süddeutsche Klassenlotterie!) هو يانصيب يمكنك حقاً الوثوق به! لماذا؟ لأن كل الأمور فيه مراقبة حكومياً: السحوبات! فرص الربح المدهشة! مجموع اموال الجوائز المدفوعة! القوانين! وأخيراً ولكن ليس آخراً — عمولة الوكلاء! فرصك للربح هي الأكبر! لماذا؟ لأنه من بين مجموع ٨٠٠,٠٠٠ بطاقة، ٣٨٨,٩٩٤ هي رابحة! تقريباً، بطاقة من كل اثنين تسحب.

مجموع اموال الجوائز:

٣٣٠,٥٣٠,٠٠٠,٠٠ مارك

الآن — الق نظرة فقط على الجوائز المتفوقة الآتية:

- ٣ × ٢ مليون مارك الماني.
- ٣ × ١,٥ مليون مارك الماني.
- ٤ × ١ مليون مارك الماني.
- ٤ × ٧٥٠,٠٠٠ مليون مارك الماني.
- ١٠ × ٥٠٠,٠٠٠ مليون مارك الماني.
- ٢٠ × ٢٥٠,٠٠٠ مليون مارك الماني.
- ٣٢ × ١٠٠,٠٠٠ مليون مارك الماني.
- زائد ٣٨٨,٩١٨ جائزة اخرى مجموعها ٢٩٩,٨٣٠,٠٠٠,٠٠ مارك الماني.

جديد

« مجموعة الفرص الخارقة »

تتألف هذه المجموعة من اربعة او خمسة ارقام لبطاقات مختلفة. من الآن فصاعداً يمكنك الاشتراك بمجموعة خارقة من ٢ × ١/٤ و٢ × ١/٨ أو٥ × ١/٨ بطاقة.



١٨٨,٧ مليون دولار
مجموع اموال الجوائز
تقريباً
رقم من كل اثنين
هو رابح!

ضاعف فرصك!!! يتضاعف امكان الربح لديك ١٣٠ مرة!

استغل هذه الفرصة الخارقة!

الآن! اطلب بطاقتك بملء القسيمة ادناه. تصلك البطاقة خلال بضعة أيام مع كشف حساب شخصي وبرنامج السحوبات الرسمي بالاضافة الى كل القوانين والأنظمة المرعية. أرسل ثمن البطاقة ضمن طلبك او ادفع بعد تسلم كشف حسابك بواسطة شيك شخصي، أو شيك سياحي، أو تحويل مصرفي، أو نقداً بواسطة البريد الجوي المسجل (على مسؤوليتك الخاصة!) أو بواسطة بطاقة الائتمان.

أما اذا ربحت، فسوف نعلمك شخصياً. الابلاغ سري تماماً — ما عليك سوى اعلامنا بالطريقة التي تود ان تدفع بها أموالك! معفاة من الضرائب!

وكيل اليانصيب المرخص حكومياً

E. GEHLE
Rheinallee 7
D-6500 Mainz · W.-Germany

81st lottery of the "Süddeutsche Klassenlotterie" beginning May 16th, 1987!

Please fill in number of tickets you want to order:

		DM	US $*	£*
	1/1 ticket	819.00	468.00	309.10
	1/2 ticket	423.00	241.75	159.65
	1/4 ticket	225.00	128.60	84.95
	2/4 + 2/8 COMBI	621.00	354.90	234.35
	5/8 COMBI	522.00	298.30	197.00

* Prices in US Dollar and £ (sterling) are variable due to changes in the rate of exchange.

Prices cover all 6 classes and include charges for airmail postage and the official winning lists. There are no additional charges.

Handling charge for payment by credit card: DM 35.-

Return coupon to:

State-licensed lottery agent

E. GEHLE



Rheinallee 7
D-6500 Mainz
W.-Germany

Please write in German ☐ English ☐

81/34 Mr. ☐ Mrs. ☐ Please print in block letters.

First name

Surname

Street

P.O. Box

City/Postal Code

Country

Charge to my Visa ☐ MasterCard ☐ American Express ☐ Diners ☐

Expiration Date: Month ____ Year ____

Signature

Valid only where legal.

للصمود حتى الربيع. وقرر المئات غيرهم المجازفة، وانطلقوا الى الجداول والانهار والاجوان التي قيل لهم انها مغطاة بالذهب. هل حقيقة أن سنة واحدة فقط انقضت منذ سحرتهم تلك القصص والأخبار؟ الى الامام شقّوا طريقهم في محاذاة نهر كلونديايك، الى بونانزا والدورادو وهنكر ولاست تشانس (الفرصة الاخيرة) وفوق الحاجز الى سالفر ودومنيون، لا ليتقدموا بطلبات تعطيهم حق التنقيب أو التملك، بل ليكدحوا عند الذين حظوا بالثروة.

تحرير الذهب

قبل أن يكتشف جورج كارماك ورفقاؤه الهنود الذهب في خليج بونانزا يوم ١٦ اغسطس (آب) ١٨٩٦، كانت مستجمعات الامطار في وادي كلونديايك، كمئات غيرها، أحدثت حفراً وأخاديد في نجود يوكن. فنتيجة نمط من التأكل والانجراف يعود الى ملايين السنين، كانت هذه المستجمعات أودية عميقة لم يصل اليها الزحف الجليدي ليشوهها، تحوطها كالمصاطب منبسطات مرتفعة تشير الى جيشان حصل في قشرة الأرض في زمن غابر. وفي قعر الاودية كانت الانهر بمياهها البيضاء المزرقة تجري متمعجة بين الطحالب والصفصاف فوق حصى بلون الطبشور وهي تقرقر وتلمع.

ولم يكن في كلونديايك عرق ذهب. فالذهب هناك تحول كسراً وغباراً قبل زمن بعيد بفعل عمليات التأكل ذاتها التي حفرت الاخاديد في الوادي.

على أن في أعماق تلك الاودية وفي المرتفعات بين الصخور الرقاقية التي كانت في ما مضى مجاري أنهار جوفية، يقبع أغنى الحصى في العالم. ومن اجل الوصول اليه راح ألوف الرجال يمزقون الوادي ويضربون فيه معاولهم ويجردونه من كل نبات وحيوان ويعرّون المنحدرات من أشجار البتولا والحور. ثم سكبوا ملايين غالونات الماء لغسل الاتربة والرمال الحاملة الذهب.

كان في استقبال الوافدين الجدد عام ١٨٩٨ الذين غامروا بالخروج الى حقول الذهب للمرة الاولى، مشهد خارق شكل علامات فاصلة في حكاية حمّى الذهب. فالصدوع والاودية من أدناها الى أقصاها كانت تضج بالحركة والنشاط.

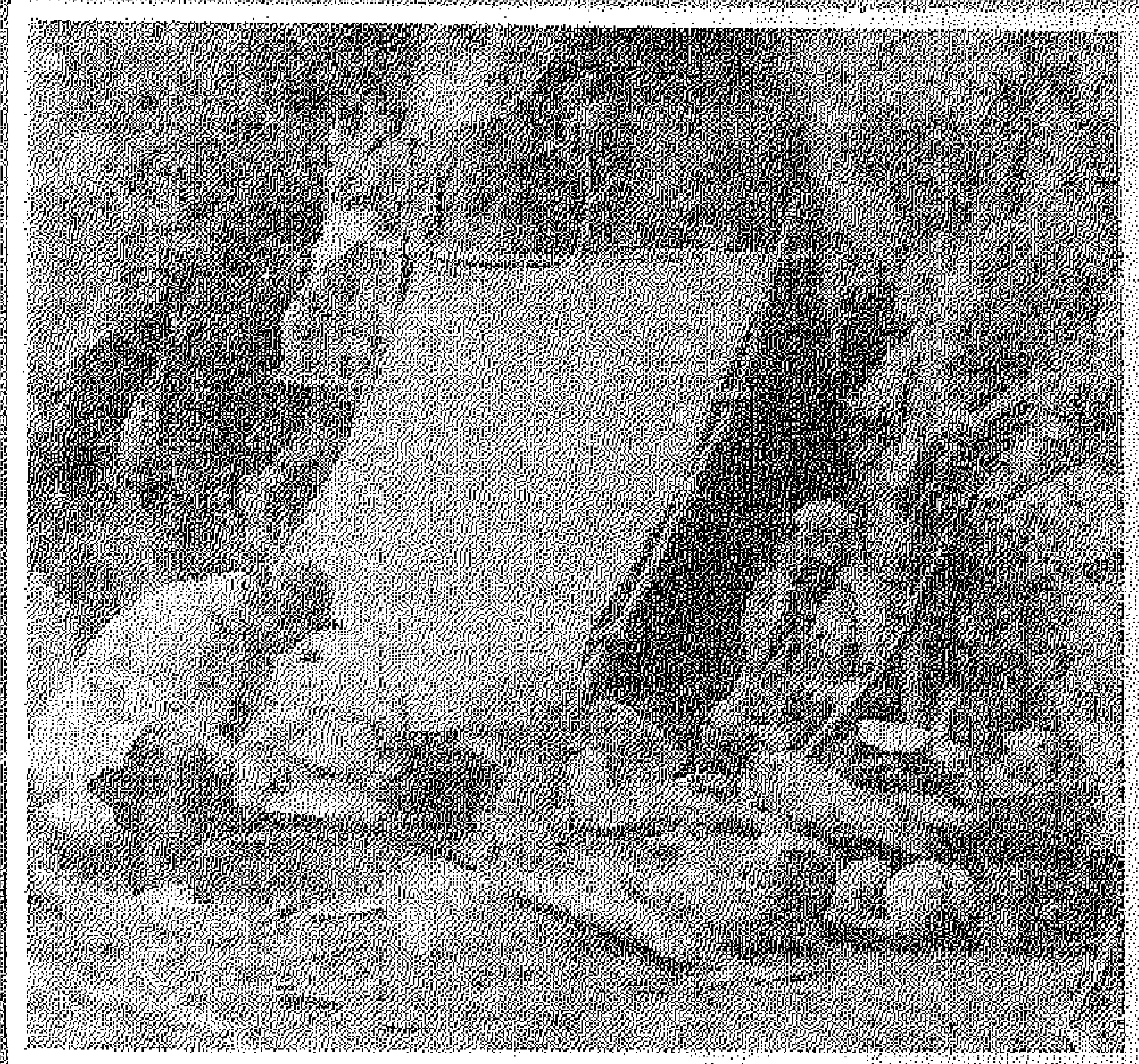
والأرض التي كانت خضراء ذات يوم، تحولت صحراء من الوحل الاسود اللماع. جبال من الحصى المستخرج من الحفريات لطخت المنحدرات البيضاء. قنوات اصطناعية اخترقت صفوف الاكواخ الخشبية المنتشرة بين مصبّ النهر وأسفل الوادي. واختفى المنظر الطبيعي تحت اكوام الصناديق والمراجل والمحركات البخارية والمضخات وخراطيم المياه والرافعات والمساند وقضبان السكة الحديد.

هنا فقط كان الوافدون يدركون حجم الجهد المطلوب منهم لتحرير الذهب من براثن الصخر الصلد. والعثور على الذهب واخراجه الى السطح وتخليصه من العوائق أمور استغرقت معظم أشهر السنة. والخطوة الاولى في هذا السبيل كانت تحديد موقع الذهب الذي أمل كل منقب أن يكون ضمن ملكه. ولتحديد الموقع

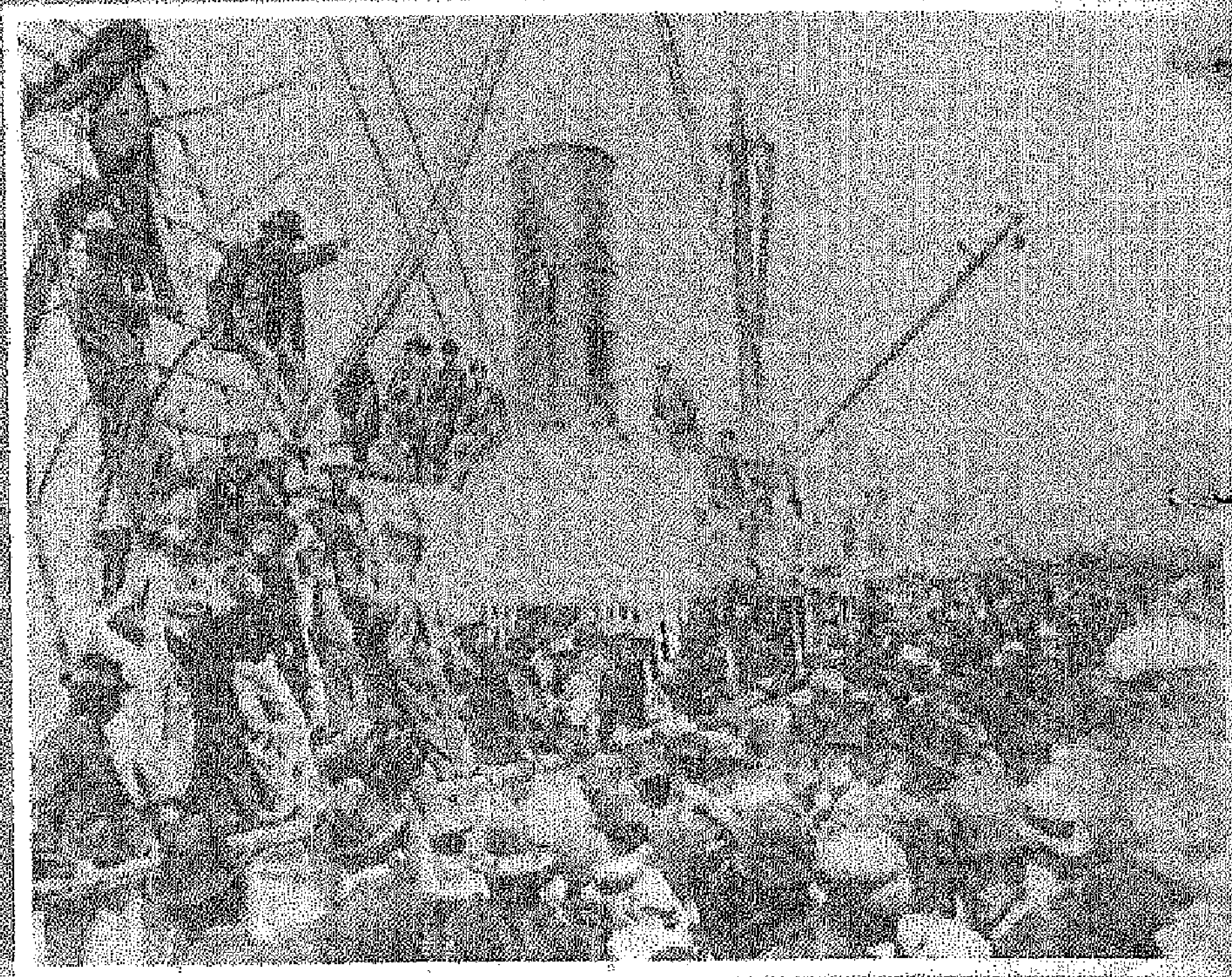
الانطلاق الى ديا.



ينالون قسطا من الراحة
في الطريق الى مخيم شيف.



ينخلون الحصى
لعزل الذهب.



على متن زورق محمل بأكثر من طاقته ومتجه شمالا

تعيّن على المنقب اولا ان يحفر طريقاً عبر الجليد السرمدي بحرق الأخشاب، ثم يجرف الجليد والتربة المذابة وصولا الى الصخر الصلد. وان لم يعثر هناك على الذهب فعليه أن يعيد الكرة الى أن يعثر على ضالته. بعد ذلك يشق نفقاً جانبياً في الجليد متتبعاً مجرى الجدول القديم. وكان ذلك يتطلب رفع التراب الى السطح بواسطة دلو.

ملوك إلدورادو

تلك الاعمال فرضت على المنقبين الإستعانة بعمال مأجورين. وهكذا فان الوافدين الجدد الذين ظنوا أن الذهب يستخرج كما تستخرج البطاطا، وجدوا أنفسهم محشورين في جوف الأرض أياماً وأسابيع متتالية يعملون بأجر ويضربون الجليد السرمدي الصلب كالصوان ويلهثون ويكادون يختنقون في مهاوي المناجم ومداخلها المفعمة بالدخان، فيما ضباب الشتاء يلف الوادي فوقهم. أما الليالي فأمضوها في ضوء الشموع في اكواخ خشبية عبقت فيها الروائح النتنة المنبعثة من الثياب التي نشرها أصحابها لتجف فوق أفران حمراء كالجمر.

ولم يكن الربيع ليحمل اليهم الفرج. فبعد العمل داخل المناجم انتقلوا الى السطح حيث راحوا يعملون بعيون طارفة بفعل الومض الجليدي وشمس الربيع، فيجرفون التربة الغنية وينقلونها الى القنوات. كانوا يكدحون ساعات وأجسادهم تصرخ. وكانت محنة اخرى تنتظرهم كل ثلاثة أيام. فالمياه كانت تقطع عن القناة تمكيناً للعمال من رفع "الحصير" من قعر المنجم وغسل التراب باليد. وكانوا من أجل ذلك يجلسون القرفصاء طوال النهار فيما أكتافهم وسواعدهم في عمل لا ينقطع، يغسلون الذهب - ذهب سواهم - أونصة بعد اونصة. وهذه العملية كانت تتكرر مرات حتى لا تبقى ذرة من التراب الذي نقلوه الى السطح في الشتاء، من دون غسل.

عند ملتقى بونانزا والدورادو، في نقطة لا تبعد كثيراً عن الارض التي تملّكها كارماك، بلغت حمى العمل ذروتها. فنهر إلدورادو الاغنى في كلونديك والذي استقطب ٣٠ طلب تمليك بلغت قيمة الواحد منها مليون دولار، كان يصبّ مباشرة في أغنى زاوية في بونانزا، في قطعة مثلثة لا يتجاوز عرضها الثمانية والعشرين متراً. واشتهر هذا المصب باسم "نصيب ديك لوي" وعُرف كأغنى قطعة أرض في العالم. فهو وُجد عرَضاً نتيجة قسمة غير دقيقة قبل بها أحد تجار الجلود بعد تردد. وكان أن حصل منها لاحقاً على نصف مليون دولار.

كان في وسع العمال أن يلمحوا ديك لوي نفسه وهو يترنح مطروباً ويدفع عربته التي تجرّها الخيول الرائعة على طريق الوادي.

كانت غراند فوركس ثانية كبرى المدن في يوكن بعد داوسن، وكان عدد سكانها يزيد أو ينقص قليلا عن ٥٠٠٠ نسمة. أما النخبة الاجتماعية فيها، أي "ملوك إلدورادو"، فكانوا قبل عامين فقط مُعدمين لا يملكون فلساً واحداً. ولكن بالنسبة الى الوافدين حديثاً كان لاسماء اصحاب الملايين هؤلاء الذين اغتنوا

بسرعة، وقع سحري. احدهم، كلارنس باري، لكثرة ما كان يملك من ذهب، ملأ به صفيحة ووضعها أمام باب منزله مع لافتة كتب عليها "تفضل!"

هذه القصة وغيرها التي صعب تصديقها ألهبت خيال الزاحفين الى كلونديك الذين تجمع بعضهم في حانة غولدهيل يتفرجون على أصحاب الملايين. اما الباقون فمضوا يكدحون مرهقين، ممزقي الثياب، مبهورين، وكل أملهم أن يعثروا على الثروة يوماً.

فحم ورماد

التجارب التي خاضها من مكثوا في كلونديك سنة كاملة فاقت الخيال. ومع مرور الوقت تلاشت الفظائع التي تعرضوا لها على الطريق ولم يعد عالقاً في ذاكرتهم سوى ما عاشوه أخيراً.

كان لدى الجميع جوع للذهب. أما الآن وقد حصلوا عليه فانه بدا لهم اتفه التوافه. وذات مرة دعا أليكس مكدونالد الملقب "ملك الدورادو" احدى الصحافيات لتغرف ما شاءت من وعاء ملأه بعشرين كيلوغراماً من الذهب. قال لها: "تفضلي وخذي ما تشائين، فهناك الكثير غيره."

وعندما نُصح بات غالفن أحد أصحاب الملايين في بونانزا بالحرص على أمواله، صرخ في ناصحه: "مصاريف! لا أريد أن أسمع هذه الكلمة ثانية هنا! واياك ان تلفظها في حضوري. هذه كلمة لا يفهمها أحد في الشمال. ان كنت تملك مالاً فاصرفه، فالمال وُجد ليصرف." وما ان حلّ ربيع ١٨٩٩ حتى كان أنفق ماله كله.

لكن الذهب لم يكن السلعة الوحيدة الثمينة في داوسن كما قدّر لولسن مزنر أن يكتشف. وهو سطا على مطعم آملا أن يحصل على بعض الشوكولاتة. ولخيبته كانت الشوكولاتة مخبوءة في الخزنة الحديد.

عام ١٨٩٩ بلغ مهرجان داوسن ذروته. فقد نشر ثورستين فيبلن روايته الانتقادية الشهيرة التي تناول فيها الطبقة المترفة. والحقيقة ان "الاستهلاك اللافت" الذي تكلم عنه فيبلن ينطبق على النخبة الثرية في مدينة الذهب. فهناك قطار خاص لرجل يدعى مورغان وآخر يدعى فاندربلت، وهنالك مجموعة من كلاب الاسكيمو المختارة التي بلغت قيمتها ٢٥٠٠ دولار اقتناها جيم دوغرتي وكيرلي مونرو. حتى ان دوغرتي أقام مقصفاً على مزلجته. اما مونرو فأنفق ٤٣٢٠ دولاراً على طعام لستة جراء. ودفع كلارنس بيري ٤٠٠ دولار لكل طن من التبن كي يعلف البقرة الوحيدة من نوع جرزي في البلدة. فما نفع الذهب ان لم تستطع أن تترك انطباعاً في الناس؟ واذا فشلت في بناء قصر في شارع فرونت فيمكنك ان تبتاع قاعة للرقص، وهي كانت عنوان النجاح واحد رموز المركز العالي. أن يحدق الناس اليك داخل مؤسستك الخاصة، وأن يأتوا على ذكر اسمك همساً، وأن تصبح انساناً مهماً بعدما كنت مغموراً قبل سنتين، كان أقصى ما ابتغته الطبقة الاريستوقراطية في كلونديك. وهذه جميعها أمور يشتريها الذهب. وفي داوسن كان الرجال يعيشون ليومهم وكأنهم في حرب. وقد

عبّر غيرتي "صاحب السن الالماس" عن ذلك اذ قال: "لم يكن يسع الغريبي الاطوار هؤلاء الا أن ينفقوا الذهب. كانوا يخشون أن تنتهي حياتهم قبل أن يستخرجوه كله من جوف الأرض."

من الصعب جداً الا يصاب الانسان بعدوى حمّى الانفاق وان لم يكن يملك الا القليل. وكل شيء في داوسن كان قابلا للبيع او الشراء.

مع ذلك تباخل مجلس المدينة ورفض أن يرفع اجرة رجال الاطفاء المحليين. وتلك كانت غلطة دفع ثمنها غالياً. ففي أثناء الاضراب الذي أعلنه رجال الاطفاء اندلع حريق في غرفة الطبقة الثانية من حانة بوديغا. وخلال دقائق أتت النار على اكثر من نصف شارع فرونت. وكان ذلك يوم ٢٦ ابريل (نيسان) ١٨٩٩.

وفي سكون تلك الليلة ارتفعت ألسنة اللهب عمودياً محولة الرطوبة المختزنة ضباباً لفّ المدينة. وانهارت معظم الحانات وقاعات الرقص. وهرعت النساء الى الشوارع المغطاة بالجليد وهن يصرخن ويستغثن. وتحولت أشهر الابنية في المدينة فحماً ورماداً، وكان مجموعها ١١٧. وقال ولتر واشبرن وهو يراقب انهيار مسرح الاوبرا الذي يملكه: "هكذا أقمته وهكذا ذهب. فما همّ!"

قصر زجاج

فوق "أشلاء" المدينة التي تحولت رماداً قامت مدينة أخرى اجمل وأمتن. نوافذها من زجاج وأرض ابنيتها مفروشة بالسجاد. مدينة عرفت الحمامات التركية والبياضات الكتانية والفضة والبلور والبيانوهات والكهرباء. ومع ذلك كانت داوسن تخطت ذروة ازدهارها. وشعر بذلك الهبوط اواخر الوافدين الذين وصلوا من ادمونتون بعيونهم الغائرة وأجسادهم الناحلة بعد شقاء طويل استمر سنتين، عبر ما سمي آنذاك "الطريق الكندية." ألوف الناس راحوا يذرعون الشوارع بحثاً عن عمل بات نادراً. وفي العالم الخارجي كانت الحمى انحسرت. وأصبحت كلمة كلونديك تردد باحتقار، وبيعت مقالي الذهب كأوعية للجلي بنصف ثمنها الحقيقي.

بعد ذلك سرت في المدينة رعشة مألوفة. فعلى بعد ٣٠٠٠ كيلومتر في محاذاة النهر، على شواطئ نوم في آلاسكا، حدث أمر مثير: ثروة من الذهب تم اكتشافها ملقاة على الارض في انتظار من ينتشلها. وخلال شهر فرغت داوسن من أهاليها الذين اكتظت بهم السفن النهرية المتجهة نزولا. الحانات أغلقت وهبطت قيمة العقارات وخسرت قاعات اللهو زبائنها. وخلال أسبوع واحد في شهر أغسطس (آب) ترك ٨٠٠٠ شخص داوسن الى الأبد. وانتهى الزحف في اتجاه كلونديك ليبدأ من جديد في اتجاه آخر.

لم تدم حمّى كلونديك اكثر من سنتين، بدءاً بمنتصف صيف ١٨٩٧ عندما بلغ العالم الخارجي خبر اكتشاف الذهب. وهذه الفترة الوجيزة اختصرت حياة ألوف من البشر. والحقيقة ان هذا الزحف الهائل لم يكن الا صورة مصغرة للحياة برمتها، بمراحلها المختلفة، انعكست فيها سذاجة الطفولة وحماسة الشباب

وخيبة منتصف العمر وحكمة الشيخوخة. والذين أفادوا من هذه التجربة اكتسبوا حكمة ونضجاً وباتوا يدركون نقاط الضعف ومواطن القوة في شخصياتهم.

معظم أصحاب الملايين من كلوندايك أنهوا حياتهم في فقر مدقع. والواقع ان الذين أتوا بعدهم هم الذين قطفوا ثمار الزحف الى الذهب. وانعكس البهرج الذي ميز مغامراتهم بعشرات من حكايات النجاح الذي أصابوه.

غير ان قصص النجاح الحقيقي انطلقت من صفوف البؤساء في شارع فرونت. وبين هؤلاء من دوّن مذكراته او رواها لسواه. ومن هذه المذكرات استقطر الرواة والكتاب حكايات التجارب التي مرّ بها الرواد الأول. حكايات تنضح بالمشقات والالم المكتوم المغلّف بالنشوة والنجاح والفرص التي تنتظر أن تُستغل. حكايات أخلاق شذبتها الشدائد.

عرف الناس أن في وسعهم اتيان المستحيل وتحقيق أعمال بطولية لم تكن لتخطر لهم على بال قبل ان يبدأ الزحف الى الذهب. من منا اليوم على استعداد ليخوض المشقات والصعاب التي واجهت السعاة الاول؟ من منا على استعداد لتسلق قمة تشيلكوت وسط العواصف ومحملا بالاثقال، ليس مرة واحدة بل أربعين مرة؟ من منا على استعداد ليبني قارباً من الخشب ويقطع فيه الانهار والشلالات مسافة ٨٠٠ كيلومتر؟ من منا على استعداد لبناء كوخ من جذوع الشجر يعيش فيه ثمانية أشهر يقتات بالفاصولياء واللحم المجفف في حرارة أدنى من ٦٠ درجة مئوية تحت الصفر؟

ومع ذلك فان ٣٠ الف شخص أقدموا خلال موسمين جنونيين على اكثر من هذا كله. معظم الذين خاضوا تلك التجارب خرجوا منها بثقة اكبر بأنفسهم وبحس أرهف لتحديد هدفهم في الحياة، وفوق كل ذلك بيقين ان لا شيء ذا اهمية يمكن ان يحصل عليه المرء بسهولة. قلة بينهم تأثرت بالتجربة سلباً وخرجت منها أضعف مما كانت.

هؤلاء الشباب الذين أخذت لهم الصور في كلوندايك وظهروا فيها بفرائهم ودثائرهم الانيقة، فقدوا براءتهم الى الابد.

بيار برتون ■

معزاة مدللة

أثناء رحلة في الريف دهشت السيدة لرؤيتها رجلا على سلم أسندت الى شجرة تفاح، يحمل بين يديه معزاة تأكل الثمار من الشجرة. وأثار هذا المشهد فضولها فتقدمت من الرجل وسألته عما يفعل.

فأجابها: "كما ترين، أطعم معزاتي."

فقالت: "ألا تستغرق هذه الطريقة وقتاً طويلا؟"

فرد الرجل: "وهل يعني طول الوقت شيئا للمعزاة؟"

هـ.م.

اكتب واربح




هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدادات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.



"الفتاة والمرشة" للرسام الفرنسي رنوار